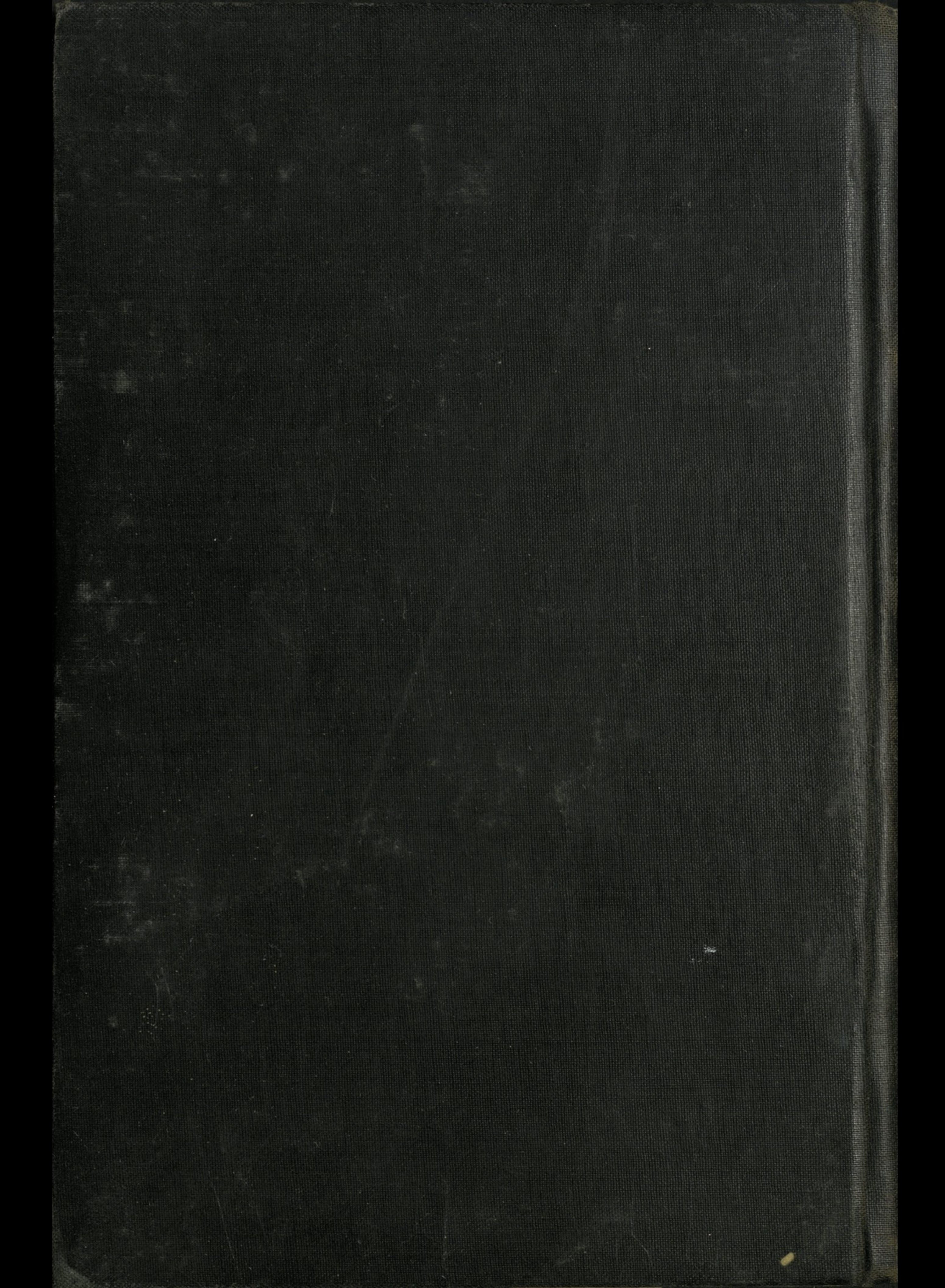
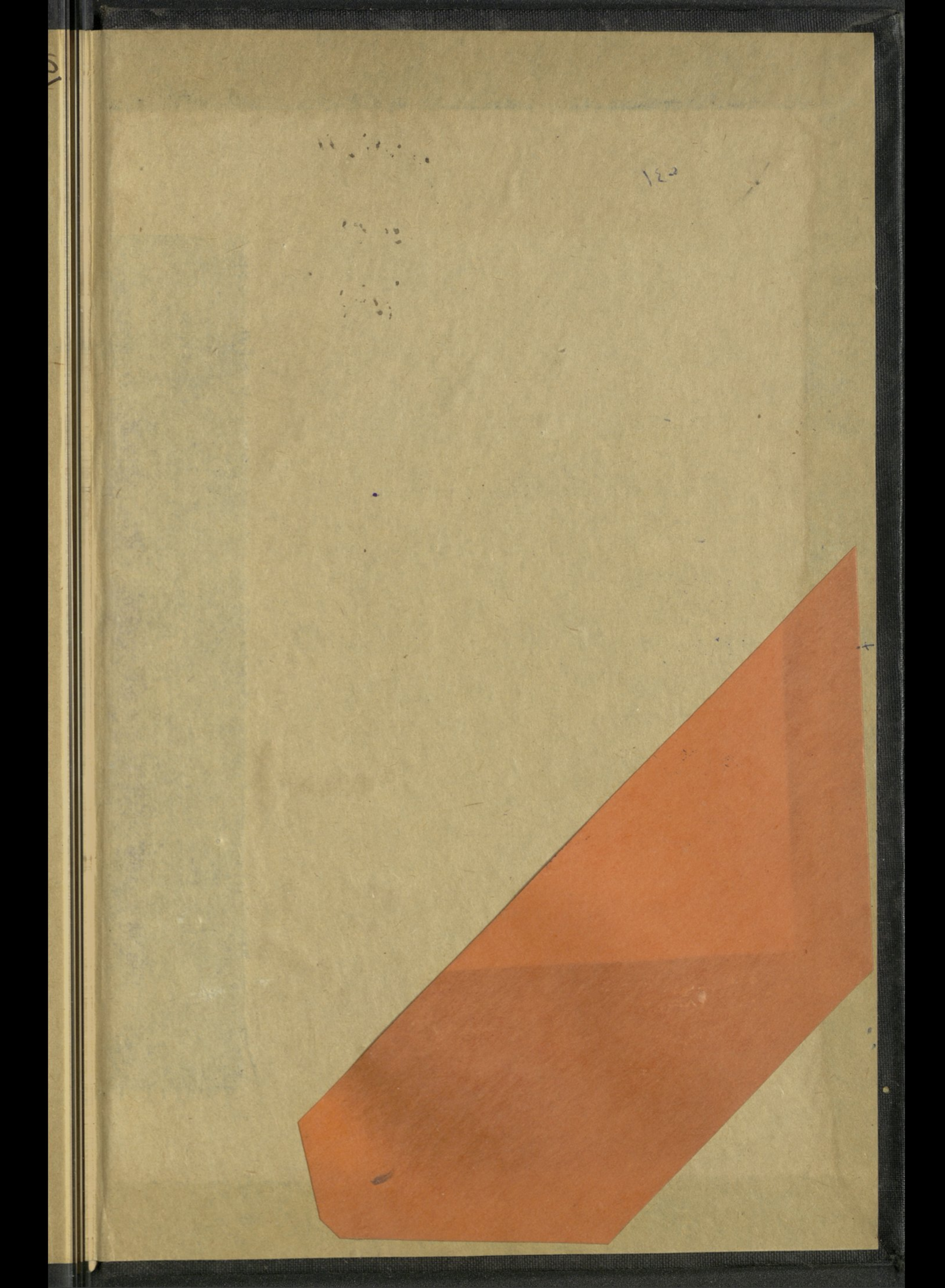
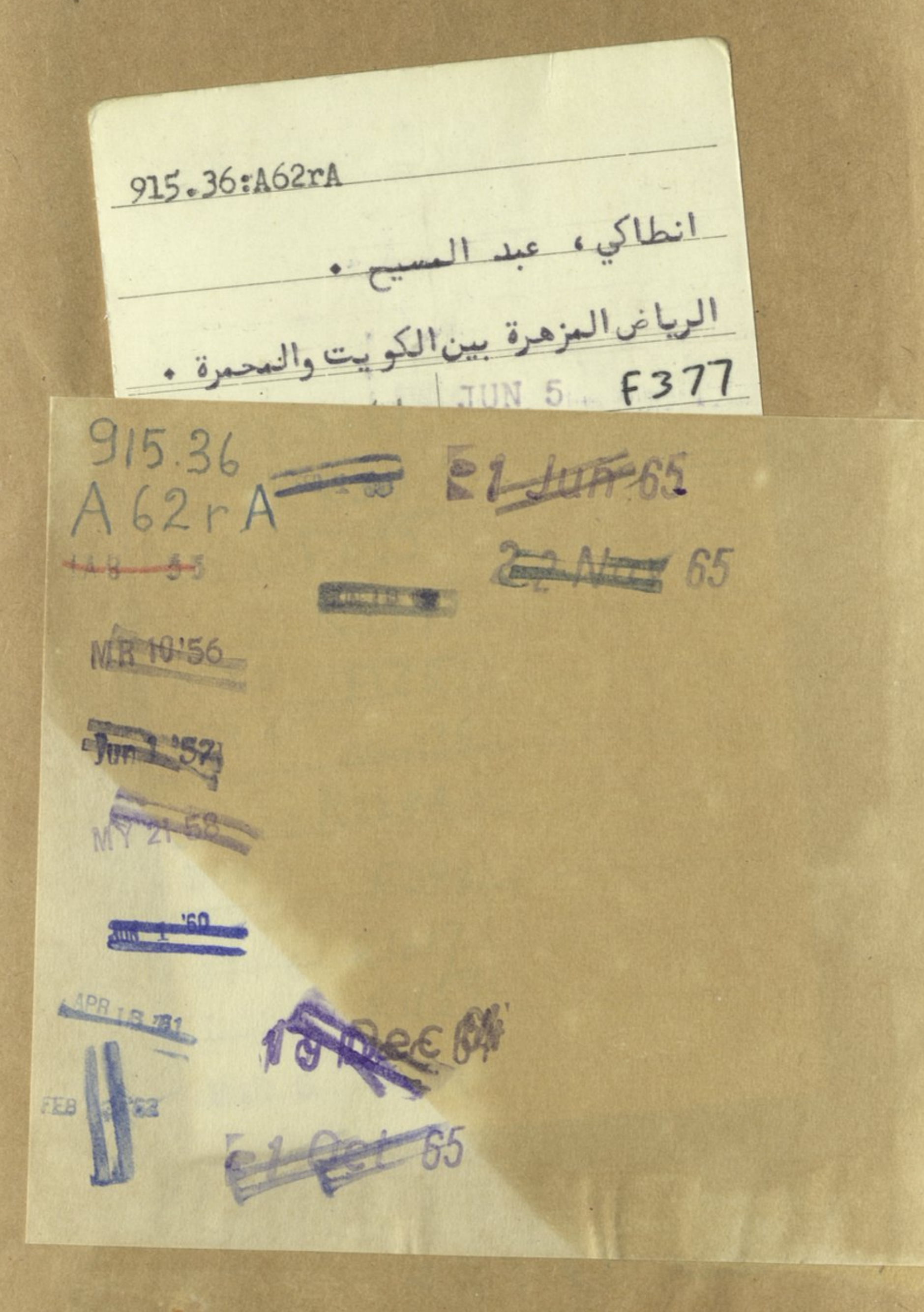
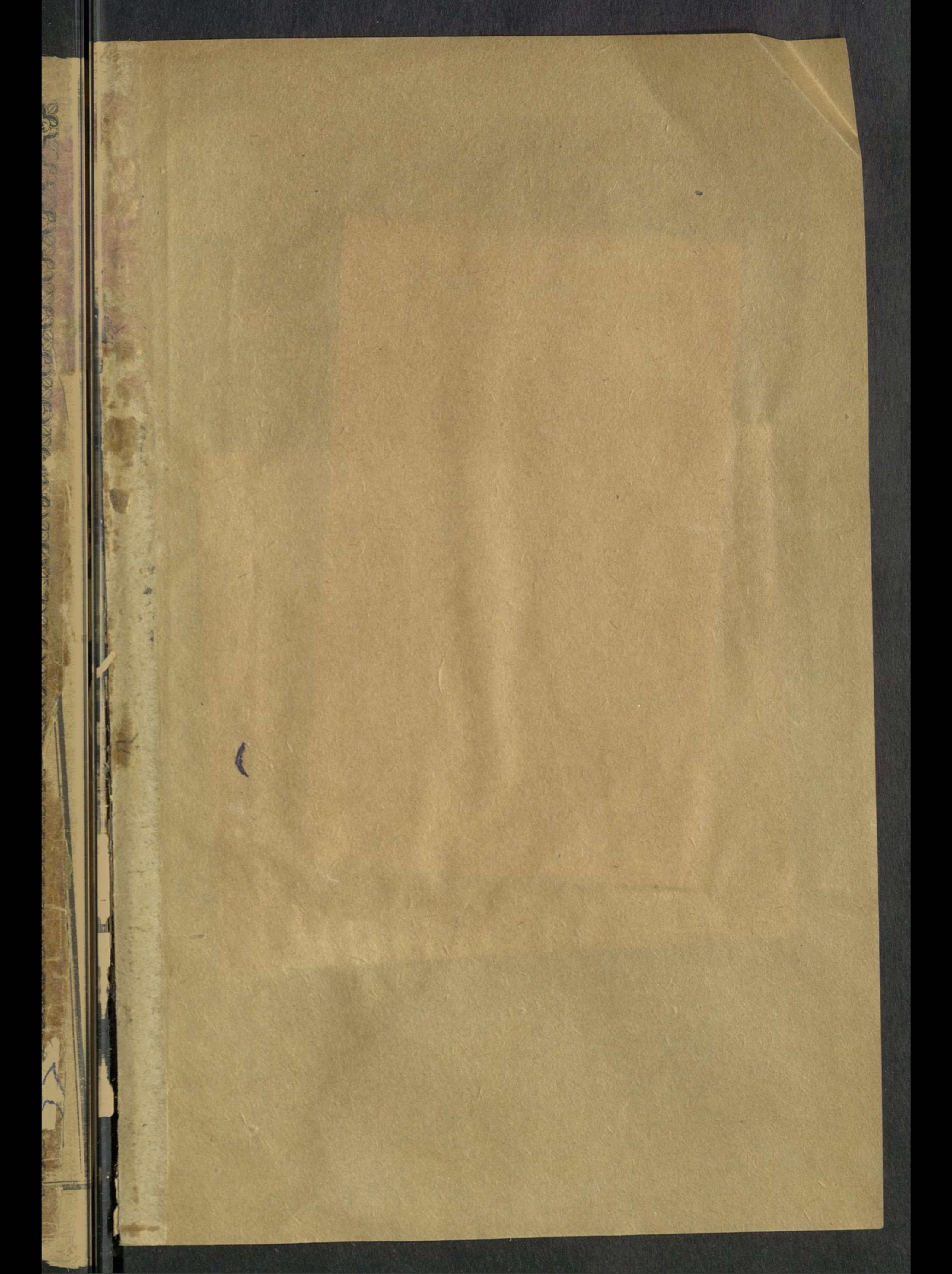
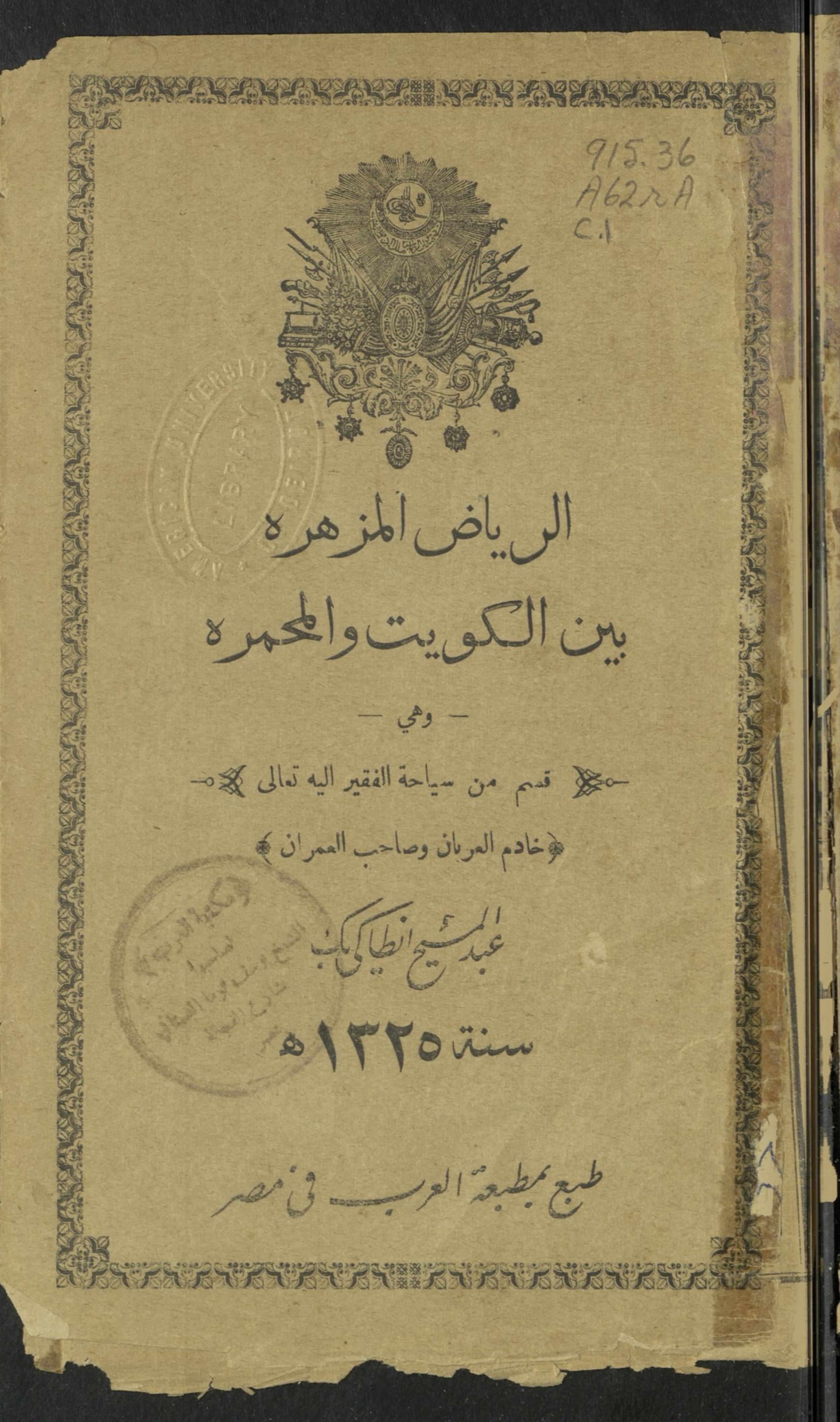










الرياض المزهره

بين الكويت والمحمره

— وهي —

قسم من سياحة الفقير اليه تعالى

(خادم العربان وصاحب العمران)

عبد المسيح انطاكي بك

سنة ١٣٢٥ هـ

طبع بمطبعة العرب في مصر





الحمد لله ، الذي وفقنا الى الصراط المستقيم ، وسدد مساعينا في خدمة العرب ، ذلك الشعب العظيم ، الذي فيه ينال الشرقيون الارب ، والصلاة والسلام ، على سيدنا ابراهيم الخليل ، وعلى ابنه سيدنا اسماعيل ، وعلى النبي العربي الجليل ، ورضي الله عن كل عربيّ نبيل ، لا يرتضي عن قومه من بديل .

وبعد ، فقد حدت بي حوادي السياسة ، الى العمل مع العاملين في خدمة البلاد الشرقية ، والعمل على ترقية الوسط الشرقي ، والسير به في طريق التقدم والفلاح ، والاصلاح والنجاح ، على قدر ما ينتهي اليه الجهد ، ويقف عنده الفكر ، وتصل اليه الهمة ، ولا نية لي من وراء ذلك ، الا الخير العام ولكل امرء مانوى .

ومن المعلوم أن الشعوب الشرقية في هذا العهد في دور الانتقال ، وقد شعرت الطبقة الراقية منها ، بوجوب النهوض من هذا الثبات العميق ، الذي نحن نائمون فيه ، ولكنهم اختلفوا في المسائل المفضية الى ذلك ، شأن كل المصلحين في كل العصور ، لان المصلح في قوم ، أشبه بالطبيب امام المريض ، فهو اذا عرف تشخيص الداء ، سهل عليه وصف الدواء ، أما اذا اشتبهت عليه الاعراض لا يلبث أن يخبط خبط عشواء ، فأحياناً يخطيء وأحياناً يصيب ، وداء الشرق كما يعلم العارفون قد أزمن ، وأصبحت عوارضه مبهمة ، عجز عن تشخيصها حتى اليوم ، نطس الاطباء المصلحين ، فقال بعضهم ان الدواء في اختلاف المذاهب والاديان ، وان التوفيق بين هؤلاء المتدينين من رابع المستحيلات ، والتشخيص كما يرى المفكر الحكيم صحيح ، والحكم باستحالة الشفاء ، من هذا الداء الوبيل ، أصح ؛ لاننا نرى الاوربيين اليوم ، وقد ساروا شوطاً بعيداً في طريق المدنية ، ونبذوا كل صبغة دينية في أعمالهم السياسية ، ومع ذلك لم يسلموا من الانقسامات الدينية ، ولم تتحد كلمتهم على مذهب واحد ، يجمع شتيتهم ، حتى في المملكة الواحدة ، والبلد الواحد .

ورأى بعضهم ، أن ينهض الشرق ، بجامعة اسلامية ، حيث تجتمع كلمة المسلمين ، على العمل ، لسياسة أنفسهم بأنفسهم ، وترقية مجتمعهم ، ثمّ ظهر أن هذا حلم من الاحلام ، لا يقبله عقل ، فلا يعقل أن يتحقق مع الزمان ، وليت شعري ، اذا كان المسلمون ، لم تجتمع لهم كلمة ، من عهد الفتح المجيد ، فهل يتسهل لهم هذا الاجتماع ، في هذا العصر ؟؟

ورأى غيرهم ، أن يحصر الاصلاح في الاقوام ، حسب أجناسهم ، فيعمل المسلم الروسي على ما يرقى بقومه ، والمسلم الهندي كذلك ، والمسلم

العربي كذلك ،الخ ، وهذا رأي سديد ومعقول ، لان الشعب الواحد ، في البقعة الواحدة ، المشترك بالمنافع والمضار ، اذا تنبه افراده لانفسهم ،ونهضوا بمساعي عقلائهم وشيوخهم ، لا بدّ لهم أن ينالوا مأربهم مع الزمان ، اللهمّ اذا تحينوا الفرص ،وصدقت منهم النوايا ، وخلصت القلوب لخير المجموع .

وهذا ما نسعى نحن اليه ، ونجاهد في سبيله ،فان الشعب العربي الكريم من أعظم الشؤون الشرقية ، همة وشجاعة وذكاءً وعدداً ، ولم يضمحل هذا الاضمحلال ، الا بتسطي الاجانب عليه ، وارهاقه بأنواع المظالم والمغارم ، على ما هو معروف ومشهور فلا نطيل فيه الكلام الآن .

وكان من المعقول ، أن يكون المصريون ، في مقدمة أخوانهم العرب ، سعياً لايجاد جامعة عربية قومية ، لانهم سبقوهم في العلم ،وتوفقوا الى حكم حرّ ،يقدرون أن يجاهروا فيه بما يختلج في نفوسهم ،ولكن لسوء الحظ ونكد الطالع ، قد قصر المصريون كثيراً في هذا الواجب ، بفضل بعض أفراد أوجدهم جنون الدهر «كما كان يقول استاذنا المرحوم عبد الرحمن الكواكبي» فتمكنوا من التسطي على الرأي العام ، وتحويله الى سياسة عقيمة مضرة ، فحصروا في الظاهر بغيتهم باستقلال مصر ، وأضمروا ما اضمروا ،مما لا يخفى على الالباء ، تاركين من ورائهم نيف وعشرين مليوناً في بلاد العرب ،ومثل هذا العدد الكبير في افريقيا ، فضلاً عن سكان سوريا وما بين النهرين ، والا كثرية الكبرى في هذه البلاد كلها ، من العرب الذين تجمعهم كل الجوامع ، كجامعة الدين ، وجامعة اللغة ، وجامعة الجنس .

واننا لنترك الخوض في هذا الموضوع ، في التطويل اللائق به ، الى الكتاب الذي نعده لسياحتنا الكبرى ، التي قمنا بها في بلاد العرب ، سنة ١٣٢٧ هـ ،

ونقتصر في هذا الكتاب ، على ذكر سياحتنا بين الكويت والمحمرة ، لان حاكمي هذين الصقعين، صاحبي السمو ، سيدينا الشيخين الجليلين ، سمو الشيخ مبارك باشا ابن الصباح، ومعز السلطنة سردار أرفع ، الشيخ خزعل خان ، هما أقدر ملوك العرب ، جاهاً ومالاً وفضلاً ، واننا لننشر هذا القسم من سياحتنا ، ليعلم الناس أن لهم ملوكا عظاماً ، وامراء فخاماً ، يستطيعون أن يلتفوا من حولهم ، ويعولوا عند الشدائد عليهم ، والله المسئول أن ينفع بكتاباتنا كل عربي ناطق بالضاد ، وهو سبحانه خير هاد.

عبد المسيح انطاكي



الرسالة الاولى

« نشرت في العدد ٣٥٦ من العمران الجزء ٢٦ من المجلد الاول »

« الصادر في ٢٢ محرم الحرام سنة ١٣٢٦ »

من ابوشهر الى المحمرة

أقلعت بنا الباخرة غلس يوم الثلاثاء ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٢٥ من مياه أبوشهر نحو المحمرة وكان الربان يقيس عمق الماء بلا انقطاع لتأثير المدّ والجزر تأثيراً كلياً يعيق سير البواخر

وطريقة المقاس التي يستعملونها هي ان أحد النوتية يرمي حبلاً الى البحر بأسفله قطعة من الرصاص فاذا بلغت في الماء الحدّ المعين المربوط فيه الحبل نادى بكلمة سيروا بالانكليزية وكان يرمي الحبل على التوالي وبغير انقطاع وما زال كذلك الى الساعة الحادية عشرة قبل الظهر حيث وقفت الباخرة وظلت واقفة مدة ثلاث ساعات أي الى ان عاودها المدّ فاستأنفت المسير وكنا في هذه الاثناء قد انتقلنا من المياه المالحة الى المياه الحلوة وتغير لون الماء من الزرقة المعهودة في مياه البحار الى لون الانهر الذي نشاهده في مياه النيل في مصر فسبحان الخالق العظيم

ملتقى البحرين

من أجمل ما رأته العيون ملتقى البحرين المالح والحلو بحيث يرى الراكب في الباخرة سطح الماء المتماوج موصلاً فمن هنا الزرقة ومن هنا الحمار الكاشف

والاغرب من ذلك ان تدلي بدلوك هنا فيخرج لك الماء الاجاج المالح وتدليه هناك فيخرج لك الماء العذب الفرات فياسبحان الله

﴿ تهييج الشجون ﴾

قيل لي قد تركنا مياه الخليج ودخلنا في مياه « العراق العربي » واننا قد أصبحنا في بلاد العراق . قيل لي ذلك فقفّ الشعر في رأسي وانتفض جسمي كانتفاض العصفور بلله القطر وأغرورقت عيناي بالدموع وذكرت قول الشاعر

أرى آثارهم فأذوب شوقاً ... وأسكب في مواطنهم دموعي

تذكرت وماذا تذكرت ؟؟ تذكرت مجداً رفيعاً الى السماك الاعزل . وسؤدداً عزّ على المتناول . وفخرا لم يحلم به كسرى . ولم يخطر على قلب قيصر . وقصرت عنه الفراعنة . وعجزت دونه ملوك حمير . بل تذكرت

شرفاً ينطح النجوم بروقيه ... وعزاً يقلقل الاجبالا

كل هذا المجد والفخار والشمم ومحامد الآثار كان لهذا العربي المسكين الذي كان مالكاً فأصبح مملوكاً وكان سيدا فأصبح عبدا وكان قويا فأصبح ضعيفاً وكان عالماً فأصبح جاهلا وكان غنياً فأصبح فقيراً وكان عنده كل شيء فأصبح وليس لديه من شيء سوى

﴿ الكرم والشمم ﴾

نعم ان العربي فقدَ كل شيء ولكن لم يزل كما كان كريماً ولم يزل كما كان عزيزاً فهو يجود حتى في كسرة الخبز اذا لم يكن لديه سواها لقيام حياته وهو عزيز حتى يستهين بالموت دون الخضوع لغطرسة المتغطرسين وظلم الظالمين . هذا هو العربي ومن شذّ عن ذلك فهو دخيل على العرب والامة

العربية الكريمة في براءمته

تذكرت الخلافة العباسية وحق لي الذكرى وأنا في « العراق العربي» أنا في مياه «البصرة وبغداد» تذكرت ذلك المجد الذي تطأطأت له هامات ملوك اورباواسيا وافريقيا وخضع له القسم المعمور من هذه الدنيا

تذكرت تلك المدنية الاسلامية التي تأسست على قواعد الدين الحنيف وآدابه وكانت مظاهرها «مساعدة القوي للضعيف بالمال والجاه والعمل على مافيه خير الانسانية بغير ارهاق او اعنات»

تذكرت تلك النهضة العلمية الادبية التي أحيت فلسفة السريان والكلدان واليونان والرومان وكانت سبباً لهذه النهضة المدهشة التي ظهرت في القرن التاسع عشر المسيحي في أوربا

تذكرت أولئك الخلفاء رحمهم الله الذين كانوا أحسن مثال لمن لبسوا التيجان وتربعوا على دسوت الاحكام ووضعوا فوق رؤوسهم الآية الشريفة « واذا حكمتم بين الناس فاحكموا بالعدل »

تذكرت . تذكرت . واستعبرت . ثمَّ رددت قوله تعالى «وتلك الايام نداولها بين الناس» وانتبهت لنفسي فاذا البحر قد ضاق ودخلت الباخرة في مضيق على سعة النيل بضعفه وظهرت على الجانبين أرضين قائمة عليها أشجار النخيل تتهادى كالعرائس وكان على الجانب الايمن الاراضي الفارسية من أملاك المحمره وعلى الجانب الايسر أراضي الفاو التابعة للدولة العلية العثمانية

﴿ الفاو ﴾

ان الفاو عبارة عن قرية صغيرة تابعة لولاية البصرة وهي الحدود التي تفصل أملاك الدولة العلية العثمانية عن أمارة الكويت البهية من جهة البحر

وكانت الفاو بالاصل أرضاً جرداء لا امان فيها لزارع او مستثمر وكان الاشقياء يلتجئون اليها ويعوثون فيها فساداً

وما زالت كذلك الى نحو ثلاثين سنة أو يزيد حيث اشترى هذه الاراضي للاستثمار المرحوم المبرور الشيخ صباح والد سيدنا ومولانا ولي النعم صاحب السمو الشيخ مبارك باشا ابن الصباح. ولما دخلت في ملكيته هاب الاشرار سطوته فتلاشى السلب والنهب وبادر رحمه الله فغرسها نخيلاً، وجعل يحرّض الناس على سكناها ويعاونهم بالمال على استثمارها على ماهو معروف عن الكرم العربي الممتاز الذي تفرد به ساداتنا آل الصباح الفخام

ولما أفضت أمارة الكويت البهية لعهدة دراية ولياقة سيدنا ومولانا المتفرد بالذكاء والدهاء والحزم وحسن العزيمة سمو الشيخ مبارك باشا ابن الصباح اعتنى سموه عناية خصيصة بأراضي الفاو فكثر فيها المزارعون والمستثمرون وعمّ فيها الامان بسطوته والعمران بجاهه حتى وصلت الى الحالة التي هي عليه الآن

﴿ تلغراف الفاو ﴾

ولما كانت المخابرات التيلغرافية آخذة بالنمو رويداً رويداً في الممالك العثمانية بظل ترقيات العصر الحميدي الانور . رأت الدولة العلية العثمانية ان تمدّ خطاً تيلغرافياً برياً من الاستانة العلية حتى البصرة وفعلاً نفذت هذا المشروع الكبير وجعلت نهاية هذا الخط التيلغرافي في محلة الفاو وجعلتها قائمقامية وكان ذلك منذ بضع سنوات . الا ان هذا الخط حتى الآن لم ينتظم سيره ولا يكاد يشتغل أياماً حتى يتعطل أضعافها فالامل من نظارة البريد والتيلغراف العثمانية الجليلة ان تنتبه لهذا الخلل المتكرر الحادث ولاشك عن خيانة

وتهاون بعض المأمورين المناط بهم مدّ الخطوط التيلغرافية في هذا الطريق

ويجب ان تعلم النظارة المشار اليها ان مصلحة دولتنا العلية ومصالح الاهلين في انتظام هذا الخط وفي حالته الحاضرة يسبب اضراراً بليغة أدبية ومادية للدولة والامة . وهي كلمة نصح لم أذكرها الا بعد ان سمعت ألوفاً من الشكاوي أحسن الله الاحوال

﴿ أراضي الفاو ﴾

اما أراضي الفاو فهي لم تزل ملكا شرعياً حلالا لسيدنا ومولانا وولي نعمتنا سمو الشيخ مبارك باشا ابن الصباح والذي يتجول في هذه الاراضي الخصبة ويرى أشجار النخيل التي فيها قائمات كالعرائس ويحادث الفلاحين الذين يستثمرونها ويعتنون بها ويزرعون بقية الاراضي التي فيها وماهم فيه من رغد العيش وحسن الحال يعلم حينئذ فضل مولانا المبارك الحقيقي وما خلق الله فيه من الشعائر الاسلامية التقوية والاخلاق العالية الفاضلة ويسمع من هؤلاء ونسائهم وأولادهم الدعاء الصادر من صميم قلوبهم «يطول عمرك ياشيخ مبارك الله يديمك ياشيخ مبارك» حقاًمن يرى مارأيت بعينيه ومن يسمع ماسمعت باذنيه يقول معي «بارك الله فيك يا أيها الشيخ المبارك الجليل»

واذا نظرت الى الجهة الثانية الايرانية الخاضعة لسيدنا ومولانا معزّ السلطنة سردار ارفع سمو الشيخ خزعل خان تجد فيها من العمران والامان مايذكرك بالمثل المأثور «العدل لو دام عمر والظلم لو دام دمر» فتقولُ معي كما قلت «بارك الله فيك يا أيها الشيخ خزعل الجليل»

وما زالت الباخرة تسير بنا بين النخيلين في مياه العراق مدة ثلاث

ساعات حتى بلغت بنا المحمره وكانت الساعة اذ ذاك قد قرعت الثامنة بعد الظهر فرست الباخرة امام الكمرك وكانت الليلة قاتمة لتأخر طلوع القمر فما كان يضيء امامنا الا أنوار المدينة ونجوم السماء

﴿على العشاء﴾

وقفت الباخره امام المحمره ونحن على العشاء وحضر اليها طبيب الكورنتينا وناظر الكمرك وجلسا معنا لمناولة طعام العشاء

اما طبيب الكورنتينا فهو شاب في نحو الخامسة والعشرين من عمره انكليزي الجنس واسمه الدكتور ريلي وهو يحسن الفارسية والعربية جيداً خلافاً لناظر الكمرك الذي كان بلجيكياً وفي نحو الاربعين من عمره او يزيد ولا يعرف العربية ولا الفارسية

واول ما استلفت انظارهما (الكلاه) الايراني الذي كان متوج رأسي فسألا القبطان في الانكليزية عني مستغربين لانهما حسبا اني من خانات الفرس ومعلوم ان أكثر أهل الفرس من الشيعة والشيعيون يستنجسون طعام من لايكون منهم ولا يأكلونه فضلا عن ان الطعام طعام نصارى افرنج وبعض أهل السنة لايستحلونه لما اشتهر عن الافرنج من القسوة البربرية في قتل الثيران قتلاً وخنق الدجاج خنقاً مما تنبو عنه العواطف الرحيمة

اما القبطان فعرفهما بي وحدثهما عن حكاية (الكلاه)[1] وحينئذ جعل الطبيب يحدثني بالعربية فرأيت منه كل لطف وانسانية وعند ما علم اني ضيف سمو الشيخ خزعل خان أخذ يبين لي من صفات هذا المولى النبيل مالم أكن

---

(١) وهي على ماجاء لصاحب العمران فى رسالة سبق نشرها في العمران وهي انا كنا مع حضرة دريابكي حاكم مدينة ابي شهر فاهداه لنا

احلم به وهو يثني عليه ويترنم بمدائحه ويدعو له بالعمر المديد والعيش الرغيد
ثم قال لي الطبيب أتعرف سمو الشيخ مبارك؟ قلت هو مولاي وولي نعمتي وانا عبده قال هو هنا قال هذا فاستفزني الشوق ورميت ما بيدي من شوكة وسكين ونهضت فقال الطبيب الى اين؟ قلت الى الشيخ مبارك قال هيهات فان مقام الشيخين بعيد عن المحمره بما لا يقل عن ثلاث ارباع الساعة والوصول اليهما في هذا الليل عسير وما زال يقنعني بالبقاء في الباخرة حتى قبلت مضطرا بحكم الزمان ورددت قول الشاعر

اجارتنا بالخيف ان مزارنا قريب ولكن دون ذلك أهوال

وكنت اقول بعد ذلك

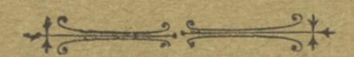
. اطير القطا هل من يعير جناحه لعلي الى من قد هويت اطير

ثم ودعت الطبيب ووعدته ان ازوره في المحمره ودخلت غرفتي فأمرت خادمي ان «يعمر المدعه» وجلست فنظمت قصيدة في مدح سمو الشيخ مبارك ثمّ نظرت الى الساعة فاذا هي الثالثة بعد نصف الليل فحاولت الرقود فلم استطع والشوق يقيمني ويقعدني فجلست ثانية وعلى « قرقعة المدعة اي الشيشه » كتبت رسالتي هذه للعمران وانا اقول مع القائل

يا ليل طل او لا تطل لا بدّ لي ان اسهرك

الباخره بومباي في ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٢٥ﻫ

عبد المسيح انطاكي



الرسالة الثانية

« نشرت في العدد ٣٥٧ من العمران الجزء ٢٧ من المجلد الاول »

(الصادر في ٦ صفر الخير سنة ١٣٢٦)

﴿ ملقى الملكين ﴾

لاضرورة للتأكيد بأني قضيت ليلة ١٩ ذي القعده سهراً شوقاً لملتقى الملكين ومن البديهي اني وضعت ساعتي امامي أعدّ عليها ثوانيها ووالله ماملت في عمري من طول الوقت بمقدار الملل الذي شعرت فيه ليلتئذٍ حتى خلت ان الارض وقفت عن دورانها وكدت لولا التعقل أصيح

حدثوني عن الصباح حديثاً وصفوه فقد نسيت الصباحا

نعم ان من كان مثلي مخلصاً عاشقاً لسمو مولاي وولي نعمتي سمو الشيخ مبارك باشا ابن الصباح لاعجب اذا استفزه الشوق للقائه بمثل هذه الصدفة الغير منتظرة لاني ما كنت أومل ان أفوز بلثم راحاته الا بعد ان اسعى لرحابه في مهد مملكته ودست ولايته في مدينة الكويت المحمية

﴿ النزول الى البر ﴾

أصبح الصباح والحمد لله هو صباح الاربعاء ١٩ ذي القعده وما كدت المح ضياء الفجر واتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود حتى نهضت فارتديت ملابسي وكان خادمي قد رزم الحوائج واعدّ الصناديق وطلب لي أحد الفلايكجية

ومن البديهي ان لاضرورة لسرعة النزول لأن مقابلة الملكين الجليلين في مثل هذا الوقت لايعدّ أدباً ولكن ما الحيلة فان البواخر الانكليزية كلها

تصل المحمرة ليـلاً وتبرحها الى البصرة في الصبـاح على قاعـدة مضطردة قلما ان تشذّ عنها

ولما جاءني الفلايكجي أو النوتي أو الملاح أو القواربي أو سمه ماشئت بادرته بقولي اني قادم خصوصاً لزيارة سمو مولاي الشيخ خزعل خان قلت له ذلك ارهاباً لان هؤلاء الفلايكجية في البحر شرٌّ من العربجية في البرّ. فلما علم اني ضيف مولاي ومولاه تهيب وقال أهلاً ومرحباً فمن كان ضيف شيخنا المحبوب فهو ضيف كريم علينا جميعاً بغير استثناء

ثم قصّ عليّ الفلايكجي خريطة مسيرنا فقال ان سمو الشيخ يقيم في قصره وهو يحضر الى دست الامارة في صباح كل يوم ودست الامارة هذا في الفيلية وليس في المحمرة . أما المحمرة فيقيم فيها سمو مولانا نصرة الملك الشيخ جاسب خان نجله المعظم قلت وأنا أين تسير بي الآن؟ قال الى الفيلية الى دست الامارة قلت حباً وكرامة

﴿ الفلك ﴾

بادر الفـلايكجي مع معاونه مع خادمي لانزال الحوائج التي معي الى الفلك ثم تبعتها أنا والشوق مالئ صدري لملتقى الملكين المبجلين أعزهما الله تعالى ولما بلغت الفلك وجـدته على خلاف ماأعهد من الفلايك فهو مستطيل جداً وضيق ويقوده اثنان فقط احـدهما من موخرته والآخر بالمقـدمة ويسيرون به متطرفين الى البر ويرفسونه رفساً برماح في أيديهم بدلاً من التجذيف المعتاد وعلى هذا الشكل يكون سيره بطيئاً وهم يسمون هذه الفلايك بلايم واحدها بلم والفلايكجي بلاّم

وقدّرت في فكري ان استعمال الرفس بدلاً من التجذيف هو للوفر

ولأن المسير في نهر كهذا لا يمكن معه التجذيف في الاوقات التي يطغي فيها نهرا الدجلة والفرات وكذلك الحال في استطالة البلم وضيقه وحاولت ان أستفهم من قائد البلم عن ذلك فلم أتوفق لاني ماكنت أفهم مايقول وهو كذلك مع اننا كلانا نتكلم العربية فتأمل ....

سار بنا البلم بذلك البطء من الجانب العثماني فأصبحت المحمره امامنا ننظر اليها عن بعد فوجدنا فيها القصور الشاهقة والبنايات المنتظمة ثم تركناها الى أراضي ملأى باشجار النخيل ثم انتهينا الى خليج واسع تكاد تحسبه نهراً يعترض نهرنا وفي الزاوية الامامية بناية شامخة عظمى تدل على العظمة والفخامة لها باب فخيم قامت عليه النقوش الجميلة وكان فوق هذه البناية علم عظيم مرفوع هو علم الاسد والشمس الايراني فلم أشك ان هذا هو دست الامارة وكان هذا القصر الفخيم متصلاً ببنايات شتى فقيل لي هذه هي الفيلية

﴿ الفيلية ﴾

لما بلغنا الفيلية ونحن في الجهة المقابلة لنا حينئذٍ ترك البلامان رحيهما وجلس احدهما في الموخرة والآخر في المقدمة وجعلا يجذفان لقطع النهر فقطعناه بسرعة كلية ووقفا بنا امام تلك السراية العظمى فصعدت الى البرّ واذا بي أجد الجنود قائمة على الباب فأخبرت أحدهما اني ضيف مولاي سمو الشيخ خزعل خان فقال « أهلاً ومرحباً » وأخذ بطاقتي ودخل بها وما هو الا القليل حتى خرج رجل ممتلي الجسم قصير القامة فرحب بي أجمل ترحيب ودخل بي تلك السراي العظمى الى القسم المختص بالضيافة وأمر في الحال بأدخال حوائجي وما كاد يستقرّ بي المقام حتى وافوا اليَّ بالشاي ثمَّ عرفني الرجل بنفسه فقال انا من عمومة جناب الشيخ المعظم بوظيفة محافظ على

الفيليـة ووكيل سموه في استقبال الوفود والضيوف ومن عادة سموه انه يشرف صباح كل يوم الى السراي للاشراف على شؤون الملك بغير انقطاع الا في الايام التي يكون فيها سمو الشيخ مبارك في ضيافته فهو يضطر حينئذٍ للتأخر عن المجيء الى السراي ولكن بما انك من اخصاء سموّ الشيخ فاني أذهب اليه بنفسي في الحال وأرفع لسموه بطاقتك فشكرت الرجل على حسن رعايته وعنايته بضيوف مولاه وابن عمه وسار ويدعى هذا الرجل الجليل الشيخ يوسف

﴿ البلم الملوكي ﴾

غاب جناب الشيخ يوسف مدة نصف ساعة ثم عاد اليَّ وقال تفضل لمقابلة جنـاب الشيخ فنهضت مسرعاً فسار بي الى بلم مستطيل عليـه العلم الايراني وكان البلم مفروشاً بالطنافس العجمية الفاخرة عليها المساند الحريرية فتربعت في ذلك البلم وقلت:

بلم المليك شعاره الاسد العظيـ	ـم وضوء شمس نيرٍ وافي السنا
مفروش في غالي الطنافس في مسا	نده الحرير لمن توسد بالهنا
يسعى على شط العراق بخدمة الـ	شيخ الجليل بكلّ جدٍ واعتنا
ولكم تشرف في ركوب سموّه	وركوب من يسعى اليه بلا ونى
اني به اختال كبراً اذ يسيـ	ـر بنا الى من عنده كل المنى
الشيخ خزعل خير من حكم الانا	م وخير من حمل المهند والقنا
وخير من بذل الندى في جوده	وأعاد للفقراء أسباب الغنا
وهو الذي قهر العدى في حزمه	وبعزمه ونصيبهم كان الفنا

﴿ بين الفيلية والقصر ﴾

كنت أردد هـذه الابيات التي جاء بها الارتجال وانا أنظر الى الشط

الفارسي فمررتُ على دست الامارة ودار الضيافة . ثمَّ على جنائن غناء ثمَّ على ترسخانة قيل لي أقامها سمو الشيخ خزعل المعظم لتعمير مايحتاج اليه من البواخر واليخوت ووجدت باخرة تنشأ فيها وهي على أهبة النجاز فأعجبت بهذه الهمة وهذه النشأة وقلت لابدَّ لي من العود الى هذا المحل الصناعي

ثم مرَّ بنا البلم بباخرة تحمل العلم الايراني فقيل لي انها من يخوت سمو الشيخ اعزه الله

ثم مرَّ بي بيخت آخر بخاري أوسع من ذلك اليخت يحمل العلم الايراني أيضاً فقيل لي انه من يخوت سمو الشيخ أيضاً

ثم رأيت امامي القصر الملوكي وامامه رأيت يخت عظيم يحمل العلمين العثماني والايراني ومكتوب عليه بحروف جميلة عربية هذه الكلمات « يخت الشيخ مبارك الصباح » وحوّل بي البلام الى اليخت الصباحي بقوله ان سمو الشيخين ينتظراني فيه فصفق فؤادي طرباً

﴿ الدخول على الملكين ﴾

كان يخت مولانا الشيخ مبارك باشا غاصاً بخدم الشيخين واعوانهما الذين كانوا يتطلعون الى مرأى « صاحب العمران » ذاك الذي طالما ردّ كيد المنافقين وحارب الخائنين الذين سودوا صحائف الجرائد الخائنة بالمطاعن والا كاذيب على ذلك المولى العظيم والسيد السند الفخيم سمو مولانا وولي نعمتنا الشيخ مبارك باشا ابن الصباح .

ولما وقف البلم امام درجات اليخت تناولني من لا اعرفهم وحيوني فاذا هم سمو مولاي الشيخ حمد النجل الاصغر لسمو الشيخ مبارك مع أعوان وكتاب سمو أبيه وكان فيهم بعض وجوه البصرة الاكارم وساروا بي الى

ايوان اليخت حيث كان في صدره سمو السيدين النبيلين والملكين المظيمين الشيخ مبارك باشا ابن الصباح ومعزّ السلطنة الشيخ خزعل خان ولم أبلغ باب الايوان حتى نهض الشيخان تنازلاً للقائي وجبراناً لخاطري فأسرعت اليهما وقبلت راحاتهما وتلعثم لساني عن الكلام لهيبة المقام . ولقد رحب بي الشيخان اجمل واكمل ترحيب وكانا يدعيانني بالولد الحبيب وما أنا الا خادم أمين لهما وللعرب وللاسلام

﴿ القصيدة الخزعلية ﴾

وبعد ان سكن الشيخان حفظهما الله روعي بحسن تلطفهما استأذنت بانشاد قصيدتي الخزعلية ووقفت فتلوتها وقد طرزت اوائل أبياتها بحروف هذه الكلمات :

« سر دار أرفع معز السلطنة سمو الشيخ خزعل خان أمير تومان وحاكم المحمرة المعظم »

س سمت بي الى هذا الغرام عزائمي	ونفس ترى نيل المنى بالعظائم
ر رأيت فأحببتُ الجميل محبةً	حسبت بها والله أسمى المغانم
د دعتني معاني جمل للعشق دعوة	فلبيت مطواعاً ولست بنادم
ا أقامت على هجري وجارت بصدها	ولكنني أوفيت في ذي المغارم
ر رمتني فلم تخطئ بنبل جفونها	فكانت على قلبي كوقع الصوارم
ا أضاء سناء الوجه منها نخلته	لكالبدر في جعد من الشعر فاحم
ر روى الخمر عن حلو اللمى عن رضابها	بأن لا رجا في لثم ثغري لهائم
ف فداها أبي من ظبية في نفورها	لقد أهلكت شمل الاسود الضوارم
ع عنوت لها قهراً وما كنت قبلها	أطأطئ هامي للزمان المقاوم

م ممنعة بالطهر يحرسها التقى   مصونة بالعقل دون المحارم

ع على التيه والادلال ربت محبها   فما من فطورٍ في هواها لصائم

ز زممتُ رحال العيس سعياً لقربها   وانضيت نفسي في الهوى مع بهائمي

ا اليها طويتُ البحر طياً ولم اخف   عباباً لهُ في موجه المتلاطم

ل لفي النفس ما وسط السفينة من لظى   وفي العين ما في السحب في ذي الغمائم

س سها عن زفيري صاحب الوقد سهوه   والا لا بقي وقد فَخم المناجم

ل لو انتبه الربان حتما لمدمعي   لادرك اسرار الطواف المصادم

ط طمى البحر من دمعي وزعزع موجه الس   سفينة فانصاعت لهول الطلاطم

ن نرى أنها سكرى فمشيتها كما الـ   سكارى كذا كنا كصحب التنادم

ت تملك منا الضعف حتى أخارنا الـ   دوار فكنا بين مضنىً ونائم

س سعت هكذا فينا السفينة سعيها   لدار المنى واليمن دار الاكارم

م مضعضعة ما بين هول تموج الـ   بحار وزعزاع الرياح الصلادم

و ومن طلب العليا قد استسهل المنا   وهانت لديه مصعبات الدواهم

ا ألا كل خطب في لقى مجد خزعل   لسهل ولو في هول ملقى الضراغم

ل له الله من ملكٍ لقد ملك الورى   باحسانه لا بالقنا والصوارم

ش شمائله الحسناء كالمسك عرفها   وفاح شذاها في جميع العواصم

ي يردد فيه مدحه كل صادرٍ   ويذكر فيه حمده كل قادم

خ خذوا عن علاه ياذوي المجد والعلا   دروس الندى اذ كان أفضل عالم

خ خلا الله ما بعد الاله مكفل   سواه بأهل العدم في جود حاتم

ز زماني لقد لالا بزاهر نوره   وقد كان ذا لونٍ عبوس وقاتم

ع عزيمته ما ان تفلَّ فان قضى   فقل ذا قضا الرحمن ما من مقاوم

ل لآرائه قد اخضع الدهر عنوةً وآراؤه مجلي الدياجي القواتم

خ خلائقه كالراح عرفاً ونكهةً لكل محبّ مخلص ومسالم

ا أما واذا لاقى الاعادي فانها خلائق درغام مطير الجماجم

ن نواظره تغني عن النبل والقنا وتكفي لاهلاك الاعادي الضراغم

ا اذا ما امتطى متن المطهم للوغى فبشر اعاديه بخطب مداهم

م مهابته تملأ القلوب كحبه وذكر اسمه عند الورى كالتمائم

ي يناديه من يرجو أماناً لخوفه فيأمن في دنياه من كل ظالم

ر رحال الورى شدت الى عذب ورده كذا المورد السلسال جمّ التزاحم

ت تتوج هذا العصر في ذكر مجده وبات بيمنى الدهر اغلى الخواتم

و وامسى الى الاسلام اكرم ناصر وأضحى بدين الله افضل قائم

م محمّرّة نالت به غاية المنى وأمسى به ايامها كالمواسم

ا أقام بها أحكام شرعة احمدٍ على العدل فانزاحت ضروب المظالم

ن نمى ولقد انمى تجارة أهلها وشاد بها العمران عالي الدعائم

و ووفق حباً بالكتاب وأهله بحكمته الاعراب بين الاعاجم

ح حكى بالتقى والعلم أفضل راشدٍ علياً امامَ المسلمين الاعاظم

ا انا من علاه كل يوم بحكمة يحار بمعناها الخفي ابنُ حازم

ك كذلك ما ينويه ما فوق علمنا فلا تتخطاه رجوم الرواجم

م مآثره أبدت لنا كل مدهش وقد حيرت في وصفها كل ناظم

ا اياديه اولت كل راج سؤآله بوجه طروب للعطاء وباسم

ل لقد علمت كفاه للسحب جودها فجادت كما تهمي هوامي الغمائم

م محا قول أهل العلم والشعر جملة لقد باد أهل الفضل أهل المكارم

ح حمى العلم والاداب في جود كفه — وشرّفهم مذ كان اعلم عالم

م مقاماته زينت بكل مهذب — فقيه ونظام اديب وعاجم

ر رحاب له غصت بكل مهم — عليم ومولانا زعيم العمائم

ه همام تلالا مجده مع فخاره — وما ان لسامي مجده من مزاحم

ا أمولايَ ياسردار ارفع خزعل — ويا خير مفضالٍ ويا خير حاكم

ل لمغناك قد وافيت أضطلب المنى — وأنت مغيثي في الاماني وعاصمي

م ملكت قلوب الناس بالحلم والندى — الا فاجعلني بين تلك الغنائم

ع عظمت مقاماً في البرايا فليس من — عظيم اذا ماترتجى للعظائم

ظ ظمى بي الى تقبيل راحتك التي — لقد خلقت عدلاً للثم المباسم

م مناي َبمرآك السني قد بلغته — وشكري على مرّ الزمان بدائم

وكان سمو الشيخان يسمعان القصيدة ويظهران الرضاء والاستحسان والناس من الخارج ينادون «هذا والله قليل بمديح ابي جاسب» حتى اذا ما انتهيت من النشيد تقدمت فلثمت راحة مولاي معزّ السلطنة وسلمته القصيدة فتلطف بي حفظه الله ماشاءت الطافه ثمَّ رجعت الى موقفي السابق وقلت مرتجلا

خطاب ارتجالي

سيديّ

علم الناس أجمع في مشارق الارض ومغاربها بأني رجل عربي افتخر بجنسيتي العربية الشريفة وأفاخر بها العالمين خلافاً لاولئك الجهال من اخواننا العرب الذين لايعرفون شيئاً عن مجدنا وتاريخنا وفضلنا على العالمين . فمثل هؤلاء ليس فقط يستعرون من عربيتهم فيحتالون احتيالاً على التملص

منها تارة بترديهم الازياء الافرنجية وطورا باشابة فصاحة عربيتهم الشريفة برطانة الاعجام ليوهموا الناس انهم ليسوا منا. بل يزيدون على ذلك فيجاهرون بعداوة الامة العربية الكريمة بمعاداة ملوكها وامرائها و نصرة الغرب عليها وهذا منتهى الفساد في الجامعة القومية التي هي أساس الجوامع وفيها قويت كلمة الاسلام في صدر التاريخ الاسلامي

مثل هؤلاء المنافقين الخائنين لقومهم ودينهم كثير في هذا العصر لسوء الحظ وقد تهجم من هؤلاء الاغبياء كثيرون عليكما ياسيديَّ وعلى غيركما من ملوك العرب وامرائهم اما عن سوء قصد أو عن جهل بحقائق الامور أو عن تعصب أعمى خفقت كلمة الله عليهم

أما أنا — وما أنا الا عضو ضعيف جداً في جثمان المجتمع العربي — فقد قمت على ضعفي أكافح كل من يحارب قومي وأمرائي وملوكي لاني عربي « تصفيق عام » وقد جاهدت في هـذا السبيل كثيراً حتى توفقت الى مسألتين ثنتين احداهما اظهار نفاق المنافقين ببيان حقائق الحوادث التي اتخـذوها وسيلة للايقاع بملوك العرب وامرائهم وسلاطينهم وساداتهم وثانيتهما هي انني قدرت ان أعرّف العالم العربي المنتشر باطراف العالم في الشرق والغرب وفي أوروبا واميريكا بأن لهم ملوك وامراء عظام يركن اليهم ويعول في الشدائد عليهم « تصفيق استحسان عام »

وحتى أستطيع أن أزاول خدمتي المقدسة هذه تركت اهلي ووطني وسرت متجولا في البلاد العربية ولا حاجـة الى بيان مالقيته من الحفاوة والاكرام فان الكرم والضيافة ورعي الجوار الاخلاق الفاضلة قد خلقت في العرب دون سواهم ولعـمري اذا كان العرب يكرمون اعـداءهم اذا نزلوا

بينهم فكيف لا يكرمون خادماً أميناً لهم « فنادى الشيخان أعزهما الله بل ولداً حبيباً »

واني ياسيديّ أقدر ان أقول ان العناية الالهية مرافقتي في خطواتي وما ذلك ولا شك الا لحسن نيتي في خدمة الاسلام وانما الاعمال بالنيات ولكلّ امرءٍ مانواه

فمنذ ٢١ يوماً كنت متوجها من مسقط الى البحرين على أمل ان امكث في البحرين أسبوعاً ثمّ انتقل في الباخرة الثانية الى الكويت فألحّ عليّ صديقٌ لي وانزلني الى لينجه فبقيت فيها أسبوعاً وكانت نتيجة ذلك ان قدمت مع الباخرة التي لا تقصد الكويت بل تتوجه الى المحمره رأساً في الوقت الذي فيه لا يوجد باخرة لنقل الركاب من المحمره الى الكويت على ان هذا كله كان بتوفيق الله سبحانه لاني لو سافرت الى الكويت لحرمت لذة هذا الاجتماع الشهي بين ملكي العراق اعزهما الله « فنادى الشيخان أهلاً ومرحباً »

ولا أستطيع ياسيديّ ان أبين لكما فرحي بهذا الاجتماع وسروري بتآلفكما فاني أرى كما يرى كل عربي صادق لقومه ودينه ان كل اجتماع قوة وكل تفرق ضعف ولا سيما عندنا « تصفيق عام »

ولقد قضيت الليلة البارحة ساهراً لان عينيّ ابتا الغمض وانا بجوار ملكيّ وملكي العرب سمو الشيخ مبارك الصباح وسمو الشيخ خزعل خان اعزّ الله بهما الاسلام و بين عوامل الشوق والفرح نظمت بعض ابيات لا أعلم عدها وهي لم تزل في مسوّدتها فاسمحا لي بتلاوتها فانها بمديح سيدي وولي نعمتي سمو الشيخ المبارك . فتفضل الشيخان واذنا لي بتلاوة قصيدتي وهي:

﴿ القصيدة المباركة ﴾

لله في احكامه اسرارُ حارت بها الافهام والافكار
فاذا أراد الله نصرة عبده قامت له من دهره انصارُ
والحظ ان وافى امرءًا اوفى له حتى تسهل أمره الاقدارُ
فالحمد لله على نعمائه حمداً يردده التقي المذكارُ
سبحانه يدري الخفايا وحده لاتختفي عن علمه الاسرارُ
وهو الذي يجزي على قدر النوا يا من نوى الخيرات ليس يضارُ
والله يعلم انني في خدمة ال اسلام موف ما انا غدّارُ
أوقفت نفسي للاعارب امتي وهمو لخير المسلمين خيارُ
قومٌ لهم بالمصطفى وبآله فوق البرية سؤددٌ وفخارُ
وهمو الالى نشروا الكتاب على الملا فتعمم التوحيد والاذكارُ
وتبددت بهم عبادة غير خا لاق الورى وتشتت الكفارُ
وهمو الالى غلبوا القياصر والاكا سرَ عنوةً اذ حاربوا واغاروا
وهمو الالى قد دوخوا الدنيا وذا ع عنهمو الانباء والاخبارُ
وبهم تعمّرت البلاد وازهرت وتمصرت بعلاهمو الامصارُ
حكموا بشرع محمدٍ وبعدله حكما به قد انصفوا ماجاروا
والعلم ازهر في مرابعهم وفي انواره قد ضاءت الابصارُ
وهمو الالى شادوا التمدن وازدهى في سعيهم في الخافقين عمارُ
عنهم بنو الافرنج قد أخذوا التم دن والمعارف والعلوم وصاروا
هذا هو الشرف الصميم وقد بنى بنيانه آباؤنا الاخيارُ
أبقوا لنا ذكراً حميداً خالداً لايمحى أن يحسن التذكارُ

فلكل ذي نسب الى الاعراب فلـ يعمل لامته بما يختارُ
أما أنا فبخدمتي الكبرى بأن أثني عليك وما بذاك شنارُ
فلأنت ياشيخي المبارك خيرمن يرجى وأفضل من اليه يشارُ
أنت الذي حققت آمال الورى بفعالك الحسنا وهنَّ كثارُ
أنت الذي أيدت مجد العرب في الـ دنيا وفيك لهم أصين شعارُ
أنت المحارب فقرنا وعداتنا فتضعضعَ الاعداء والاعسارُ
فنراك يوم السلم تولي عن سخا ما ان يُسمّى بعضه إِيسارُ
ونراك يوم الحرب تبرز للعدى فرداً فيفنى العسكر الجرارُ
بشرت من صافاك للعليا فكا ن له الى متن السماك جوارُ
وبهلكه بشرت من عاداك يا خير الورى فسعى اليه بوارُ
كانوا الفداء لنظرة من مجدك الـ أسنى التي فيها الهناء السارُ
قد شاع حمدك في البلاد جميعها وتوجهت لجلالك الانظارُ
وحميد ما تأتيه قد لالا به الـ عمران وانتشرت به الاخبارُ
وشدا الانام مدائحي بعلاك في كل البلاد وذاعت الاشعارُ
لم يبق في الدنيا بلاد لم يذع فيها بأنك سيدٌ مغوارُ
وبأنَّ أهل العرب أنت عميدهم ولهم بفضلك سؤددٌ ووقارُ
وبأنَّ من عاداك عاداه الرسو لُ وآله والصحب والانصارُ
وبأنَّ من والاك والاه الالـ ـه على العدى وعلى القضا نصّارُ
وبأنَّ فضلك للبرية شاملٌ وبأنَّ جودك ديمة مدرارُ
وبأنَّ حلمك عن ترفع قادر والحلمُ أكثر من نراه خوارُ
وبأنَّ بطشك في حروبك للعدى في هوله تحصد الاعمارُ

سر حيث شئت فغير ذكرك لم تجد ذكراً به يتحدث السمارُ
فاذا دعوا فبطول عمرك سالماً ايعزّ للاسلام فيك ذمارُ
واذا رووا فبما لفضلك من يدٍ من دونها الانهار والابحارُ
واذا شدوا فنشيدهم زاهي مدي حك والصدى ذا العود والمزمارُ
عزّ الأولى نالوا رضاك اذا نأوا أو نالهم حظٌّ اللقا وجوارُ
يا ابن الصباح لقد زهت أفضالك ال غرُّ الصباح وقد كساها الغارُ
اني لفضلك عاشق متتيم قد تيمتني تلكمو الآثارُ
أفديك في روحي مليكاً يرتجى للمكرمات الغرّ وهي كثارُ
ما كدت أبلغ ذا المدينة زائراً الا وقيل بها المبارك جارُ
ضيف جليل في زيارة خزعل ال شيخ الجليل زيارة تختارُ
لو أنّ نفسي في يدي لوهبتها لمبشري هبةً بها الايثارُ
فالنفس هينة الفداء بسيد ملقاه فيه ميامنٌ ويسارُ
مولاي أنت ولا سواك مؤيدي وأنا بحمدك شاعرٌ نثّارُ
وأعدُّ ملقاك الحميد بخزعلٍ يمناً به قد جاءت الاقدارُ
فلأنتما بيت القصيد وانما للعرب دون المالكين فخارُ
ان العراق لفيكما قد بات في حرز فليس تناله الاخطارُ
والله أسألُ أن يديم ولا كما لتعزّ فيكما للرسول ديارُ
وانا بهذا اليوم مغتبط الفؤا د لانني لكما العزيز الجارُ

وقد كان لهذه القصيدة من حسن القبول لدى سمو سيديّ الشيخين الجليلين ما تعودت ان أراه منهما أعزهما الله من قبل واني لاعجز عن بيان ما شملاني به من الاكرام والانعطاف والالطاف

﴿ نزول صاحب العمران ﴾

ثم اختلف الشيخان أعزهما الله في امري وهما اللذان لم يتسرب الى فؤاديهما اختلاف لانهما روح في جسدين وما اختلافهما الا لرغبتهما في زيادة اكرامي فسمو مولاي وولي نعمتي الشيخ مبارك امر ان ابقى عنده في يخته المبارك وسمو مولاي وولي نعمتي الشيخ خزعل رأى أن يكون نزولي في قصره المنيف ثمَّ خيراني

فاحترت في امري واني خادم الـ ... شيخين حيرة من أتاه خيارُ
ونظرت للملكين نظرة شاكر ... مثنٍ وقلت انا فلا أختارُ
فتبسم الملكان نسمة مرتضٍ ... عني وقد حدجتنيَ الانظارُ

وقالا « اما نحن فلا نختلف وكلانا روح في جسدين اما حوائجك فهي باحدى غرف القصر لانك منا فلا نرى أن تقيم في دار الاضياف بعيداً عنا ولك ان تتنقل بين اليخت والدار طالما انت في هذه الديار » فشكرت وحمدت ودعوت ثم استأذنت فسار معي من نقلني من اليخت الى البلم الى القصر حيث اخذت قسطاً من الراحة ثم امرت خادمي « فمعر المدعه » وجلست لحررت هذه الرسالة للعمران

عن القصر الخزعلي العالي في الفيليه في ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٢٥

عبد المسيح انطاكي

الرسالة الثالثة

« نشرت فى العدد ٣٥٨ من العمران الجزء ٢٨ من المجلد الاول »

(الصادر في ١٣ صفر الخير سنة ١٣٢٦)

حلم لطيف

اذا طرب الانسان وانشرح صدره ينام نوماً هنيئاً هادئاً وقد يرى الاحلام اللطيفة المبهجة فتزيده ابتهاجاً وسروراً وهكذا تمَّ لي فاني بعد ان تناولت طعام الغذاء في يوم الاربعاء ١٩ ذي القعده عدت الى غرفتي بالقصر الملوكي ونمت نوماً هادئاً لذيذاً هنيئاً نحو الساعتين رأيت فيهما في الحلم اني في دمشق الشام في مجلس طرب جمع سرباً من بنات الهوى المغنيات ترأسهنّ غادة حسناء طويلة القوام ممتلئة الجسم بيضاء اللون سوداء الشعر ذات عينين سوداوين جذابتين يتوسطهما أنف كالسيف ينتهي عند فم كخاتم سليمان يبسم عن سمط لؤلؤ منظوم بين غمازتين في طرفي الشفاه تحتهما ذقن تمَّ فيها استدارة ذلك الوجه الجميل كاستدارة البدر في ليلة تمه يحمله عنق يشعُّ كشعاع الشمس فوق صدر كالمرمر برزت منه رمانتان تناديان جلّ من صور. نعم ورأيت نفسي بين يديها ومن حولنا ضرائرها ينشدن ويلعبن ويرقصن وهكذا قضينا ليلنا سهراً . وكانت هذه الحسناء واسمها جميله كثيرة التجني والدلال لا أكاد أستعطفها حتى تنفر فاحترت في أمري وحار فيّ العواذل وما زلنا كذلك في صفاء وانشراح الى أن أصبح الصباح . وعند مالاح نور الفجر ارفضّ اجتماعنا وخرجت متأثراً من مجلسي الى الفندق الذي أنا نازل

فيه وجلست الى مكتبي ونظمت بعض الابيات أستعطفها بها (اه)

وبينما أنا في هذه الحالة واذا انتبهت لنفسي فاذا بي في المحمره على بساط سيدي ومولايَ معزّ السلطنة الشيخ خزعل خان فضحكت لهذا الحلم وتفكرت الابيات التي نظمتها لحضرتي فقلت أتمها بمديح سيديّ الشيخين الجليلين صانهما الله لمجد الاسلام وأجعلها سمار هذه الليلة

قصيدة الحلم

وفي الليل شرف سيدنا ومولانا صاحب السمو الشيخ مبارك باشا ابن الصباح من يخته العالي الى بهو الاستقبال في القصر الخزعلي العالي يحفّ بسموه وزيراه وضيوفه وبعض وجوه البصرة وفي ركابه عدد من الجنود ولما أشرقت أنواره السنية هبّ لاستقباله سمو سيدنا ومولانا الشيخ خزعل خان وضمّ المكان حاشية الملكين من وزير وكبير وفقيه وشاعر وأديب وبعد ان دارت المباحث الادبية وانتقلنا من دور الادب الى دور الفكاهة استأذنت وقصصت منامي وشرحت مافي الشام من القينات المغنيات وانهنّ منتشرات في سوريا ومصر وذكرت شرحاً طويلاً عن حالة الشأم الجدية والهزلية ثمّ ذكرت اني نظمت في الحلم بعض الابيات وهذه أول مرة نظمت فيها وأنا نائم فضحك من في المجلس ثم أذن لي سيدايَ بانشاد قصيدتي فقلت :

ياليلة بالهنا أحببتها عودي	بين المدام وبين الناي والعودِ
رمين كلّ فؤاد في الهوى كلفاً	فلا ترى غير مفتون ومعمود
اسكرننا بجمال جلّ خالقه	لقد تنزه عن شبه وتقليد
حور الفراديس لأهل الحب قد هبطت	على الانام باشكال الظبي الغيد
كانهنّ نجوم الافق مسفرة	أحطن بالبدر في أثوابه السود

شبهتها بضياء البدر عن حصر   من اين للبدر حسن الخد والجيد
ماهذهِ بشر لكنها ملك   جاءت من الملأ الاعلى لتنكيدي
والله قد عرفت قدر الجمال فصا   نته بكبر وحقٌّ الكبر للخود
اجهدتُ نفسي لاحظى في تبسمها   فلم انل غير اكباتٍ وتهديد
والله مارحمت قلبي ولا نظرت   الى بكائي واسقامي وتنهيدي
سبحان خالقها الاعلى فقد خلقت   من اللطافة في قلب كجلمود
تعودت ان ترى اهل الغرام وما   فيهم سوى مغرم عانٍ ومجهود
او انها زعمت انّ الجمال له   على العباد جميعاً حقّ معبود
ياجملُ عطفاً على المضنى وواتلفي   ان لم تجودي بوصل منك محمود
ياجملُ حتى متى هذا الدلال وما   القى من الحزن في نوحي وتسهيدي
ياجملُ حتى متى هذا الجفاء وهل   اقضي مدى العمر في اذلال مبعود
اغرى العدى جلدي في ذا البعاد فاض   حوا يحسدوني وهل مثلي بمحسود
ادنو اليك فتنئيني بلا سبب   فانثني هائماً مفجوع في البيد
ان كان اسمي (١) هو القاضي على املي   هيّ اختتنيني وسميني بداود
يابنت موسي ظلمت الناصريَّ بسلـ   وى الحب والتيه مع منٍّ وتبعيد
والله فرعون لم يحلم بظلمك لي   فقد قضيت بابعادي وتقييدى
الله اكبر من جور الحسان وذ ا   ل العاشقين ذوي العليا الصناديد
ورحمة لاسود الغاب يأسرها   ظبي نفورٌ بالحاظ له سود
أواه أواه قد كنت الشجاع فأم   سيتُ الجبان بقلب خار رعديد
قد كنت القى العدى من غير ما وجل   بفاتك من حسامي غير مغمود

---

(١) أي عبد المسيح والمغنية يهودية وداود اسم احد انبياء اليهود عليهم السلام

فبتُّ والنظرات النجل ترهبني وما أنا في الهوى العذري بمنجود
لا تعجبوا يا أهيل الودِّ من كلفي فانني هائم بالمجد والجود
بحبِّ شيخين قد سادا بفضلهما على البرية في حزم وتسديد
هما وحقكمو فخر الاعارب والا أعجام بل كل ذي تقوى وتوحيد
لولاهما ماراى الاسلام نشأته ولا استعاد فخاراً غير موجود
صانا بعزمهما ملكاهما فهوت اطماع كل طموع من بني السيد
والله زانهما في كل محمدة وكل عزٍّ واقبال وتمجيد
قد جددا لكتاب الله زهوته بين العباد وقد لالا تجديد
فصدر الفضل مولاي المبارك قد عمت مدائحه الحسنا بتعديد
والشيخ خزعل ربُّ الفضل قد جليت آثار همته في كل مشهود
وكان من حسن حظ المسلمين بان لالا اتحادهما من غير تحديد
روح بجسمين فيها المسلمون غدوا في منعة ذات اقبال وتسويد
فالله أسأل ان يبقيهما أبداً للمسلين باجلال وتخليد

وقد طرب سمو سيديَّ الشيخين الجليلين وطلبا مني ان لا اتأخر عن رؤيا مثل هذه الاحلام الجميلة .

ثمَّ قضينا برهة من الليل بين الاحاديث الهزلية والفكاهية والادبية على النحو الذي يعهده القراء في عصر العباسيين وقد تجدد بحياة هذين الملكين الجليلين ثمَّ عاد سمو مولانا الشيخ المبارك حفظه الله بحاشيته الى يخته وارفض المجلس والشكر ملء الافواه والقلوب

﴿ سمو ولي العهد ﴾

وفي صباح الخميس ٢٠ ذي القعده استأذنت سمو مولانا وسيدنا معزّ

السلطنة الشيخ خزعل خان بالمسير الى المحمرة لتقبيل راحات سمو مولاي نصرة الملك الشيخ جاسب خان أكبر انجال سموه وولي عهده فاذن لي سموه بذلك واوفد معي أحد اخصائه لمرافقتي في الطريق وركبنا البلم الملوكي فسار بنا في شط العراق مدة ثلاث ارباع الساعة وانزلنا في دار الكمرك ومنها خرجنا لسراي سمو ولي العهد حفظه الله تعالى

أما السراي فهي على شط العراق حسنة البناء نخيمة الرياش وفي حال دخولنا أستقبلنا حضرة الفاضل الميرزا عبد المجيد خان وهو كاتم أسرار سمو ولي العهد وهو شاب في نحو الثلاثين من عمره أديب خبير في الشؤون العمرانية والادارية زار مصر وأوروبا أكثر من مرة ولما عرفني رحب بي بكرم خلقه أجمل ترحيب وسار بي الى صاعة الاستراحة ثمَّ خرج في طلب الاذن وعاد فدعاني لحضرة سموه فدخلت في ايوان واسع مفروش أجمل فرش وكان في صدره سمو مولاي نصرة الملك وهو شاب في نحو السابعة عشرة من ربيع عمره الزاهر ولكن عليه من سيماء الرصانة ودلائل الحنكة والاختبار مالا يكاد يكون في الشيوخ فنهض سموه تنازلا لاستقبالي ورحب بي بكرمه العربي وسألني عن مصر وغيرها من بلاد أوروبا فاذا سموه على اطلاع واسع . وبعد أن شربنا الشاي أستأذنت سموه بالقاء قصيدتي بين يديه فأذن فوقفت وقلت :

﴿ قلائد العقيان ﴾

« بمدائح سمو مولاي جاسب خان »

اذا ما نأى عني الحبيب المصاحبُ	سعيت له والشوق في الصدر غالبُ
وانضيت عيسي في سبيل لقائه	وما أرهبتني في مسيري المعاطبُ

فان كان مافوق المجرة ثاوياً ... فاني لها أي والمحبة واثبُ
وما الحب ان يشكو الحبيب جوى النوى ... ويحيي الليالي وهو للدمع ساكبُ
فان البكا والنوح والندب والشكا ... قد استأثرت فيها الحسان الكواعبُ
من العار والاهوان ان يثنني النوى ... عن الملتقى أو أن تضيق المذاهبُ
وقد كنت لا أخشى المنون اذا سطت ... وكم في ظباها كافحتني الكتائبُ
فيا جملُ مهما شطّ عني مزارك الـ ... ـملالي فاني للتقرب طالبُ
وان عارضتني جزتها في عزيمتي ... عوارض في هذا الغرام صعائبُ
وان كان في لقياكِ موتي فحبذا ... فاما حمامي او تذلّ المصاعبُ
كما تعلمي عن همتي في ارادتي ... فما صدني هذا الزمان المحاربُ
سأطوي البراري غير وانٍ وخائبٍ ... الى حيث تعيا في مسيري الركائبُ
واقطع لجات البحار بلا ونى ... وان قاومتني موجها والعبائبُ
واستسهل الاخطار فيك وانما ... على قدر المرغوب تسمو الرغائبُ
واهزأُ باللاحي الملحّ وما لحا ... واسخر بالواشي لما انا ذاهبُ
لكلّ هوى واشٍ ولاحٍ وعاذلٌ ... ولكنما الخلّ الوفي لايجاوبُ
يمرُّ على لغو الملامة والاحا ... كريماً ويحدوه الى العشق واجبُ
عشقتُ كريماً أريحياً مبجلاً ... لقد خجلت من راحتيه السحائبُ
تعهدني حتى بلادي بفضله ... ومن جوده قد واصلتني المكاسبُ
هو خزعل السردار أرفع حاكم الـ ... ـمحمّرة الزهرا الامام المصاحبُ
هو المحسن الجواد تغني عفاته ... على كثرهم افضاله والمواهبُ
يجود بما يقنى فلو أنّ نفسه ... لفي كفه لاجتازها وهو واهبُ
جواد وحتى في نفوس عداته ... لتشرب منها نبله والقواضبُ

تراه وباسم الله ان سار للعدى ... تبددهم لحظاته والحواجبُ
شهاب لقاه الاسد في حومة الوغى ... كذلك منه الدهر خاش وهائبُ
لقد عزّ فيه كل خلّ وصاحب ... وفي بأسه ذلّ العدوّ المحاربُ
على الجود والاحسان والمجد والعلا ... تربى ابنه السامي المؤثل جاسبُ
فتىً ليس كالفتيان في حسن خلقه ... وخلق له عالي المبادي مجاوبُ
لهُ في المعالي والعوالي شمائل ... وفي جوده السامي المعاني مناقبُ
حكى بمساعيه الجليلة والداً ... عظيماً بأيديه تنال الرغائبُ
سعوتُ له سعيا على الرأس طالبا ... رضاه فان يرضى فما انا خائبُ
وهانت لديّ في زيارة أرضه ... وتقبيل أيديه الهوامي المصائبُ
لقد خضتُ لجّ البحر سعيا لملكه ... وبي طوت الامصار تسعى الجوائبُ
فكن جاسب العليا لمولاي خزعل ... وسيطا فاني في معاليك كاسبُ
وانت لنا في ظلّ اكرم والدٍ ... كريم تجلّى في ذكاه المعاطبُ
وانت لنا في ظله قبس المنى ... اذا ماتجات في البرايا الغياهبُ
وعنكم رسول الله قد بات راضياً ... وفيكمو يا أهل المفاخر راغبُ
وأرضيتمو بالفضل أمة أحمد ... ان اختلفت أجناسها والمشاربُ
فما منهمو الا شكورٌ وحامد ... وحاضرهم يروي الثناء وغائبُ
اليكم وفود الناس تسعى تزلفاً ... وكلهمو بالجود والرفد آئبُ
فلا زلتمو للناس منتجع المنى ... تظلهمو منكم ربوع رحائبُ
ولا زالت الايام تخدم سؤلكم ... وليلاتها فيهنّ تزهو الرغائبُ

وكان لقصيدتنا اجمل وقع باسماع سمو مولانا نصرة الملك فأثنى عليّ بما شاء ادبه وفضله ثمّ قال « انت الولد الحبيب لدى مولانا الوالد ولدينا

ومثلك لايحتاج الى كلمة وصاية وانت الوحيد المتفاني في خدمة العرب بينما نرى الاكثرين من قومنا يضطهدوننا أصلحهم الله » وهي كلمة حكيم صادرة عن فكرة عليم ثمّ أمر سموه جناب الميرزا عبد المجيد السابق الاشارة اليه ان يسير بنا في المحمرة اليرينا المدينة فشكرنا هذه العاطفة الملوكية وقبلنا راحته شاكرين فودعنا اجمل وداع وقال حفظه الله « اننا سنراكم بدست مولانا الوالد المعظم قريباً »

التجوال في مدينة المحمرة

ان مدينة المحمرة قائمة على الضفة الفارسية من شط العراق وهي الضفة اليمنى للقادم اليها وهي على الشط نفسه وهذه المدينة هي عاصمة امارة المحمرة التي سنجيء على ذكرها فيما بعد ان شاء الله تعالى

وسكان نفس مدينة المحمرة يبلغون الثلاثين الفاً واكثرهم مسلمون واكثر مسلمي المحمرة من الشيعة وفيهم القليل من اهل السنة . وفي المدينة بعض اليهود وبعض النصارى وهم تجار وصناع ومع المسلمين على اتمّ وفاق

ولقرب المحمرة من البصرة والمسافة بينهما ساعة في الباخرة وساعتان في الزوارق البخارية واربع ساعات في البلم كان ارتباط المدينتين بالتجارة كبيراً والمواصلة بينهما عظمى

ولما كان سمو مولانا معزّ السلطنة من رجال العصر المتنورين العاملين على رقي وعمران البلاد شمر من يوم تربعه على دست الامارة عن ساعد الجد لخدمة بلاده اولاً بنشر راية الامان ثانياً ببسط ظلّ العمران مما سنفصله للقراء فيما بعد

اهم بنايات المدينة

سار بنا حضرة الميرزا عبد المجيد في الشارع الخزعلي وهو شارع مستطيل على شط العراق يبلغ عرضه نحو الثلاثين متراً ومرصوص اجمل رص ومنار بالانوار الكازية وقد اقام عليه سمو مولانا المعظم بنايات جميلة حجرية ذات ثلاث ادوار يؤجرها لاغنياء المدينة بأسعار متهاودة والجلوس في شرفات هذه البنايات يستقبلها شط العراق الشهير على جماله وتسير به المراكب والبواخر والبلايم بلا انقطاع مما يروق الناظر ويسر الخاطر فلا عجب اذا حسدت سكانها كما اني احسدهم على سمو مليكهم وعدله وفضله وكل ذي نعمة محسود

اسواق المدينة

ثم دخل بنا اسواق المدينة فاذا هي متسعة ومستقيمة ومبنية الدكاكين فيها على طرز هندسي واحد جميل بناها سمو مولانا المعز ابقاه الله وسموه يؤجرها للتجار والباعة بأسعار متهاودة

فمررنا بهذه الاسواق المفروشه بالبلاط فاذا هي مقسمة فما هو للتجارة وما هو للبياعين وما هو للبقالين وما هو للصناع الخ الخ . ثم دخل بنا الى عدة خانات « وكالات » لكبار التجار « الذين يتاجرون بالمحصولات والمنسوجات بالجملة » ثم سار بنا الى سوق الخضار وهو سوق جميل وفيه ساحة واسعة أنعم بها سموه على الفقراء ليعرضوا فيها ما يأتون به من الخضرة والغنم والدجاج والطيور والاسماك بغير مقابل اما الدكاكين المبنية من حولها فلها اجرة زهيدة

وفي الحقيقة اني اندهشت غاية الاندهاش من عمران مدينة المحمرة المحمية وما رايت فيها من الحركة التجارية الدالة على الامان والعمران السائدين فيها

ثمّ زرتُ دائرة الـكمرك فاذا هي ذات بناية واسعة وعليها العلم الايراني « الاسد والشمس » وواردانه للحكومة الفارسية وكبار عماله من البلجيك كما ان عمال جميع الـكمارك الايرانية على الاطلاق من البلجيكيين

وبجانب الـكمرك دار مندوب الحـكومة الايرانية وهو بصفة قومسيير فوق العادة ولا عمل له يقيم في مدينة المحمرة والغرض من وجوده هناك مجرد اعلان سيادة الحـكومة الايرانية على المحمرة كوجود دولتلو مختار باشا الغازي في مصر اعلاناً لسيادة دولتنا العلية على القطر المصري سواءً بسواء

﴿ الاحكام في المحمرة ﴾

أما الحاكم الحقيقي في المحمرة فهو مولاي نصرة الملك سمو الشيخ جاسب خان ولي عهد الامارة وكبير أنجال سمو مولانا وولي نعمتنا معزّ السلطنة بأمر سمو مولانا والده وتصديق جلالة الشاه المعظم الذي أنعم على سموه بلقب « نصرة الملك »

وسموه يحكم بين الناس بالشرع المحمدي الانور بمعاونة قضاة من علماء الشيعة في المسائل التجارية والحقوقية والجزائية الجزئية أما القضايا الـكلية فترفع لاعتاب سمو مولانا وولي نعمتنا المعز المعظم فيفصل فيها بحكمته السليمانية ورويته الوقادة حفظه الله مناراً للعدل

﴿ الامان في المدينة ﴾

أما الامان فحدث عنه ولا حرج وقد حدثني من اجتمعت بهم من الاهلين انهم لم يروا ولم يسمعوا من آبائهم بأن الامان ساد يوماً على مدينتهم كسيادته في عهد سمو أميرهم وحاكمهم المعظم الى ان قالوا ان دخلت اعماق أفئدتنا لا تسمع الا الدعاء المستطاب بطول حياة سموه فخراً وذخراً للبلاد

العلم في مدينة المحمرة

وانتقل بي بعد ذلك الى عدة كتاتيب ابتدائية تعلم القرآن الشريف واللغة العربيـة قراءة وكتابة صرفاً ونحواً مع الحساب والجغرافيا ومبادي التاريخ الاسلامي واللغة الانـكليزية وأبلغني جناب الوزير عبد المجيد أن سمو مولانا المعزّ يفكر بتأسيس مدرسة عالية وربما شرع في ذلك قريباً وأخبرني أن في المدينة عشر كتاتيب كالتي ذكرناها وتلامذة كل كتاب يتراوحون بين المئة والمئة وخمسين تلميذاً وكلهم يتعلمون مجاناً على نفقة مولانا المعز

الاذان

وبلغنا الظهر ونحن في المدينة فسمعت لاول مرة آذان الشيعة فيها بلسان عربي فصيح لانني وأنا في لينجه كنت أسمع المؤذنين يأذنون ولـكنهم من الاعجام فما كنت أفهم جيداً ما يقولون ويختلف آذان أهل الشيعة عن آذان أهل السنة بزيادة كلمة « أشهد أن علياً أمير المؤمنين ولي الله » وبعد تلاوة الشهادتين . ويختمون الآذان بقولهم « حيّ على خير العمل » وكلا الزيادتان لاأرى فيهما ما يمسّ جوهر الدين كما لاأرى بين الشيعة والسنة غير بعض اختلافات تاريخية وفق الله بينهم

جوامع المدينة

واقد تجولت حول جوامع المدينة ومساجدها وتبلغ العشرة فاذا هي حسنة البناء وبعضها قد شيد على نفقة ساكن الجنان الشيخ جابر خان وبعضها على نفقة ساكن الجنان الشيخ مزعل خان وبعضها على نفقة سمو مولانا وولي نعمتنا المعز المعظم الذي رممها كلها وسموه يتعهدها كلها بماله

في كل وقت فيجدد أبسطتها وطنافسها وينفق على تنويرها وخدامها جزاه الله خيراً

﴿ الرجوع الى السراي ﴾

وبعد اذان الظهر ودعت حضرة الميرزا عبد المجيد وشكرته على عنايته وطلبت منه أن يعرض على سمو مولاي ولي العهد آيات شكري وحمدي وعدت الى البلم الملوكي فسار بي الى السراي الملوكية حيث تناولت طعام الغذاء واضجعت قليلاً ثم نهضت الى مكتبي فحررت هذه الرسالة الى العمران وأنا معجب بهمم سمو مولاي أبي جاسب وهمم سمو نجله المحبوب النجيب حفظهما الله مع بقية الانجال الفخام

المحررة في ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٢٥ عبد المسيح انطاكي





معز السلطنة سردار ارفع سمو الشيخ خزعل خان

ملك له صبت النفوس وانما ملك القلوب بجوده وجلاله
ملك لقدساد الورى في حزمه وبعزمه وبأسه ورجاله
هذا هو المولى المعز المرتجى الشيخ خزعل من سما بكماله
فالله اسأل ان يديم فخاره للمسلمين بباهرات خلاله

الرسالة الرابعة

﴿ نشرت في العدد ٣٥٩ من العمران الجزء ٢٩ من المجلد الاول ﴾

« الصادر في ٢٧ صفر الخير سنة ١٣٢٦ »

سمو مولانا المعز

آن لي على ما أرى أن أصور بقلمي لقراء جريدتي العمران الاكارم سمو سيدي ومولاي معز السلطنة سردار ارفع الشيخ خزعل خان وانا بين يديه منذ يومين ترعاني عين عنايته وتشملني توجهاته العالية وافضاله المتوالية

فسمو مولاي المعز أعزه الله وأبقاه كهل في الخامسة والاربعين من عمره الزاهر وفي السنة الخامسة عشرة لامارته خلدها الله تعالى

ملامح سموه

وسموه أعزه الله وابقاه ربعة في القوام ممتلي الجسم ابيض البشرة اسود الشعر مستدير الوجه أقنى الانف كث اللحية يقصها فلا يتركها تستطيل ذو عينين سوداوين جذابتين بشوش الوجه لا يكاد يقع نظرك عليه الا وتلقاه ضاحكاً مبتسماً

سبحان من قد زانه بسنا الجما ... ل وانما الخيرات في الوجه الحسن

فاذا صبت هذه القلوب فحقها ... تصبو لمولاها المعز وتفتتن

أخلاق سموه

عزم وحزم مع سياسة قادرٍ ... و بشاشةٌ ومكارمٌ وجلالُ

هذي صفات مليكنا السامي الذرى ... و به وحقك تضربُ الامثالُ

فبها القد ساد الورى وبها اعتلى　　فوق الملوك وما بذلك جدالُ

لم أرَ عدا مولانا المبارك اعزه الله ملكا جمع الى رقة العواطف حزم الابطال والى بشاشة الطلعة عزيمة الرجال الا سمو مولانا معزّ السلطنة حفظه الله فقد جمع بين الاضداد ليكون آية العباد وحديث القوم بالمحامد في كل ناد فمولانا المعزّ في يوم السلام اذا اعطى اغنى واذا حدّث اعجز يحلم عند المقدرة ويصفح عن المسيء تعاليا ويعنى بالبعيد والقريب شفقة وحنانا وفي يوم الحرب اذا جال صال وبدد في عزمه الرجال واذا تصدى للاعداء بشرهم بالفناء بغير مراء

معارف سموه

وهو عدا هذا وذاك شاعر مطبوع له منظومات لو تليت على الجماد لتأثر ولو انشدها في محضر من الناس اسكر وهو في النثر الفيلسوف الحكيم الذي اذا كتب اراك الآيات البينات من معجز السجع ومدهش الكلام المرسل في معان لم تخطر الا على قلب فيلسوف كسموه حاب اشطر الدهر وعرف خله والخمر

وهذا كتابه المسمى بالخزعليات وهو الكتاب الذي حوى من غرر الحكم ودرر النصائح ما كان له اعظم وقع في نفوس العلماء والحكماء وهو مطبوع في مصر منذ خمس سنوات ومنتشر بين الخاص والعام وله في دولة الاقلام اسمى مقام

وسموه يحسن من اللغات العربية بفروعها كالصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع والعروض وهو متشرع بالشرع المحمدي الانور وقانوني عليم بالقوانين الموضوعه وفوق ذلك فهو عليم بالجغرافيا والتاريخ ولا سيما التاريخ

الاسلامي والحساب . ويحسن من اللغات الفارسية والتركية قراءة وكتابة وتأليفاً وترجمة وله المام بالانكليزية فضلاً عما حباه الله من توقد العزيمة وبداهة الخاطر حياه الله

مجالس سموه

اما مجالس سموه فهي على الغالب بين العلماء والشعراء والادباء يذاكرهم بكلّ فنّ ومطلب . حتى اذا خلا من المجالسين والندماء غاص بين المحابر والاقلام مطالعاً ومؤلفاً وناظماً كل هذا وهو ساهر على شؤون ملكه وتعميم الراحة والامان في بلاده بحيث ليس في ملكه الواسع من يشكو مغرماً او يلهج بغير الحمد والشكر والثناء وصادق الدعاء بحفظ وصيانة سموه

كرم سموه

أما كرم سموه فمما يفوق الحصر والعد

كريم اذا أعطى العفاة كفاهمو — أذى العدم والاملاق والذل والفقر
يجود بثغر باسم وبشاشة — ويعطي ألوف الدرّ في كامل البشر
ولا يرتضي مدحاً على بذل ماله — ويأبى بأن يصغى الى الحمد والشكر
أشاد بيوتاً عاليات صروحها — بآثاره الزهرا وآلائه الغرّ
وعزّ الالى فازوا برضاه عزة — وباتوا على النعمى بافضاله الكثر

وبعد فان سمو مولانا أعزّ الله به الاسلام وبلغه من دنياه أقصى مرام قد اشتهر بالجود والاحسان واعتنائه بمساعدة بني الانسان شهرة ملأت العراق والشام وتعدتها الى مصر وأوربا وكل مكان ولذلك دعاه عارفوهُ غرة مفرق الايام ودرة تاج الكرام وعماد المسلمين والاسلام

واني لاعجز ان أصف سموه وهو بين الالوف من عفاته يأمر لهذا

بكذا ويأمر لهذا بكذا وكذا وهو متهلل فرح كأنه يأخذ الذي يعطيه وينال الذي يوليه فبارك الله فيه

وقد قصد سموه الكثيرون من أهل العلم والادب والشعر حتى أصبح بحق قبلة العلماء وكعبة الشعراء وما منهم الا الذي نال رفده واستعان بجوده على الايام

هذا عدا الوف الالوف الذين يقصدونه من كل صوب وحدب من القبائل البادية وأهالي البصره وبغداد وما جاورهما في كل يوم فيعودون جميعاً وهم مجبورو الخاطر شاكرو غرر المآثر وسامي البوادر

وعلى ذكر «جبران الخاطر» اقول ان سمو مولاي الشيخ خزعل خان لا يرضى ان ينصرف من حضرته أحد غير مجبور الخاطر حتى ولو أساء اليه بسوء تصرفه الى درجة كان يدهشني بها وكان أعزه الله يقول لي: «ان من أصعب الامور لديّ أن ارى أحدا منكسر القلب غير مجبور الخاطر ولذلك يدعوه قومه بلقب «جبار الخواطر»

﴿ معيشة سموه ﴾

وقد رتب سمو الشيخ خزعل اعزه الله اعماله على حسب الساعات حتى لا يضيع عليه الوقت فسموه ينهض باكراً جداً على صوت المؤذن في الصباح فينهض اولاً الى صلاة الفجر ثمّ يتناول طعام الفطور وبعد ذلك يذهب الى دست الامارة فيكون فيها الساعة الواحدة عربية صباحاً اي بين الساعة السادسة والسابعة افرنجية ويجلس هناك الى الظهر ناظراً في شؤون العباد يفصل خصوماتهم ويوفق اختلافاتهم ويحكم بينهم بالعدل بشرع المصطفى صلى الله عليه وسلم

وعند الظهر يعود على البلم الملوكي الى القصر فيصلي ثمَّ يتناول طعام الغذاء ثمَّ يأخذ قسطاً من الراحة و بعد ذلك يجلس الى مكتبه والكتاب من حوله فيأمر بما يجب كتابته من تحارير الامارة الرسمية ثم ينظر في المعروضات المرفوعة الى سموه فيجري ايجابها ويظلُّ كذلك الى ان ينادي المؤذن بصلاة العصر فينهض الى الصلاة و بعد الصلاة يخرج لاستقبال ضيوفه الكثيرين من أهالي المحمره ومن وجوه البصرة واعيانها وغيرهم وفي هذا الوقت يستقبل عفاته ومريديه وقصاده ويأمر باحساناته التي لا تعد ولا تحصى

وفي الغروب ينهض الى الصلاة فيصلي بخشوع ثم يتناول طعام العشاء مع ضيوفه و بعد ذلك يجلس للعلم والادب والشعر فيلتفُّ من حوله العلماء والشعراء والادباء و بعضهم من خاصته والبعض الآخر من الوافدين عليه من علماء النجف وبغداد والبصرة ثم ينشد الشعراء بين يديه ماقالوه في مدحه . وعادة شعراء العراق والعرب عموماً انهم ينشدون قصائدهم بالترخيم ويظل كذلك الى نحو منتصف الليل . ثمَّ ينهض سموه و يرفضُّ المجلس

وقد أذكرني مجلس سموه هذا بعهد الخلفاء العباسيين وكيف كانوا يطارحون العلماء العلم وينشدون الشعر ويقترحونه ويعلون منزلة الادباء والشعراء و يجلون قدر العلماء . فلله درّ المعزّ وقد احيا بفضله عهداً كنت اخاله مفقوداً وجدد لنا مجداً كان قديماً فأصبح جديداً والحمد لله على ذلك حمداً كثيراً وقد اقرّ الله عين العلم والادب والفضل بسموه فلا زال لنا سيداً خطيراً

﴿ يوم ٢١ ذي القعدة ﴾

و بعد فعلينا ان نتتبع مباحث سياحتنا التي تبهج فؤاد كل عربي مسلم يغار على قومه فقد قضينا يوم ٢١ ذي القعدة بمعية سمو مولانا الشيخ خزعل

المعظم بين يخت سمو مولانا المبارك أعزّ الله به الاسلام ودست الامارة والقصر المنيف وفي الليل شرف سمو مولانا الشيخ المبارك حياه الله الى القصر الخزعلي العالي واجتمع الجمع يتصدره الشيخان النبيلان وطرحت المسائل العلمية والمحاورات الادبية والشعرية والنكات الفكاهية

تخميس بيتين

وما زلنا ننتقل من موضوع الى موضوع في محاوراتنا الادبية بين نظم ونثر الى ان اقترح مولاي ولي النعم سمو الشيخ مبارك المعظم على هذا الخصيص تخميس هذين البيتين ارتجالا وهما

لي في الحروب معامع ووقائع   شابت لها في مهدها الغلمان
وتخافني الآساد في غاباتها   وتخيفني بكناسها الغزلان

نقلت من غير تردد :

فضلي بأطراف الممالك ذائعٌ   وحديث ذكري في البرية شائعٌ
والدهر ان آمرت مصغٍ سامعٌ   لي في المعامع والحروب وقائعٌ
شابت لها في مهدها الغلمان

دور

وغدوت في الدنيا حديث سراتها   لما عضدت بما أجدت عفاتها
وجلوت في عزمي دجى ظلماتها   فتخافني الآساد في غاباتها
وتخيفني بكناسها الغلمان

دور

هذا ثناؤك يامبارك في الورى   قد فاح في كل المواطن عنبرا

فلانت افضل من يرجى للقرى ... وابرّ من تسمى لمغناه السرى

واجل من يرجى به الاحسان

﴿ تشطير بيتين ﴾

فسرّ من حضر بما جاء به الارتجال وتكرم سمو مولانا المبارك اعزه الله فأظهر الرضاء عن عبده وخصيصه ثمَّ تفضل سمو مولانا معزّ السلطنة فاقترح عليَّ تشطير هذين البيتين وهما :

لا المجد مجد ولا السلطان سلطان ... ان لم يعزز بني العلياء احسان

ان الجواد عزيز الجاه معتبر ... وللبخيل ومهما عزَّ اهوان

فقلت مرتجلاً مشطراً :

لا المجد مجد ولا السلطان سلطانُ ... ولا الذي ملك الاموال انسانُ

ولا الشريف شريف في مواطنه ... ان لم يعزّز بني العلياء احسانُ

ان الجواد عزيز الجاه معتبر ... عالي المقام له حمد وشكران

له وان ذلَّ عزّ في مواهبه ... وللبخيل ومهما عزّ أهوانُ

والجود جودك يامولاي خزعل يا ... من فيه يعتزّ اخوان وعبدانُ

أنت الجواد الذي تولي الكثير بلا ... مطل وجودك مثل السحب هتانُ

لازلتَ مطمح انظار الانام ولا ... زالت تؤمك للاحسان ركبانُ

وكان لهذا التشطير ما لذلك التخميس من جميل الوقع في النفوس لحكم الارتجال

﴿ قصيدة الرؤيا ﴾

ثم قال سمو مولاي وولي نعمتي الشيخ مبارك باشا ممازحاً أما رأيت البارحة حلماً آخر . فقلت بل رأيت يامولاي رؤيا وأنا بين اليقظة والنوم

قال قصّ علينا رؤياك . قلت بينما كنت منفرداً بنفسي في صباح اليوم وأنا أستعيد الى مخيلتي ما شاهدته من مجد سموكم ومجد سمو مولاي أخيكم المعظم معزّ السلطنة واذا بي قد انجذبت بالروح الى عالم الخيال فوجدت نفسي في ليلة طرب من ليالي مصر الشهيرة وأنا في احدى قهاوي القاهرة وقد التفت من حولي بنات الهوى فصرت أفتح لهنّ بسخاء ولا كسخاء الوارثين في مصر «قزايز البيرا والشامبانيا» وكانت مصيبتي معهنّ اني كلما أرضيت واحدة منهنّ غضبت رفيقاتها . ثمّ بعد ان ضحكن على هوسي وخسرنني كثير المال تركنني ومضين الى زبون آخر فقلت في ذلك :

هات المدام وكن اليّ نديما … فالبشر أصبح شاملاً وعميما

واملأ الكؤوس وعاطني راحاً لقد … شهدت عصور الانبياء قديما

واُغنم ملذات الحياة فانها … فرصٌ تضيع وكن بذاك عليما

ودع التزهد للألى لم يعرفوا … في ذي الحياة مسرة ونعيما

ختم الاله على قلوبهم فض … لوا في الهوى ورأو الغرام ذميما

قد حرّموا هذي المدام وانما … زرعوا من الازل الازيل كروما

وبغوا بعذلهم المحبّ على الهوى … فغدا بهم وبحبهم مظلوما

لولا المحبة في جوانبها لما … شمنا لما خلق الاله رسوما

ولكلّ نفس لم يلطفها الهوى … نفس حكى موجودها المعدوما

فالحب ريحان النفوس وكان دي … ن العاشقين اذا علمت قويما

والراح تفرحها وتنعشها وتحـ … ييها وتبقي شملها منظوما

ولمجلسٌ فيه الجميل وانه ا … ساقي جلا عنه الاله هموما

فانض الخطى سعياً الى رحباته … ان كنت في أهل الغرام حزوما

ودع العواذل والاحاة ترفعاً　　واْرر على لغو الملام كريما

ولليلةٍ سمح الزمان بها ولم　　يندم فكان بها السليم سقيما

أحييتها بين الصبابة والكؤو　　س وغانياتٍ خلتهن نجوما

من كلّ باهرة الجبين منيرة ال　　خدين تترك الجهول عليما

ترنو بلحظ دونه ماضي السيو　　ف فتجعل القلب الصحيح كليما

وتضعضع الالباب في بسماتها　　لما ترينا اللؤلؤَ المنظوما

وتميس في قدٍّ كغصن البان ان　　صحَّ المثال تخيلاً مزعوما

وتدور بالكأسِ الطفيح فيسكر ال　　صاحي وقد شام الجمال وسيما

وتصيح ياليلي فتستلب النهى　　بنشيدها المنثور والمنظوما

ولقد بليتُ بهنَّ سرب ضرائر　　قد حيرت مرضاتهنَّ حكيما

لا ترتضي هندٌ عليَّ بنظرة　　الا اذا أغضبت قبل ظلوما

واذا رغبت بجمل قل عني لقد　　نفرت سعاد فكان ذاك اليما

ووحقكم قد كان ارضاء الحسا　　ن بدلهنَّ على المحبّ عظيما

هيَّ اسعفوني أيها الاصحابُ في　　حالي لابلغ في الغرام مروما

وأذيع أفراحي العميمة كي أشا　　رك راحلاً عني بها ومقيما

فلقد بلغت من الزمان برغمه　　سؤلي فلست أراه بعد لئيما

لما غدوت بيمن ربي في المحـ　　مرة السنية ضيفها المكروما

بحمى المليك المرتجى السردار أر　　فع خزعل فصحبتُ فيه كريما

ووجدت فيها سيدي الشيخ المبا　　رك بل وجدت مؤثلاً وعظيما

شيخان عزُّ المسلمين ومجدهم　　بهما ونرجو فيهما التقويما

بهما لقد صينَ العراق وأهله　　بلغوا المنى ورأوا الهناء عميما

قد داويا بالحزم والرأي الرشيـ ـد مع السداد جروحه وكلوما
وتأمنت بهما المخاوف جملةً حتى استهاب الظالم المظلوما
والجود جودهما وفي أيديهما قد علما حسن السخاء الغيما
والفخر فخرهما ومن يحكيهما فيه وهل يحكي السقيم عليما
والمجد مجدهما السنيُّ وانما بلغا من المجد السنيُّ صميما
فكويت بالشيخ المبارك قد غدت داراً تعظم تربها تعظيما
وبخزعل غدت المحمرة السنيـ ـية مربعاً زاهي الرياض بسيما
ملكان في سامي اتفاقهما غدو نا نرتجي الاصلاح والتنظيما
وصيانة الاسلام صوناً من ذوي الـ اطماع كان بنا الاله رحيما
فالله يحفظ للكتاب واهله الـ شيخين دهراً بالسعود مديما

ولما كنت أنشد الغزل في هذه القصيدة كان الشيخان يضحكان ويقولان « قاتل الله الشعراء فانهم يقولون ما لا يفعلون » ولما انتهيت الى مدح سمو الشيخين كان من في المجلس يصفقون ويؤمنون

وبعد الفراغ من القصيدة تلطف بي سمو الشيخين المعظمين حفظهما الله وامراني - وامرهما المطاع - ان لا اتأخر عن رؤيا مثل هذه الاحلام ثمَّ ارفض الاجتماع وكان الوقت قد قارب منتصف الليل فأنصرفت الى حجرتي وانا أترنم بمدائح سيديَّ وجميل عنايتهما بي ونمت نوماً هادئاً لذيذاً وفي الصباح جاءني الخادم بالفطور ثمَّ شربت القهوة وعمرت المدعه (الشيشه) وجلست فسطرت هذه الرسالة للعمران والسلام على القراء الكرام

المحمره في ٢٢ ذي القعده سنة ١٣٢٥

عبد المسيح انطاكي

الرسالة الخامسة

« نشرت في العدد ٣٦٠ من العمران الجزء ٣٠ من المجلد الاول »

(الصادر في ٥ ربيع الاول سنة ١٣٢٦)

صيد الملوك

طالما ملأت الصحف العربية صفحاتها بانباء صيد ملوك اوربا وامبراطرتها ورووت لنا النوادر الشتى التي لم نزل نذكر بعضها في مجالسنا

من ذلك ان امبراطور النمسا عند ما كان شاباً كان مغرماً بالصيد بحيث لا يمضي عليه أسبوع الا ويخرج مرة اصيده فبينما كان ذات يوم يطارد غزالاً واذا بالغزال وقع قتيلاً وكانت رصاصة الامبراطور قد خرجت أيضاً من البندقية فهجم على قنصه واذا به يرى شاباً آخر واقفاً بقرب الغزال ويدعي انه هو الذي قنصه واختلفا على القنيصة وكثر اللغط بين القانصين من غير ان يعرف أحدهما الآخر ثمَّ تغلب الامبراطور على خصمه وأخذ القنيصة منه بعد ان كان قد أخذ كارته وعند ما عاد الى قصره أمر وكيله ان يفحصوا الرصاص الذي قتل به الغزال ففحصوه ووجدوه غير رصاص الامبراطور وفي الحال أمر بردّ الغزال الى قانصه مع هدية ملوكية

ويروى عن الامبراطور نابليون الثالث انه بينما كان مرة يصطاد فاجأه وحش بريّ مخيف وكاد يتمكن من اغتياله وكان الامبراطور اذ ذاك مبتعداً عن حاشيته واذا بامرأة قروية هاجمت ذلك الوحش ورمته برصاصة فخرَّ قتيلاً فسرَّ الامبراطور لنجاة حياته من الموت وتقدم من المرأة وسألها عما

تريده وهي لاتعرف انه الامبراطور فقالت لأأريد شيئاً سوى صورتك فتبسم الامبراطور وقال هذا أمر سهل ولكن اطلبي فوق ذلك فقالت لا أريد الا صورتك فتناول الامبراطور من جيبه « حفنـة » من الليرات الفرنساوية وأعطاها للمرأة وقال لها في هـذه صورتي فأبت المرأة قبولها معتذرة بأنها ليست في حاجة الى المال وتأبى ان تأخذ اجرتها على عملها وقالت في الاخير أنا واثقة انك لاتحمل صورتك في جيبك ولكن يكفي ان تعدني بشرفك انك ترسل لي صورتك بحال وصولك الى بيتك وأنا فلانة امرأة فلان فكتب الامـبراطور اسمها في محفظته وأمر في اليوم الثاني ان يرسـل للمراة الف ليرة فرنساوية من سكة ذلك العام جـديدة الضرب مع رسم كبير له فلما وصل الرسم والجنيهات للمرأة مع خدم الامبراطور عرفت حينئذ السرّ وجعلت تعتذر عما فرط منها

ويروى ان جلالة غليوم الثاني امبراطور المانيا كان يوماً في زيارة جلالة نسيبه الملك جورج اليوناني فخرجا مرة للصيد في احـد الاحراش ثمَّ تركا حاشيتهما وتوغلا في الحرش طلباً للصيد وبينما هما كذلك واذا بالسماء أبرقت وارعدت وهطلت السحب كمن افواه القرب فجعـل الملكان يركضان في ذلك الحرش وهما لايجدان شجرة تقيهما مطر السماء وفي الاخير وجدا عربة لبعض الفلاحين سائر بها صاحبها الى المدينة وفيها بعض طائفة من أنواع البقول والثمار فسألاه أن يركبهما عربته فامتنع قائلا ان الثور الذي يجرها لايستطيع أن يجرها فوقها على ما فيها فسألاه أن يطرح ما على العربة ويركبهما فجعل يوبخهما قائلا حقاً انـكما غبيان كيف اطرح مالي في الارض واحملـكما فقالا انا نعطيك قيمتها فازداد في توبيخهما قائلاً حقاً انكما مسرفان فامشيا قليلاً تصلا

الى المدينة ولا تتكبدا قيمة هذه البقول والاثمار . ثم مال بوجهه وقال متعوذاً
ولكن ما الحيلة في هؤلاء الاغنياء ينفقون الكثير والقليل على ملذات
نفوسهم ولا يذكرون أخاهم الفقير بالشيء اليسير . فجعلا يتلطفان به ويقنعانه
بأن اسرافهما هذا لا يضرّ بهما ولا يتعدى الى غيرهما وأخذا يطمعانه بالمال
وما زالا كذلك الى ان قبل فأنزل عن العربة بعض الحمل وأركب أحدهما
عن يمينه والآخر عن يساره وصار الملكان يضحكان ويتكلمان في اللغة
الالمانية وقبل أن تدنو بهما المربة من حاشيتهما قال الملك جورج للعربجي
القروي من تظن اننا نحن ؟؟ قال من يعلم لا بدّ انكما من الاغنياء السفهاء
الذين يضيعون أموالهم على ملاذ نفوسهم فازداد الملكان ضحكاً . وقال الملك
واذا قلنا لك اننا فوق الاغنياء فتبسم القروي وقال لعلكم تطمعون أن تدعوا
بالوزارة ووالله لا أرى في وجهيكما ما يدل على انكما من الوزراء الا اذا
دعوت نفسي اني الملك جورج حاكم اليونان . فأغرب الملكان بالضحك
حتى استلقيا على ظهريهما ثمّ تجلد الملك جورج وقال . واذا قلت لك اني الملك
جورج وهذا الامبراطور غليوم قال حينئذ لا أتأخر ان اقول انا أيضاً في
دوري اني الامبراطور فرنسوى جوزيف ثمّ استتلى مخاطباً نفسه قائلاً
ما اسعد هذه العربة اليوم فان عليها ثلاث ملوك عظام فبارك الله فيك ايها
الثور فانك تسحب ثلاثاً من كبار الملوك . وهكذا كان الملكان يمازحان
القروي ويمازحهما وهو يعتقد أنهما من الاغنياء ليس الا . ولكن ما اشد
اندهاش هذا القروي المسكين عندما دنت عربته من حاشية الملكين
ورأى تلك الحاشية المؤلفة من الحرس الخاص . بين جنود وضباط مصطفين
من هنا وهناك لاخذ سلامهما انه عندما رأى ذلك سقط في يده ووقع على

اقدامهما يبكي ويتوسل ويطلب المغفرة والصفح عما فرط منه فتناولاه بأيديهما وطيبا خاطره وانعما عليه بنعمة سنية

هذا بعض ماعلق بالخاطر من نوادر قصص ملوك اوروبافي الصيد ذكرناه في هذا المقام على سبيل الفكاهة ولبيان ان الصيد خلق للملوك ولا يظهر رواؤه وبهاؤه الا بحضرة الملوك

الصيد في قارون

بعد ان انتهيت من تحرير رسالتي الماضية للعمران جلست طلباً للراحة واذا بخادم يدعوني لمقابلة سمو سيديَّ الشيخين النبيلين في اليخت المباركي العالي فأسرعت ملبياً ودخلت على وليي نعمتي باحترام وقبلت ايديهما بوقار فامراني بالجلوس فجلست . فقال سمو مولانا المعز حفظه الله « ان أخي سمو الشيخ مبارك أمر أن نخرج الى الصيد فاستعدّ للسفر » قلت ومثل ماذا يكون الاستعداد ؟ قال أن تأخذ معك ما تحتاج اليه من حوائجك وسلمها الى الاسطى داود قائد اليخت المظفري وكن مستعداً فاننا سنسافر بعد صلاة الجمعة « لان ذلك اليوم كان يوم جمعة » قلت سمعاً وطاعة، ثم انثنيت راجعاً فأعددت ما يلزمني بالسرعة وأرسلته الى حضرة الاسطى داود وعدت الى اليخت المباركي العالي وأنا أقول :

اني الى صيد الملوك ميمم	شطّ العراق بغاية الافراح
بمعية السردار أرفع خزعلٍ	ومؤيدي مولايَ ابن صباح
شيخان عزّ المسلمين ومجدهم	بهما وقد فازا بكل فلاح

معدات السفر

لا أعرف وأنا ضيف غريب مايعدون لهذه الرحلة الملوكية ولكن

رأيت مداخن اليخوت الثلاث تدخن فيملأ دخانها الفضاء ورأيت الخدم والحشم ذاهبين آئبين الى هذه البواخر وذلك عند ما كنت راجعاً من القصر الخزعلي العالي الى اليخت المباركي السامي . فخطر لي وأنا صحافي « والصحافيون ذو فضول » أن أتجول في هذه اليخوت ولما كان هـذا الطاب كبير على مثلي باء الملوك أنشدت بين يدي سمو سيديَّ الشيخين هذين البيتين معرضاً فقلت :

اني أرى هذي اليخوت وقد علا	دخانهـا في ذا الفضـاء المنور
والناس تقصدها ولم أدر لمـا	ذا فاسمحا فيما يزيل تحـيري

فضحك سمو سيديَّ من هذا التعريض وكله تصريح وقالا « ان الصحافيون لا يتركون الفضول ولا ينتظرون » قالا هذا وناديا أحد الاتباع فارسلاه معي وأمراه أن يسير بي لزيارة اليختين الآخرين

اليخت المظفري

فسار بي الدليل من اليخت المباركي الى البلم الملوكي حيث جعل المقذفون يقذفون فبلغت اليخت المظفري وهو أحد يخوت سيدنا ومولانا صاحب السمو معزّ السلطنة الشيخ خزعل خان حفظـه الله تعالى وهو موسوم باسم ساكن الجنان المرحوم مظفر الدين خان شهنشاه دولة علية ايران السابق وكان العلم الايراني يخفق على صروحه

ولما دخلت اليخت وجدته على غاية في الانتظام على شكل شرقي فسار بي الدليل الى غرفة واسعة مفروشة بالطنافس الفاخرة العجمية وفيها الكراسي المعتبرة وفي صدرها خزانة جوزية من شغل الهند الدقيق وفوقها مرآة كبرى والشماعدين وغير ذلك من فاخر الاواني والتحف

ثمَّ انتقل بي الى غرفة بجوارها هي لرقاد سمو مولانا معزّ السلطنة وفيها السرير والافرشة الفاخرة وكل ما يحتاج اليه مسافر جليل كعظمة مولانا من أسباب الراحة والرفاه والغبطة

ثم انتقل بي الى غرف أخرى بجوار هاتين الغرفتين الكبيرتين وقال ان هذه الغرف يقيم فيها الخاصة من اعوان سمو المعزّ ورايت في احداها حوائجي فعرفت انها غرفتي

ثم سرنا الى مقدمة الباخرة فاذا هناك الخراف والغنم والارز والسمن والخبز والجبن والسمن والفواكه الى آخر ما سنحتاج اليه من أنواع الاطعمة وهناك أيضاً أساحة الصيد وكل ما سنحتاج اليه من الذخائر وكان الناس في غاية الاهتمام في النقل والتفريغ مخافة أن يداهمهم الوقت المعد للسفر

﴿ اليخت الناصري ﴾

وبعد ان اكملت تجوالي في هذا اليخت سار بي الدليل الى البلم ومنه سرنا الى اليخت الناصري وهو موسوم باسم ساكن الجنان ناصر الدين خان شهنشاه دولت عليت ايران الاسبق وهذا اليخت أصغر من اليخت المظفري ولكنه يشبهه بالتنظيم وكان نصيب هذا اليخت ان ملئ بالصواوين والخيام والخيول الجياد العربية وأسرجة الخيول ولجمها المذهبة الى غير ذلك من الاشياء التي لابدّ منها في الصيد

﴿ العود الى اليخت المباركي ﴾

ثمَّ عدت مع الدليل الى اليخت المباركي العالي وبدخولي بادرني سمو مولاي السردار أرفع الشيخ خزعل خان بقوله ماذا رأيت ؟؟ فأنشدت مرتجلاً :

قد جلت في اليختين جولة من يرى بملاك ياسردار مجد القادر
وسرحت بالبشرى بيخت مظفر وشرحت يافرحي بيخت الناصر
فرأيت ما فوق الذي ارجو من الـ علياء والكرم العميم الوافر
فاسلم ودم ذخراً لامة احمد ليروا بفضلك باهرات مآثر

﴿ السير الى الصيد ﴾

وعند الظهر صدر امر سمو سيدي الشيخين الجليلين اعز الله بهما الاسلام بالمسير وفي الحال صدحت الموسيقى الخزعلية من القصر الخزعلي العالي بسلام الوداع وصفرت اليخوت صفير الوداع ايضاً واخذت ثلة من الحرس الخزعلي في القصر السلام بضرب البنادق في الفضاء وسارت اليخوت تختال في شط العراق كالعرائس راجعة برجوع الى المحمرة ثم سلكت بتعاريج لا استطيع ان افصلها انما اقول ان شط العراق ذو تعاريج شتى من هنا وهناك يخترق تلك الارضين الخصبة فتدرّ الخيرات والبركات لو عني الناس بزراعتها

وكانت السماء في ذلك اليوم مغبرة الاديم يتخللها سحاب غير كثيف فيزيد مسيرنا رونقاً وبهاء . وما زالت اليخوت سائرة يتقدمها اليخت المباركي العالي فاليخت المظفري السامي فاليخت الناصري الزاهي الى الساعة الرابعة بعد الظهر على الحساب الافرنجي حيث رست فينا في محل مصاب يمتد النظر فيه على مياه يلعب فيها الهواء فيكسوها تموجات تروق الناظر وتنعش الخاطر وكنا نرى في طريقنا البلانم والسفن الهوائية سائرة آتية في ذلك الشط الجميل وهي تشير الى ما في تلك الفيافي من نعمة الامان بظل سطوة الحضرة الفخيمة الخزعلية صانها رب البرية

﴿ محلة قارون ﴾

وكان هذا المحل يدعى باسم «محلة قارون» ومن مميزاته ان الهواء فيه عليل والماء عذب فرات بليل وهو اجمل بقعة على شط العراق على الاطلاق .

﴿ سيران في البر ﴾

وبعد ان رست اليخوت في مراسيها امر سمو سيديّ الشيخين الجليلين بان تسرج الخيول فأسرجت في الحال وركب الشيخان فالحاشية والجنود على الخيول وأخذنا نتجول في جنبات ذلك البر الجميل ذي التراب الاحمر وقد ذكرت في تجوالنا ذلك المجد العربي الزاهي بأجمل مظاهره وأبهى معانيه فجعلت أقول :

نصر الاله أعارب الدنيا على ... أعدائهم نصراً مبيناً أجملا
لنرى بآفاق العلاء مباركاً ... وبجنبه نلقى المؤيد خزعلا
ملكان صانهما الاله فقد رأيـ ... ـت المجد في ملكيهما متكملا

وقد أنشدت هذه الابيات على اسماع سيديّ الشيخين وأنا أرمح فوق الجواد وقد حسبت نفسي في غارة من غارات العرب المشهورة واذا بالجواد قد جمح بي وكاد يرميني فحسب من معنا اني أظهر براعة في الركوب فجعلوا يقولون « ماشاء الله » الى أن اتضح لهم أني في خطر السقوط فساقوا جيادهم نحوي واحاطوا بي من كل جانب ولا أقول احاطة الهالة بالقمر فأوقفوا جوادي فعدت خجلاً وأنا أقول :

عفواً اذا جمح الجواد بشاعر ... عيّ اللسان مقصرٍ بثنا كما
فلقد رأى ان المديح كثيره ... ليقل في تبيان حق علا كما

فازداد سمو الملكين اعزهما الله ضحكا وقالا الحمد لله على السلامه

وبعد ان تجولنا قريب من ساعة عدنا الى اليخت المباركي حيث كانت قد ذبحت الذبائح واعدت الولائم فأكلنا هنيئاً وشربنا مريئاً

﴿ السهرة ﴾

وبعد مناولة طعام العشاء جلسنا للسمار فتصدر المجلس سمو سيديَّ الشيخين الجليلين صانهما الله تعالى . ثم حاشية سموهما من رجال السيف ورجال القلم وفيهم حضرة العالم الفاضل الشيخ عبد اللطيف الجزائري وهو من علماء النجف المشهورين وحضرة الاديب الشيخ محمد مطلق وهو من ادباء الشيعة المعروفين في بغداد وغيرهما من اهل الادب والفضل

قصيدة السفر

وبعد ان استقرَّ بنا المقام ودارت علينا القهوة العربية تفضل سمو سيدي ومولاي وولي نعمتي الشيخ مبارك باشا ابن الصباح وسألني قائلا لقد رأيتك تكتب في النهار فأسمعنا الذي كتبت . فأخرجت أوراقاً منثورة من جيبي وتلوتها على مسامع الحضور وقد قلت مخاطباً الباخرة التي كانت تمخر بنا في ذلك الشط :

بي ما بقلبك من سعير النار	فلمَ اهتزازك هل من الاغيار
أم هل وُعدت من الحبيب بزورة	بعد البعاد فكان بالغدار
أم هل عشقت فما رأيت سوى الجوى	من فاتنٍ متولع بنفار
اشجيتني شجواً بهذا الاهتزا	ز فهزني طرباً بغير بخار
فذكرت عهد جميلة ووصالها	ذكراً له في الصدر وقد جمار
عهد مضى هيهات ليس براجع	وقد انطوى وغدا من الاخبار
عهد يمثله الفؤاد لناظري	فتفيض منه منابع الانهار

قد كنت في نعم الرضا متنعماً　　مستهزءاً بحوادث الادهار
وبقرب من اهوى كما شاء الهوى　　رغم العذول اللائم المهذار
اصبو الى جملٍ بكلّ جوانحي　　وانا الى جملٍ قريب الدار
فأرى بها فوق الذي ارجو من الا　　حب الصحيح البازغ الانوار

*
* *

وليلةٍ ولربَّ أمثال لها　　احييتها معها بحسن جوار
تهوي عليَّ تضمني فأضمها　　من غير ماوزرٍ ولا من عار
متماسكينِ تماسك الاخصام والا　　اعداء خوف تهرّب وفرار
متباسطينِ تباسط العشاق والا　　احباب عن كلف بلا اوزار
متعانقين تضمنا حلل الرضا　　ولنا من التقوى ابرُّ ستار
متنازعينِ على تعفف يوسف　　في مصره بطهارة الاطهار
سكرين من رشف الرضاب ولم نذق　　يوماً وبأسم الحبّ كأس عقار
فاذا اجتمعنا لم نخف هول النوى　　وفراقنا يقضى بوعد مزار
ولكم هزئنا بالعوازل والنوا　　صح واللوائم والعدى الاغمار
« واذا تآلفت القلوب على الهوى»　　فالناس مقدحهم بغير شرار
ما زالت الأيام طوع غرامنا　　والحاسدون قلوبهم في النار
حتى دعا داعي الفراق الى النوى　　وانقضت البلوى من الاقدار
وقضى القضا أن أترك الاوطان والا　　اخوان بين بلابل الاذكار
فنأيتُ غير محاذر مضض الفرا　　ق مسلماً امري الى القهار
من بعد ان ودعتها وتركت قلا　　بي عندها بالمدمع المدرار
لم أنسَ أي والله لاأنسى لها　　عهداً ولو قد كان فيه بواري

*
* *

لاتجزعي ياجمل ان شط المزا ... ر وأجملي صبراً لبعد الدار
فلقد طويت البرّ مع فلواته ... وركبت هول مخاطر الابحار
سعياً الى ملكين قد ابراهما الـ ... رحمن للاجلال جلّ الباري
لولاهما قلنا السلام على جلا ... ل المسلمين ومجد آل نزار
قبضا على عنق العراق فامنا ... هُ وكان رهن بوادر الاخطار
لولاهما ماافترّ للاعراب والـ ... اعجام ثغرٌ باسمٌ بجوار
كانا ولا زالا لامة احمد ... ذخراً له يسعى ذوو الاعسار
أوماترى الشيخ المبارك في الكوي ... ت كتبع بجلاله ووقار
والشيخ خزعل في المحمرة السني ... ية مثل كسرى في علىً ويسار
لهما الورى تسعى فتبلغ سؤلها ... من كافة الاقطار والامصار
والدهر هابهما فأصبح واقفاً ... في الباب بين جماعة الانصار
سر حيث شئت فليس تسمع غير انـ ... غام الثناء عليهما من قاري
وصدى المدائح فيهما والله أطـ ... رب من نشيد الناي والمزمار

*
* *

سارا بنا للصيد في قارون سيـ ... راً قد زها بحفاوة ووقارِ
في موكب قد حُفّ بالاجلال والا ... قبال في شط العراق الجاري
سارت بنا فيه اليخوت تخطرا ... بين النخيل بز هوهنّ جواري
فاعجب ليخت قد حوى البحرين في ... ايوانه وجرى على الابحار
وعلى صواريه شعار الترك والـ ... ايران خير اشارة وشعار
متآلفين تآلف الشيخين في الا ... اميال والاخلاق والافكار

حباً بدين محمد وبآله … والمسلمين وباهر الآثار
ووراؤه يختال للاعوان وأا … خدام والاجياد والامهار
ولحمل اسلحة القناص مع الذخا … ئر والخراف وكافة الاثمار

* * *

سرنا وباسم الله في هذا الجلا … ل الى ربى قارونه وقفار
حتى اذا رست اليخوت تلألأت … للسيدين بواهر الانوار
ركباً على فزين من خير الجيا … د مزينين بباهرات نضار
والركب قد ركبوا بأسرهما كأ … نهمو انجلوا في معمعان مغار
من كل من شك السلاح نخلته … يسمى كمسعى الفارس المغوار
ومبارك مع خزعل يتقدما … ن القوم بين بواسق الاشجار
اني أعيذهما برب الناس من … بطلين مالها مشق غبار
وذكرت في هذا الجلال مواقعاً … لهما لقد هدرت دما الاغرار
وعجبت للاعداء قبل فنائهم … تغريرهم بالعسكر الجرار
أو هل يقاوم كالمبارك ياترى … أو ما بهذا الشط من مذكار
أو هل يقاوم مثل خزعل ياترى … أو ما بهذا الشط رب حذار
ساقتهمو تلك الجهالة للردى … وكذا تكون عواقب الاشرار

* * *

ولانت ياطير السماء وانت يا … وحش المفاوز والفلاة حذار
فلكل ماطي البحار من السوا … بح أو بهذا الافق من اطيار
أو مايدب على الثرى حتى العدى … من كل وحش أو عدو ضاري
فهي الفداء لخير من نسل الاعا … رب جملة من سابق الادهار

فهي الفداء لخزعل ومبارك   خير الملوك وأخير الاخيار

***

ماذا أقول وقد رأيت مكانةً   شيخين فوق الكوكب السيار

ورأيت مجداً لو أضيف الى الورى   لغدوا به والله أهل وقار

ورأيت جوداً لو جمعنا نثره   لغدا بحاراً من مسيل نضار

ورأيت حزماً يترك الاقدار صر   عى عن ذكا وتنور الافكار

ورأيت عزماً فيه يسهل كل صع   بٍ داهم أو كل خطب ضار

فدهشت مما قد رأيت فأين لي   أصف الذي لاقيت بالاشعار

***

ياسيديَّ وسيدا كل الورى   دوما بمجدكما مدى الادهار

وتقبلا مني المديح تكرما   وتفضلاً وتقبلا أعذاري

لو رمت ان اوفيكما حق الثنا   لنظمت فيه كواكباً ودراري

ثم قضينا السهرة بين نكتة هزلية وفكاهة أدبية وبعد ذلك ارفضَّ الاجتماع فسرت مع سمو مولاي معزّ السلطنة الى اليخت المظفري حيث اختليت في غرفتي وجاست فسطرت هذه الرسالة للعمران على نور الباخرة الكهربائي

عن اليخت المظفري العالي في ليلة ٢٤ ذي القعدة سنة ١٣٢٥

عبد المسيح انطاكي

الرسالة السادسة

« نشرت في العدد ٣٦١ من العمران الجزء ٣٢١ من المجلد الاول »

(الصادر في ٢٣ ربيع الاول سنة ١٣٢٦)

يوم في الصيد

أحاول أن أصور للقارئ الكريم هذا اليوم يوم السبت ٢٥ ذي القعدة وان كنت أشعر بالعجز والكلل لعدم اعتيادي على رؤيا الصيد ولا سيما صيد الملوك ملوك العرب حفظهم الله تعالى

ملوك لهم في المجد والفخر آية … تدل على ان الاعارب أحياء

وأن الذي يشنا الاعارب جاهل … تضعضعه عن ذي الحقيقة أهواء

وأن بني الاعراب هم مصدر العلى … وما فيهمو الا أمين ووفاء

فهم في الوغى أسد وفي السلم سادة … كرام لهم عند المفاخر آلاء

وقد عزز الرحمن راية ملكهم … بشيخين جل الله كانا كما شاؤا

فمولاي حامي العرب بالسيف والقنا … مبارك من في حزمه يحسم الداء

ومولاي ذو الاحسان والمجد خزعل … وقد جليت آثاره وهي وضاء

أدامهما الرحمن للمجد والعلا … امامين في ملكيهما العين والزاء

الخروج الى الصيد

أصبح صباح السبت ونادى امام سمو معز السلطنة «بحيّ على الصلاة» وهبّ من في الباخرة الى الوضوء فالصلاة ثمّ تناولنا على مائدة سمو الشيخ طعام الفطور وبعد ذلك انتقلنا على البلم الملوكي الى اليخت المباركي العالي

فتصافح سمو الشيخين العظيمين ثم تقدمنا فلثمنا راحات سمو سيدنا ومولانا وولي نعمتنا الشيخ مبارك باشا ابن الصباح فلاقانا أعزه الله كما عودنا بذلك الوجه البشوش والثغر البسام وبعد ان تناولنا القهوة أمر بأن تسرج الخيول للخروج الى الصيد وما هو الا القليل حتى أسرجت وخرجنا من اليخت الى البرّ على جسر من الخشب قد امتدّ بين اليخت والبرّ ورأينا أعوان سمو الشيخين وجنودهما وبين أيديهم الخيول المطهمة العربية فقدموا جواداً لسمو الشيخ المبارك مسرجاً بالسرج المذهب فامتطاه ثم قدموا جواداً لسمو معزّ السلطنة الشيخ خزعل خان بسرجه المذهب فامتطاه ثم قدموا الناخيو لنا فامتطيناها وسرعان ما ركب الاعوان خيولهم وسرنا بسرعة البرق في تلك الارض الحمراء الخصبة وكنت فوق جوادي أتمايل طرباً وأنا مترد بالالبسة العربية وقد هزتني الاريحية العربية فجعلت أنشد طرباً هذه الابيات

سر بي فانك ياجواد معززي	ذا اليوم في صيد الطيور الطائره
وانا بحول الله اقدر فارس	يوم الوغى بين الرصاص الماطره
سيرى بيَ الشيخان كل غريبة	وعجيبة بين الخيول السائره
واصيد في طيرانها الطير المحلـ	لقة البعيدة وهي منا حاذره
سر بي وجدّ السعي سر سيراً حثيـ	ـثاً ياجواد أخو المساعي الزاهره

وما كدت اتمّ انشاد هذه الابيات بين الركب وانا اتمايل طرباً على ظهر الجواد حتى مرَّ بجانبنا طير كبير من الحباري فتلقاه سمو مولانا الشيخ مبارك ببندقه فرماه اما جوادي فلما سمع صوت البندق جفل وطار بي في ذلك الفضاء ولو لم يتبعني القوم لكنت من الهالكين فعدت الى حاشية سيديّ الشيخين الجليلين وعلى وجهي صفرة الوجل فقالا لي أعزهما

الله ضاحكين « ياهذا اذاك خبرك وهذا مخبرك فقد كنت الساعة تستحث الجواد على المسير حتى اذا انضى الخطى كدت تهلك » فتبسمت متكلفاً وقلت أما قال الله عزّ وجل « الشعراء يتبعهم الغاوون وهم في كل وادٍ يهيمون ويقولون مالا يفعلون » فضحكا من حاضر جوابي وامر اني بالحيطة مخافة الوقوع فعدت الى الوراء متقهقراً وقلت :

قبحاً وقبحاً للجواد فانه … ابدى لساداتي خوارعزيمتي

وكذاك شأن من ادعى غير الذي … فيه واظهر فوق مافي القدرة

ثمّ تفرق القوم من هنا وهناك بين الادغال والاحراش والاشجار وانا على جوادي بين مكابر ومحاذر الى الظهر وفي الظهيرة اجتمعنا في مكان عينه لنا الشيخان بجوار احدى قرى قارون حيث كنا بضيافة أحد شيوخ القرية فقدم لسيدينا الذبائح وهي ضيافة العرب فاظهرت في معاركة الخروف المذبوح ماعوضت فيه عن عجزي وانا فوق الجواد السبوح

وبعد الغذاء أخذنا قليلاً في الراحة من ذلك المكان تحت شجرات النخيل وعلى ضفاف نهر قارون الشهير واخذ الهواء يهبُّ علينا بليلاً فقلت :

هبّ النسيم على النخيل فانعش الا … ارواح بعد السير والاعياء

فتجددت فينا القوى للصيد تجـ … ـديداً بكل مسرة وهناء

هيوا بنا للصيد فالغزلان تا … ركة الكناس بغير خوف بلاء

والطير من أوكارها هبت بلا … حذر وطارت في فلا وفضاء

هيوا بنا ياسادتي هيوا الى … هذي الخيول بغير ماابطاء

كنت اقول هذا وانا في غاية الطرب والسرور بين ايدي سمو سيديّ الذين كانا يرعياني بعين عنايتهما ويشملاني بسامي توجهاتهما وكانا اعزهما الله

يطيبان خاطري و يجبران كسري بما جبلا عليه من الاخلاق الراضية والمآثر العالية فلما رأياني بهذا السرور وذلك النشاط امرا بالنهوض فعدنا الى الركوب وسرنا في ذلك الفضاء مدة اربع ساعات وكنت ملازماً لهما سيدي الشيخين ملازمة الظل

وبعد العصر بقليل عدنا نحو اليخوت بعد ان لحقت بنا الحاشية الكريمة فبلغناها قبيل الغروب ووجدنا ان الصواوين قد اقيمت والمضارب قد ضربت والطنب قد انتشرت على ماسترى تفصيله

الصواوين والمضارب والطنب

فعند ما وصلنا ترجل سمو سيدينا الشيخين الجليلين فترجلنا ودخلا صيواناً كبيراً واسعاً قد أقيم بين يختي الشيخين المباركي والخزعلي على شط العراق فأتبعناهما وما جلسنا قليلاً حتى تقدمت لنا القهوة العربية فشربناها ثم صلى القوم صلاة العصر والغروب مرة واحدة وقد نووها

بين الصواوين والخيام

ولما عدت مع سمو سيديَّ والقوم الى مقر اليخوت وشاهدت ما أقيم من الصواوين وضرب من الخيام تولتني الدهشة ولم أحسب نفسي الا في حرب تسفك الدماء فيها أنهراً وبحوراً وهنا أقص على القراء الكرام تفصيل ما رأيت في جولتي بين الصواوين والخيام

فقد كان الصيوان الكبير الذي نزل فيه سمو سيديَّ الشيخين الجليلين حفظهما الله واسعاً جداً ومستديراً وقد قدرت انه أشغل مساحة من الارض تتجاوز المئة متراً في مثلها عرضاً على شكل مستدير والصيوان المذكور من صنع الهند وقماشه أفرنجي وهو صيوان حربي ينسدل عن دائرة كبرى

تحيط بستار داخلي على دائرته على فرجة مترين يقيم فيها الحراس ثمَّ لما تدخل الصيوان الداخلي تراه مقاماً على عامود واحد ضخم وعالي وكانت أرض الصيوان مفروشة بالطنافس العجمية الفاخرة وقد أقيمت فيه المقاعد والمتكآت في جميع جوانبه وكان له أربعة أبواب وكان العلمان العثماني والايراني يخفقان من أعلاه

وأقيم من حول هذا الصيوان أربع صواوين اصغر منه وعلى شكله وقد اعدوهما للحاشيتين الملوكيتين وبعدها اقيمت اربعة خيام مستطيلة وكل خيمة مقامة على ثلاث اعمدة وهي من الشعر الاسود وكان ظاهرها لايروق للعين ولكني عند ما دخلتها وجدتها على ابدع ما يكون حيث كانت ذات نقوش بديعة أشبه بنقوش الطنافس وعلمت انها من شغل البلاد الايرانية وهي حسنة الصنعة الى درجة الاعجاب وهذه الخيام جعل احدها لرؤساء القبائل الذين يقدمون للترحب بسمو الشيخين المعظمين والاثنتان الباقيتان جعلتا للجنود وبعد هذه الخيام الثلاث اقيمت اربع خيام اخرى من الشعر الاسود بشكل مستطيل للخدم وربط الخيول وكان بجوار الصيوان الكبير خيمة صغيرة للقهوة والشاي

ولا ضرورة للقول ان لدى مولانا سمو المعزّ حفظه الله عدد كبير من هذه الصواوين والخيام معدة لاوقات الحروب والغزوات على ماعلمت وقيل لي يوجد بينها صيوان لسموه اوسع من الصيوان الذي اقيم لنا بكثير وهو يقام بأربع اعمدة ويستعمله في الحروب فتأمل

السهرة في الصيوان

وهذه الليلة احييناها في الصيوان ساهرين بحضرة سمو الشيخين

المعظمين ومن الطبع كان حديثنا منصرفاً الى صيد النهار فأخذ الحاضرون يعرضون على سماع سمو الشيخين ما توفقوا الى صيده من الحباري والعصافير والغزلان ثم اخذنا نتغزل بهذا الصيد على انواعه على عادة الشعراء والادباء فقلت مرتجلا :

﴿ قصيدة السهرة ﴾

لله يوم تقضى في المسرة وال	افراح والبشر والاقبال والطرب
في ارض قارون حيث اليمن مكتمل	بين النخيل وبين الزهر والعشب
والشط يجري فيحكي في تموجه	والشمس مشرقة مسبوكة الذهب
وينعش القلب هبات النسيم فلا	تبقي اكتئاباً لمفجوع ومكتئب
بنا لقد سار في تلك القفار على	متن الخيول عميد السادة العرب
ابن الصباح المرجّى في مواهبه	والشيخ خزعل حامي العلم والادب
سارا بنا لاقتناص الريم نافرة	من الكناس بلا خوف ولا رهب
وللحباري التي في الافق سابحة	وللطيور التي طارت من الهرب
كنا بأثرهما مثل الخميس بأث	ر القائد الظافر المنصور ذي الغلب
مسلحين بأنواع البنادق وال	سمر الرماح الردينيات والقضب
وكان معنا من العقبان كاسرها	مع الشواهين ذات المخلب الصلب
خضنا بأجيادنا تلك المفاوز وال	آفاق في منجد من ارضها خصب
ثم تفرق جمع القوم وانتشروا	في الارض للصيد عن بعد وعن كثب
وأطلقوا في الفضا الاقصى بنادقهم	على الطيور وجدوا السير في الطلب
وارسل المرسلون الباز صائدة	فعدن بالطير بين الجد واللعب
وجاءنا منهمو صياد ذو همم	صاد الغزال ونال الفوز بالوصب

عهدي بريم الفلا تصطاد اعينها ... شمل الاسود فماذا صار واكربي

ورب احور من ريم الحضارة قد ... صاد الغضنفر حامي العسكر اللجب

وبي مليح من الغزلان صائدني ... بناظريه بلا سيف ولا يلب

احبه حب مفتون فيبغضني ... من غير ذنب ولا اثم ولا سبب

أدنو اليه فينئيني وينفر من ... ذكري فوا حرها هذا القلب واحربي

اعيذه من هبوب الريح تلفحه ... فيستعيذ بذكر الويل والحرب

اضحى مع الدهر يؤذيني بنفرته ... ويرمينّ خلوص الحب بالريب

روّضت دهري وقد كان الجموح بحز ... م السيدين وراي فيهما نجب

شيخان مجدهما فوق السماك لقد ... لالا كلألاء نور السبعة الشهب

اليهما تنتهي الامال اجمعها ... من كل ذي طلب او كل ذي ارب

تجليا فشدا الاسلام واطربي ... وانشد الدهر بالاعجاب واعجبي

وفيهما العرب قد شاموا الحماية من ... غدر الزمان الذي يدعى ابو العجب

وفيهما يحتمي المرعوب مضطربا ... فيؤمناه ويمسي غير مضطرب

اليهما الركب يسعى في حوائجه ... من غير خوف من الاهوال والعطب

من كل ملتمس للمال نائله ... وانما سائل الشيخين لم يخب

هما غياث الورى من كل كارثة ... وكل نائبة من فاجع النوب

ويغنيان عفاة القوم عن كرم ... لم تروَ امثاله من غابر الحقب

ويسعفان ذوي الحاجات جهدهما ... بالمال والسعي او بالجاه والحسب

واصبحا مصدر الاحسان في بلد الا ... سلام يرجوهما الراجي بلا حجب

هذا المبارك فيه الله باركنا ... وذاك خزعل فيه كل مضطلب

حياهما الله بل احياهما ابداً ... للمجد والجود والاسلام والعرب

وكنت التي هذه الابيات بشكل متقطع على ما يسمح به الارتجال فيسطرها حضرة العالم الاديب الحاج عبد اللطيف الجزائري احد اللائذين بحمى سمو مولانا معزّ السلطنة حفظه الله وعند ماانتهيت منها تناولتها فأمرني سمو سيديّ الشيخين باعادة تلاوتها فأعدتها على سمعهما الكريم فتنازلا اعزهما الله بقبولها وجبرا خاطري بكلمة ثناء وعطفة رضى وارتياح فشكرت وحمدت واثنيت وما للعبد الا الشكر والثناء وصادق الدعاء

مطارحة ادبية

وبعد الفراغ من تلاوة القصيدة المشار اليها تفضل حضرة الشيخ عبد اللطيف الجزائري ونظم بعض ابيات اثنى بها على هذا العبد بما لا استحقه فقال :

طير المسرات غرد	وروض انسيَ ورّد
وجيد روح ارتياحي	بزهره قد تقلد
بشراً بفرد المعالي	عبد المسيح الممجد
من قد تسامى محلاً	منْ دونه كل فرقد
يجيئنا كل يوم	بعقد شعر منضد
فياله من أديب	نظم القريض تعود
ففاق بالنثر قساً	وفاق بالنظم احمد
ياخلُّ تفديك نفسي	فأنت في الناس مفرد
قد كان لقياك يمناً	وكان ملقاك أسعد
وذكر نئياك عني	ناراً بقلبي أوقد
مابنت يبيضُّ ليلي	أو بنت يوميَ يسود

ياماجداً رقَّ ودي ... الفى لعلياك مقود
هواك أطلق دمعي ... والقلب مني تبدد

ووالله قد أخجلني جناب الشيخ الفاضل بكلماته الدرية والطافه السنيه فلم يسعني ان قلت مجاوباً شاكراً :

شدا الهزار وغرد ... على الاراك وأنشد
فهاج فيه شجوني ... وهي الشجون تجدد
ذكرت عهدي بجمل ... وشمل وصلي مبدد
وقد تركت بلادي ... وسرت في الارض اوحد
فكل يوم بأرض ... مع من أغار وأنجد
فكم لقيت أناساً ... لكنني كنت مفرد
حتى أنخت بأرض ... فيها الاديب مسوّد
ينسى الغريب بنيه ... بفضل أكرم معضد
الشيخ خزعل خانٌ ... رب الفخار الممجد
ملك جليل عظيم ... سامي المآثر اسعد
فيه المعارف لاتت ... من بعد جهل مؤيد
مذ كان خير أديب ... بالمكرمات تفرد
حجت اليه ركاب الـ ... ـوفود من كل فدفد
من شاعر ولبيب ... ومن مغنٍّ كمعبد
من زاره قال حقاً ... عهد الرشيد تجدد
من مصر قد سرت أسعى ... لارضه وهي مقصد
فشمت فوق المرجى ... مجداً وجوداً وسؤدد

وعنده قد لقينا أخا الذكاء الموقد
عبد اللطيف الاديب اُ مفضال خدني المودد
عرفتــه فأراني فضلاً به أتقيد
أثنى عليَّ بشعر من نظم درّ وعسجد
بمدحه بات جيدي من بعـد عطل مقلد
يامن اردتَ مديحي جوداً فانك أجود
مجدتني ياابن ودي وأنت والله أمجد
فاقبل ثنائي وشكري مع الدعاء المردد

فصفق سيداي الشيخان الجليلان وطربا من هذه المحاورة ونهضا وارفضّ الاجتماع وعاد سموشيخنا المبارك اعزه الله الى يخته وعدنا بمعية مولانا المعزّ سمو الشيخ خزعل خان الى اليخت المظفري حتى اذاماوصلت الى غرفتي جلست الى نور الكهرباء وسطرت هذه السطور الى العدران والسلام على القراء الكرام

عن اليخت المظفري العالي في ليلة ٢٥ ذي القعدة سنة١٣٢٥

عبدالمسيح انطاكي



الرسالة السابعة

« نشرت في العدد ٣٦٢ من جريدة العمران الجزء ٣٣ من المجلد الاول »
(الصادر في ٣ ربيع الثاني سنة ١٣٢٦)

الاستعراض العربي

اذا تناظر حدّ السيف والقلم   فليس يفصل في دعواهما حكم
فالسيف في حده حد الحصام وفي ال   اقلام حدّ لمن في الحق يُتهم
عليهما المجد قد شيدت دعائمه   في السلم والحرب اما سادت الامم
وكل ملك له عقل يدبره   وساعد قادر تُدرا به النقم
فانه قائم الاركان ثابتها   فليس في الحادثات السود تنهدم
والعدل للملك كفّالٌ لسؤدده   فحيثما العدل لاضعف ولا هرم
هذي المحمرة الزهرا يدبرها   ملك حكيم حزوم جيشه عرم
ساس الامارة بالرأي السديد وبال   عدل الحميد فما في ملكه غرم
الشيخ خزعل من شاعت مآثره   بين الانام فذاع المجد والكرم
ملك تفرد في حسن الخلال وفي   شُمّ الفعال فقل ذا المفرد العلم
لما تربع في دست الامارة بالا   قبال أضحت تضي في لياليها الظلم
وأصبحت كعبة الآمال يقصدها الا   تراك والكرد والاعراب والعجم
غصت بقصادها من كل ذي أملٍ   يلقى الاماني وورد العذب مزدحم
أفدي بنفسي معزّ الملك سيدها   فانه خير من تسعى له القدم
وانه خير مفضال يعزّ به ال   قرآن والدين والاسلام والحرم
قد مدّ يمناه للشيخ المبارك ذي ال   مجد الاتمّ فتمّ الامة النعم

ملك لقد ساد كل العرب مقتدراً ‏ ‏ ‏ ‏ وهو الزعيم الذي تسمو به الهمم

لحزمه دانت الاعداء خاضعة ‏ ‏ ‏ ‏ وأصبحت وهي من عليائه خدم

فيه لقد عرف الاعراب سؤددهم ‏ ‏ ‏ ‏ وانهم أمة من دونها الامم

وافى المحمرة الزهرا بحاشية ‏ ‏ ‏ ‏ فيها ذوو الامر والخدام والحشم

ضيفاً كريماً على خير الملوك علىً ‏ ‏ ‏ ‏ ولاح في الملكين المجد والشمم

واستعرض الجيش في قارون مبتهجاً ‏ ‏ ‏ ‏ مما رأى وهو جيش سيله عرم

فكان في البرّ مافوق الجياد كما ‏ ‏ ‏ ‏ قد كان في البحر حيث الجيش يصطدم

فهنأ الملك الاسمى بعزته ‏ ‏ ‏ ‏ وانّ في مثل هذا تخفر الذمم

فليحيَ للدين والدنيا المبارك شيـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـخ العرب انهم وافيه قد اعتصموا

وليحيَ خزعل مولاي المعزّ لديـ ‏ ‏ ‏ ‏ ـن الله يحرسه والدين مبتسم

ملكان قد عزّ الاسلام مجدهما ‏ ‏ ‏ ‏ وفي أعاديه حاق الذلّ والعدم

وعنهما المصطفى راضٍ ومبتهج ‏ ‏ ‏ ‏ من الجنان رضاء كله غنم

وفود القبائل

أصبحنا صباح الاحد في ٢٦ ذي القعدة فاذا ضفاف نهر قارون من الجانبين غاصة بقبائل البدو من ركب ومشاة على ما يمتد اليه بصر الباصر ونظر الناظر وعلمت أن القبائل العراقية الخاضعة لسلطان سمو مولانا معزّ السلطنة الشيخ خزعل خان لما علمت بنبأ خروج سمو المعزّ الى الصيد وهو مضيف سمو سيدنا ومولانا وولي نعمتنا الشيخ مبارك باشا ابن الصباح قد أقبلت للسلام على سموهما والقيام بواجب اكرامهما لان اسم أبي جابر سمو شيخنا المبارك يملأ قلوب العربان في كل مكان كما ان حب مولانا المعز قد ملا قلوب جميع الاعاجم والعربان

وكانت هذه الوفود تبلغ الخمسة آلاف عربياً من أمراء وعوام. وقبائل العراق عربيه وان كانوا بمنطقة نفوذ الدولة العلية الايرانية . وعلمت أن اكثر هذه القبائل على مذهب الشيعة وهذا هو الفارق الوحيد الذي يفرقهم عن اخوانهم أهل القبائل الاخرى المنتشرين في أطراف البلاد العربية وهم على مذاهب مختلفة ففيهم أهل السنة وفيهم الوهابية وفيهم اليزيدية الخ

استقبال الامراء

وفي الساعة الثامنة أفرنجية صباحاً خرج بنا سمو مولانا المعز حفظه الله الى البر حيث كان سمو مولانا الشيخ المبارك قد سبقنا وذهبنا للصيوان الملوكي الذي كان يخفق عليه العلمان العثماني والايراني اجلالاً لسمو الشيخين النبيلين أعزّ الله بهما الاسلام . وعند مادخلنا الصيوان تصدر فيه سمو الشيخين النبيلين ثمّ صدر الامر للامراء ورؤساء القبائل بالدخول فدخلوا بسيوفهم على العادة العربية فلثموا يدي الشيخين الجليلين باحترام وجلسوا من عن اليمين واليسار وأخذوا يرحبون بمولانا سمو الشيخ المبارك وهم يكنونه « بأبي جابر » باسم سمو مولانا المفضال الشيخ جابر باشا ابن الصباح النجل الاكبر لسمو الشيخ المهاب وولي عهده وكانوا يعربون اسموه عن حبهم واحترامهم لذكره وعن سرورهم من مصافاته وحبه لسمو مولانا ومولاهم معزّ السلطنة الشيخ خزعل خان حفظهما الله تعالى وبعد ان دارت القهوة وأقداح الشاي على الحاضرين نهضوا للخروج بعد ان صدر لهم الامر الخزعلي الكريم باجراء استعراض عربي بحضرة سمو أخيه مولانا الشيخ المبارك رعاهما الله

استعراض الجيش

وبعد ساعة دار بها الحديث بين سمو سيدنا الشيخين الجليلين على

الامارات والقبائل الخاضعة لهما خرج سمو الشيخين بحاشيتهما فامتطينا الخيول العربية الكريمة وبعدنا عن الشط مسافة نصف ميل حيث كانت وفود القبائل على متون الخيول وكلهم بالسلاح الكامل وكانت كل قبيلة واقفة على حدة يتقدمها أميرها فجعلت تمرّ بنا القبيلة بعد الاخرى وكانوا ينشدون الاشعار الحماسية بنغم أهل العراق المشهور ووالله ليبتهج قلب المسلم العربي الصادق في دينه والوفي لقومه بمنظر هؤلاء الابطال البواسل الذين شهد لهم التاريخ والمشاهدات بالشجاعة والعزة والشمم وكنت أذكر وأنا أسرح الطرف بمرآهم البهيّ الباهر تاريخ الاسلام وكيف فتح أجدادهم ممالك فارس والروم ودوخوا الامم وأخضعوا الدنيا لسلطانهم وحسبت أني في تلك العصور الغابرة في جيش أبي عبيدة والامام علي وعمر بن الخطاب رضوان الله عليهم اجمعين ووالله اليمين الغميس لو أتيح لهؤلاء الابطال الشجعان أن تنظم صفوفهم تنظيماً عسكرياً على الطراز الجديد وتسلحوا بالاسلحة الجديدة لكانوا سوراً منيعاً من حول الخلافة المحمدية والاسلام وما وسعني ان قلت مرتجلا :

ذكرت بهذا الجيش عهداً محببا	فأهلاً بها ذكرى وسهلاً ومرحبا
ذكرت به جيش النبيّ وصحبه	وفتحهمو الارضين شرقاً ومغربا
ذكرت به مجداً لقد جاوز السهى	ولم يترك في مفخر القوم مذهبا
ففي مثل هذا الجيش قد ملك الورى	بنو العرب ملكاً في البرية ارحبا
وفي مثله قد دوخوا الفرس عنوة	وسادوا على روم الشام تغلبا
وقد دخلوا مصراً فدانت لملكهم	ومنها انثنوا نحو المغارب طلبا
ولم يدعوا الاندلس من عدل ملكهم	وعهدهمو فيها لقد كان طيبا
فذا اليوم في الشيخ المبارك نرتجي الـ	جديد من العلياء والفخر مطلبا

وفي خزعل السردار ارفع نرتجي الـ ... ألاماني ومن إلاه نلقاه مأربا
مليكان قد ابراهما الله نعمة ... يرى فيهما الاسلام عزاً ومكسبا
ادامهما الرحمن المجد والعلى ... عميدين ما ضوى من الافق كوكبا

﴿ كلمة في الاستعراض ﴾

دام الاستعراض مدة ساعتين كان فيهما سمو الشيخ مبارك باشا يراقب حركات هؤلاء الابطال وهم على خيولهم العربية وهو جزل مبتهج وكان حيناً بعد حين يهنئ سمو اخيه الشيخ خزعل المفخم وبعد ان انتهى الاستعراض عادت القبائل الى اماكنها وعاد سمو الشيخين الجليلين بحاشيتهما الى الصيوان الخزعلي العالي وبعد ان استقرّ بنا المقام وقفت خطيباً فقلت :

سادتي الفخام

« ان العالم الاوروبي لا يعرف من أحوال العرب اذا ذكروا في مجالس سوى أنهم أهل بادية ورعاة أنعام وقد يتصور المتصورون بعض قبائلهم غزاة وجواب آفاق ويخطر لهم أن هذه الامة الكريمة التي اختار الله رسوله الهادي صلى الله عليه وسلم من اشرافها وذات التاريخ المجيد المتلالي قد أصبحت في أدنى دركات الجهل والهمجية . وقد يغالي بعضهم فيحسبون ساداتنا العرب كسكان أواسط أفريقيا وأميريكا

« واني لا أعتب على الاروبيين لجهلهم احوال امتنا العربية الكريمة النبيلة فان المسلمين انفسهم البعيدين عن مواطن العرب يجهلون ما لهذه الامة من المزايا العالية المختصة بهم وما فيهم من القوة الهائلة الممكن ان تتسور بها الخلافة ويعتصم بها الاسلام ويستعيد سابق مجده وسلطانه

« ويسوءني ان ازيد على ذلك بقولي ان المصريين انفسهم حتى اخواننا

الصحافيين المسلمين في مصر وهم الذين اوقفوا نفوسهم على خدمة الاسلام كما يدعون لا يعرفون شيئاً عن احوال العرب الحقيقية ولا ينشرون في جرائدهم الا بعض رسائل ترد عليهم من قوم جهلاء اغبياء قد باعوا ذممهم الى الخونة من رجال دولتنا العلية وملأوا رسائلهم بالطعن القبيح على العرب وساداتنا ملوكهم وامرائهم وشيوخهم واقيالهم

«ولما كنت ياسادتي غرس نعمة العرب حيث خالطت عشائرهم الضاربة في برية الشام منذ نشأتي في موطني الاصلي فعرفت القوة الكامنة فيهم وتأكدت أن لا وسيلة لنهضة السادة المسلمين الا فيهم ولذلك عندما هاجرت الى مصر للتنعم بنعيم الحرية حيث يقوى الكاتب على اظهار ما في نفسه انصرفت الى خدمة الامة العربية ونشر فضائلها ومزاياها فلم أصادف من رصفائي أصحاب الجرائد المصرية الاسلامية الا الحرب العوان مع انهم عرب ومنهم من يدعي الانتساب الى الاسرة النبوية الطاهرة (!!!)

«ثمَّ رأيت ان من واجباتي ان اترك اهلي ومركزي واسير متجولا في بلاد العرب فقضيت مدة اشهر بين اليمن وحضرموت والخليج الفارسي ورأيت بعينيَّ فوق ما كنت اسمع واقرأ رأيت هذه الامة الكريمة ذات سؤدد ونخار ونخوة ومروءة وشجاعة وكرم ومجد وشرف و زمام فاندهشت مما رأيت وصرت اخاطب بسري مناجياً اخواني الرصفاء بمصر بقول القائل:

يا ابن ودي الا تدنو فتبصر ما   قد حدثوك فما راء كمن سمعا

«نعم فاننا كنا نظن ان ما سطر في كتب العرب وتواريخهم عن خلفائهم وأمرائهم وملوكهم وشجاعة شجعانهم وكرم كرمائهم من المبالغات الشعرية أو ان عرب اليوم غير عرب الأمس ولكني عند ما تجولت بنفسي

في هذه الممالك والامارات تأكدت ان عرب اليوم ليسوا دون العرب في الامس بل مثلهم وهم هم أمس واليوم وغداً وان الظروف قد اختلفت والقلوب قد تشتتت والنوايا قد ساءت ولا يغير الله مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم

« واني ياسيديَّ كنت في لحج فرأيت بسمو سلطانها المعظم مولاي السلطان أحمد فضل محسن رجلاً ولا كالرجال بشهامته ومروءته وحميته وغيرته الاسلامية ورأيت في المكلافي شخص سمو مولاي السلطان غالب بن عوض مثال المروءة والشهامة والكرم ورأيت في مسقط ذاتاً مجملة بالكمالات فمن نباهة الى ذكاء الى حسن سياسة ودراية في شخص سمو مولاي المعظم السلطان فيصل بن تركي ورأيت في البحرين في شخص سمو مولاي الشيخ عيسى آل خليفه وأنجاله الفخام ولا سيما سمو ولي عهده الشيخ حمد بن عيسى كل مكرمة محمودة ومزية فريدة . ثمَّ تشرفت بزيارة المحمرة وقابلت في شخصي سموكما ياسيديَّ الجليلين ماينعش آمال المسلمين ويحقق أمانيهم فكيف لا أكون مغتبطاً ومسروراً ومتهللاً

« وهذا من هذا المكان المشهور بعذوبة مائه وطيب هوائه وعلى بعد خمسة وعشرين يوماً عن مصر أدعو اخواني المصريين لزيارتكم ليروا بعيونهم البون الشاسع بين مايقرؤنه في اللواء والمؤيد وغيرهما من الجرائد من المطاعن المختلقة عليكما وعلى كل ملوك العرب وبين ماجمل الله به سموكما من الاخلاق الراضية والشمائل العاليه والمزايا الفريدة والشمائل الحميدة والكرم الجم العميم والقوة الهائلة والغيرة الاسلامية والحمية القومية واني لمعتقد ان المصريين على ما امتازوا به من السجايا المحمودة اذا رأوا بعض الذي رأيت يخون باللائمة على جرائدهم التي تغشهم وتسيء السير في خدمتهم وتضللهم عن

جادة الحق بنشر الاباطيل خدمة لقوم لا ذمام لهم ولا دين (١)

«ولقد جرى امامي استعراض هذا الجيش العربي الباسل ومرّ بي أولئك الابطال على متون خيولهم وهم مدججون بأسلحتهم فتمثلت لي الشجاعة العربية بأتمّ وأزهى مظاهرها فانتعش فؤادي ولا بدّ ان أفئدة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ستنتعش عندما يقرأون نبأها في جريدتي العمران الموقوفة على خدمة ساداتي العرب الكرام واذا كنت أهنئكما ياسيديّ على المقامين الذين تشغلانهما في الكويت والمحمرة وفيهما ضمان الاستقلال العربي النوعي فاني في الوقت نفسه أهني العالم الاسلامي بوجود أمة قوية وعظيمة في البلاد العربية الكريمة مهبط الوحي المنزل وموطن الرسول الامين صلى الله عليه وسلم تحفظ استقلال المسلمين وتؤيد كلمتهم وفي الختام أنادي بملء صوتي قائلاً : فليحيَ الشيخ مبارك . فليحيَ الشيخ خزعل . فليحيَ الحب والاتحاد . فلتحيَ الامة العربية الكريمة «اه»

وكان تصفيق الاستحسان يتخلل هذه الكلمات التي أنطقني بها شاهد الحال وعند ما انتهيت من كلماتي التفت اليّ سمو الشيخين الجليلين بفضلهما واحسنا اليّ بنظرة رضاء ولمحة اهتمام فشكرت وحمدت

مناورة حربية

ثمّ مدت ابسطة الطعام وتقدمت الذبائح وجلسنا لطعام الغداء وبعد مناولة الطعام اخذنا قسطاً من الراحة وبعد ذلك صدر الامر الكريم من لدن سمو سيديّ الشيخين الجليلين باجراء مناورة حربية في البر والبحر وكان كذلك

---

(١) وقد فضحهم الله شرّ فضيحة بعد ان أعلن الدستور في مملكة آل عثمان في يوم ٢٤ يوليو سنه ١٩٠٨

ففي الساعة الثانية افرنجية بعد الظهر جمعات القبائل تتهيأ لاجراء المناورة وفي الساعة الثالثة ابتدأت المناورة فانقسمت القبائل الى قسمين وخرج سمو الشيخين الجليلين مع حاشيتيهما فامتطينا الخيول العربية ووقفنا متطرفين وجرى الهجوم بين المتحاربين وأطلقت البنادق في الهواء ثمّ التحم الجيشان وابتدأوا بالحرب بالسلاح الابيض ثم اصلح بينهما سمو الشيخ مبارك وبعد ذلك ابتدأ البراز بين أبطال الجيشين بمقابلة فارس لفارس وكان الفرسان يتبارزون على متون الخيول بسيوفهم وخناجرهم «الجنبيات» برشاقة غريبة وخفة مدهشة وبراعة مابعدها براعة

وبعد ذلك ترجل قسم من الجيش وركبوا البلانم (الزوارق والقوارب) وجعلوا يحاربون من البحر القسم الآخر وهو في البرّ باطلاق البنادق فرأينا في هذه الحرب البحرية البرية كل مدهش

ثمّ ترجل قسم من الجيش وركب البلانم واشتبكت حرب بحرية بين قسمي الجيش بالبنادق ثمّ بالسلاح الابيض وكنت أرى افراد الجيش يرمون بأنفسهم الى النهر فيخوضون الماء وهم يتحاربون برشاقة وخفة عجيبتين تدهشان الناظر وتسران الخاطر

وانتهت المناورة في الساعة السادسة من المساء حيث عدنا الى الصيوان وما منا الا مبتهج ومسرور وكنت أدعو لسيديّ الشيخين الجليلين بدوام العزّ والانتصار والمجد والفخار

﴿ سهرة الليل ﴾

ثمّ جلسنا للسهرة فدار الحديث الادبي والتاريخي والفكاهي كذلك الى مابعد الهزيع الاول من الليل حيث عدنا الى اليخت المظفري بمعية سمو

مولانا المعز حفظه الله وهناك اختليت في حجرتي وملأت المدعه «الشيشه» وجلست لتحرير هـذه الرسالة الى العمران وعلى القراء الكرام السلام ورحمة الله

عن اليخت المظفري في مياه قارون في ٢٦ ذى القعدة سنة ١٣٢٥ﻫ

عبد المسيح انطاكي



الرسالة الثامنة

« نشرت في العدد ٣٦٤ من العمران الجزء ٣٤ من المجلد الاول »

(الصادر في ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٢٦)

وداع نهر قارون

رددنا في هذه الايام على مسامع القراء الكريمة ذكر مياه قارون كثيراً وذكرنا لهم أن ماء هذا النهر العظيم عذبة للغاية وفوق ذلك فهي خفيفة على المعدة معينة على هضم الطعام بحيث الذي يشربها هنيئاً لايخلص من مضض الجوع الا بالكرم العربي المشهور فهو الدواء الوحيد لمعالجة ذلك الداء المتولد عن شرب مياه قارون العزبة ويا ليت كل الادواء تكون مثل هذا الداء فحبذا قارون وحبذا الماء الذي يجري فيه

ونهر قارون هذا يخترق بلاد خوزستان ويصب في رأس خليج فارس من ستة أفواه . وتجتمع مياه هذا النهر من التقاء نهرين أحدهما من جهة الغرب ويسمى نهر أولاي الذي ورد ذكره في نبوة دانيال النبي عليه السلام حيث قال : « فرأيت رؤيا وكنت عند رؤياي في شوشن العاصمة التي باقليم عيلام ورأيت الرؤيا وأنا على نهر (اولاي) » . ونهر أولاي هذا كان يجري على باب شوشن قصبة عيلام

هذا هو النهر الذي قضينا فيه هذه الايام المباركة في الصيد والقنص بمعية سمو ملكي العرب الاعظمين وشيخي العراق الاكرمين أعزَّ الله بهما الاسلام وبلغهما من دنياهما أعلى مرام

وعند ما صدرت الاوامر بالعود الى المحمرة أنشدت هذه الابيات وداعاً لهذه المياه قلت :

حنانيك زر قارون في العمر مرة   واغنم بذاك الشط مكتمل البشر

وفز بهواه واشربن عذب مائه   وكن برباه ناعم القلب والفكر

قضيت به عهداً سعيداً بغبطة   لقد نلتها عفواً على غفلة الدهر

ولاقيت فيه نشأة ما عهدتها   وحقك فيما مرّ من زهوة العمر

فصحة جسم لم أشم قبل صحةً   كما شمتها في قرب ذلكمو النهر

وطيب مناخ لم أرَ قبل مثله   مناخاً صحيحاً في ربى النيل في مصر

ولا في قويقٍ حيث منبة شعبتي   بشهبائه بين الصليبة والجسر

فياحسن قارون ويادرّ دره   وبخ لماء فوق حصبائه يجري

ويانسمات ينعش القلب هبها   صباحاً قبيل الشمس في مطلع الفجر

تهبُّ فتملا القلب بشراً وصحة   وفكراً سليما في معالجة الشعر

لانظم في الشيخين أسمى مدائحي   وأنشرها في الارض طيبة العطر

أبي جابر ابن الصباح الذي علا   لاعلى العلى بالمجد والجود والبر

وسردار ملك الفرس مولاي خزعل   مليك تسامى بالمعزة والفخر

امامان للعربان والدين والندى   ومجلى جلال العز في البرّ والبحر

قفا سيديَّ بي قليلاً تكرماً   بقارون أرض اليمن والبشر واليسر

قفا بي على هذي المياه فانني   سأحفظ في صدري لها أجمل الذكر

وداعاً الى اللقيا بارضك يا ربى الـ   ـهناء التي تولي المسرة للصدر

وداعاً وعلَّ الله يجمع شملنا   بقربك ياقارون في مقبل العمر

بظلّ المليكين الملأيْ فيهما   نشيد الثنا والحمد والمدح والشكر

أدامهما الرحمن في جاه أحمد ٍ عميدين للاسلام في واسع القدر
دعاء ملايين من الناس تنجلي الى الله رب العرش في السر والجهر

﴿ العودة الى المحمرة ﴾

وفي صباح يوم الثلاثاء ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٢٥ صدرت أوامر سمو الشيخين الجليلين بالعود الى المحمرة المحمية فأسرع الخدم والحشم والاتباع برفع الصواوين والخيام من ذلك السهل الواسع فجمعت وطويت وأعيدت الى اليخوت وبوق المبوقون فأوقدت النيران وتحركت اليخوت للعود في ضحى ذلك اليوم وعادت أدراجها مارة بين أولئك الابطال رجال القبائل الذين كانوا يملأون ضفتي الشط ويضربون بنادقهم في الهواء ويملأون الفضاء بالدعاء الواجب للشيخين النبيلين فما كنا نسمع الا قولهم « فليحيَ أبو جابر . فليحيَ أبو جاسب » وكان سمو الشيخين الجليلين يسلمان على أولئك الابطال من اليخت المباركي العالي وكنا في المعية السنية نسرّح الطرف بذلك الجمع الغفير الذي يملأ القلوب العربية مسرة وابتهاجاً واغتباطاً

سارت اليخوت متمايلة في الشط سير العرائس عائدة رويداً رويداً الى المحمرة فبلغناها بعد سبع ساعات من مسيرنا وكان الطقس دافئاً والشمس مادة ظلالها على تلك الارجاء والنسيم يهب علينا فيلطف من حرارتها وهكذا قضينا الطريق بمنتهى الغبطة والسعود

وعندما أقبلت بنا اليخوت على المحمرة رفعت الاعلام الايرانية على دار مولانا صاحب السمو نصرة الملك الشيخ جاسب خان حاكم المحمرة وولي العهد ودار المعتمد الايراني ودار الكمرك ودار الوزير الكبير رئيس التجار الحاج محمد علي خان وضربت المدافع للسلام ووقف بنا اليخت المباركي العالي لاستقبال

سمو ولي العهد الذي أقبل على زورقه للسلام على سمو مولانا أبيه وسمو الضيف المكرم الشيخ مبارك باشا ابن الصباح وركب معنا سموه وسار اليخت يتبعه اليختان الآخران فمررنا على الفيليه حيث كانت الجنود مصطفة امام دار الضيافة للسلام فسلمت بضرب البنادق في الفضاء ثم بلغنا القصر الخزعلي العالي وكان مزيناً بالاعلام العثمانية والايرانية وهناك استقبلتنا الموسيقى الخزعلية بالسلام على الملكين الجليلين ورست اليخوت امام ذلك القصر المنيف

وعند مارست أقبل على اليخت جناب الوزير الخطير الميرزه حمزه خان المكرم ولم اتشرف بمعرفة جنابه الا في ذلك اليوم لانه كان متغيباً في البصره لاشغال تتعلق بالامارة

ضيوف من البصره

وبعد ان شربنا القهوة نهض سمو مولانا المعز الى قصره العالي تتبعه حاشيته الكريمة ولبثت بضيافة سمو مولاي المبارك وقبيل الغروب أقبل من البصرة عدد من الوجوه والاعيان والاشراف على زوارقهم البخارية للسلام على سمو مولانا الشيخ مبارك واشتركوا معنا في العشاء وكانت مقابلتهم لي وأنا بخدمة مولاي المبارك بغاية الالتفات والعناية وقد دهشوا من وجودي بقربهم وهم لا يعرفوني وقد ألحوا علي بكرمهم أن أزور البصرة واتشرف بالاقامة في ذلك البلد الطيب والتمسوا من مولاي وولي نعمتي سمو الشيخ المعظم أن يسمح لي بذلك . أما انا فشكرت وامتنعت لاسباب خصوصية وسمو مولاي الشيخ أعزه الله تعالى وافق على هذا الامتناع

على ان فرحي واغتباطي بملاقاة اولئك الوجوه والاعيان مما لا استطيع ان اصفه وكل يعلم تعلقي بهم وحبي لهم وهم لا جدال اهل كرم وفضل

ومروءة بل هم خير من عرفت من ذوات بلاد دولتنا العلية حرسها الله ولقد رأيت في حضراتهم فوق ما كنت اسمع من الاخلاق الراضية والشمائل الكريمة مع السماحة والفضل والنبالة وكرم الاصل وصدق بي وبهم قول المتنبي

واستعظم الاخبار قبل لقائه ... فلما التقينا صغر الخبر الخبر

وفي الساعة الواحدة عربية بعد الغروب مدّ بساط الطعام وكان عليه الذبائح والحباري والدجاج وجاس القوم للعشاء يتصدرهم سمو مولانا المبارك حفظه الله فأكلنا هنيئاً وشربنا مريئاً وبعد العشاء نزلنا جميعاً لقضاء السهرة في القصر الخزعلي العالي . فكانت سهرة هنية بحضرة اولئك الضيوف الكرام

﴿ الترحب بالبصريين ﴾

ثمّ وقفت في الحضرة وانشدت مرتجلاً هذه الابيات ترحباً بالبصريين الاكارم ضيوف سمو شيخينا الجليلين اعزهما الله فقلت :

المجد كلّ المجد للعربان	ان كان يجمعهم تقى القرآن
والفخر فخرهمو الاجل اذا انجلوا	في واسع الاقبال والسلطان
والعزّ عزهمو اذا ما اقبلوا	لحماية الاسلام في الاكوان
آل الرسول همو وهم جيرانه	وهمو ذوو المعروف والاحسان
سل عنهمو التاريخ تعرف قدرهم	وبما أتوا في سابق الازمان
ما منهمو الا الكريم المرتجى	ومعاشر الابطال والشجعان
لو وحّدت أميالهم لرأيتهم	أي والمهيمن في أعزّ مكان
ورأيتهم حول الخلافة سورها ال	سامي بيوم كريهة وطعان
لله درهمو فقد شهد الورى	لعلى مفاخرهم بكل زمان

لله درهمو فقد سادوا الملا بالعدل والقسطاس والميزان

لله درهمو ففيهم أزهرت دون الانام مرابع العرفان

وهمو الألى قد شيدوا هذا التمـ دن فانجلى في باهر العمران

مازال مجدهمو وفيهم خزعل وابن الصباح مع العلا ملكان

ملكا فم البشر كل موحد صافي الضمير تقى وذي ايمان

صافى الزمان المسلمين جميعهم بهما وكانا زينة الاقران

لهما سعى أهل المفاخر والعلا سعياً بآمال لهم وأماني

أخلق بأن يسعى الانام اليهما ليروا العلاء بباهر اللمعان

وأحب مالاقيت وفد البصرة بين الكرام السادة الاعيان

وافوا لتأدية السلام وواجب الا كرام والاجلال والشكران

أهلاً بكم أهلاً وسهلاً مرحباً وحللتمو والله خير مكان

ولانتمو أهل العلا ولنا بكم والله دون العالمين تهاني

فلأن أرحب فيكمو اني ارحـ حب في العلا والمجد والعرفان

لازلتمو مجلى جلال المسلمين ومظهر الاجلال والامنان

وبعد فان مقدمكم ياسادتي لتحية مولاي الامثل وسيدي الاجل الافضل صاحب السمو الشيخ مبارك باشا ابن الصباح حياه الله لينعش آمال المسلمين ويسر فؤاد جلالة متبوعنا الاعظم وخليفتنا الافخم أمير المؤمنين لانكم خيرة من عرفت من الرجال بالمعارف والاداب والافضال ومحاسن الاقوال والافعال فحري بمن كان مثلكم من كرام القوم ان تقدروا قدر الشيخ الجليل وسمو أخيه وصفيه المعز النبيل فانهما سيدا العربان وملكا العراق بواسع السلطان وصفيا مولانا الخليفة الاعظم ولي النعم وعماد الامم بغير امتنان

ومثل هذا التقرب المحمود بين ملوك المسلمين وسراتهم وأعيانهم لفيه الامل الاكبر بتقدم الاسلام واستعادة سابق مجده الذي لايرام حقق الله أمالنا بكم يانخبة الكرام والسلام

وقد تفضل سيداي الشيخان الجليلان برضاهما عن كلماتي التي كان لها أحسن وقع في نفوس هؤلاء الامجاد وبعدان قضينامدة من الليل ساهرين ارفض الاجتماع وعدت الى غرفتي فحررت هذه الرسالة للعمران

عن القصر الخزعلي العالي في المحمرة في ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٢٥

عبد المسيح انطاكي



الرسالة التاسعة

« نشرت في العدد ٣٦٥ من جريدة العمران الجزء ٣٥ من المجلد الاول »

(الصادر في ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٢٦)

زيارة الترسخانة

أصبحنا صباح الاربعاء ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٢٥ فنهضت باكراً جداً وجلست الى النافذة في القصر الخزعلي العالي وجعلت أسرح الطرف في ذلك الشط المجتمع من مياه الدجلة والفرات وقارون وغيرها من الانهار وكانت تمرّ امامي البلايم والزوارق والبواخر التجارية بحركة عجيبة مدهشة تدلّ الناظر اليها على مافي هذه البلاد من الامان والعمران

وفي الضحى دعيت لمجلس سمو مولاي معزّ السلطنة الشيخ خزعل خان فأقمت بين يديه مدة ثمّ استأذنته بالمسير الى الفيليه لمشاهدة الترسخانة فأذن لي كرماً وأوفدني مع رجل من نصارى بغداد يدعى الاسطى داوود وهو رجل أديب عرفته من قبل لانه قائد اليخت المظفري وناظر الترسخانة المشار اليها وهو رجل أديب حسن الخلق ويحسن الانكليزية جيداً وفوق ذلك هو بارع بالملاحة وصناعة الحديد فسار بي الى الترسخانة بالبلم الملوكي فاذا فيها العمال يشتغلون بكل جدّ ونشاط وفيها آلات الصناعة على اختلاف أنواعها وهم يشتغلون بتعمير يخت لسمو مولانا الشيخ المعزّ على أحدث طراز وكاد ينتهي وكل أوائله من صنع أولئك العمال وسرني أنهم كلهم من الوطنيين من مسلمين ونصارى وليس فيهم أجنبي على الاطلاق وهذه لعمر الحق

نهضة بالصناعة تذكر لسمو مولانا الشيخ خزعل خان الجليـل أعزه الله بالشكر والثناء وصادق الدعاء

« نقول لقد علمنا أخيراً أن هذا اليخت قد كمل بناؤه واحتفل بانزاله الى البحريوم ٣٠ ربيع الاول من هذا العام (سنة ١٣٢٦) احتفالاً شائقاً ترأسه سمو مولانا الشيخ خزعل خان وسمو مولانا الشيخ مبارك باشا الافخمين وحضر الاحتفال عدد كبير من وجوه المحمرة والبصرة وأطلق على هذا اليخت اسم « قارون » وعلمنا أيضاً أن الترسخانة الخزعلية تشتغل اليوم بيخت آخر وقد باشرت عملها وسيطلق عليه اسم « ايران » لازال سمو مولانا الشيخ الجليل عاملاً على رقي امته وتعزيز ملكه الى ماشاء الله اه »

وبعد أن قضيت في الترسخانة العامرة مدة ساعة ونصف الساعة عدت ادراجي مع الاوسطى داوود المشار اليه الى القصر الخزعلي المنيف وأنا أردد آيات الاعجاب والاندهاش مع الشكر والثناء وكان ذلك قبيل الظهر وبعد أن تناولت طعام الغذاء على المائدة الملوكية سألني سمو مولاي وولي نعمتي الشيخ الجليل عن الترسخانة العامرة وما شاهدتهُ فيها فقلت مرتجلاً :

مولايَ لم تبق للاقوام من امل … لما عضدتَ مبادي العلم والعمل
وفي معاليك أضحى العلم مزدهراً … يجرُّ ذيل العلى في أفخر الحلل
سستَ الانام بحزم لامثيل له … وحكمة بات فيها مضرب المثل
وصنت ملكك بالرأي الرشيد فلا … يحتاج من بعد حسن الرأي للاسل
وبات مجدك مافوق السماك علىً … في دولة فيك أضحت أفخر الدول
فان تفاخرنا الدنيا نفاخرها … في خزعل ويكون الفخر فيكم لي
لانني لائذٌ في فضلكم أبداً … ومن يلوذ بكم يمسي أخا جذل

سمعت عنكمو من حسن المدائح ما ... دون الذي شمته لما سمعت ابلي
وما سمعت ليكفيني وحسبك يا ... مولاي انك تحيي مائت الامل
وقد رأيتك أحييت البلاد بما ... تأتيه من معجز الاصلاح عن عجل
أدخلت للملك أشتات الصناعة كي ... يرقى بها مثل مرقى أعظم الملل
وفي الصناعة خيرات معددةٌ ... تولي اليسار لذي الاعسار والشغل
وثروة الغرب من هذي الصنائع اذ ... راجت بكل مكان بات منها خلي
ولا نجاح لاهل الشرق أجمعهم ... ان لم يفوزوا بآي العلم والعمل
ولا يفوزون في هذي الصنائع والا ... آدب الا بملك قادر وعلي
كسيدي الشيخ من ذاعت مدائحه ... في المشرقين مديحاً باهر الجمل
به المحمرة الزهرا سمت وعلت ... وبات عمرانها الزاهي البهاء جلي
ملك غدا موضع الاجلال محترماً ... سامي المقام رفيع الجاه ذا نبل
راحاته خلقت للمال يبذله ... جوداً وقد خلقت للثم والقبل
أدامهُ الله مكلوءَ الجناب مدى الا ... اجيال بالسعد والاقبال والجذل

ثمَّ نهضنا عن الغذاء فأنصرفت الى غرفتي واختليت بنفسي وأنا معجب بمولاي المعزّ حفظه الله مندهش من حزمه السامي وعزيمته القوية وسائلاً الله ان يكثر من أمثال سموه في الامة العربية الكريمة

سعادة الميرزه حمزه

وقبيل العصر سرت الى مكتب حضرة الوزير الكبير سعادة الميرزه حمزه المحترم في القصر الخزعلي العالي فاذا سعادتهُ مكبّ على مراجعة اعمال الامارة بما هو معروف عنه من الجد والنشاط والغيرة والتفاني في خدمة مولانا ومولاه ولما رآني داخلاً عليه قابلني بمزيد الاجلال والحفاوة وادنى مجلسي من

مجلسه و بالغ بالتلطف بي على ما اشتهر عنه من كرم الطباع وبعد ان تناولت القهوة أنشدته قصيدتي التي قلتها في مدحه وهي .

اركب جناح الريح يا ابن غرامِ ... ان صعَّبوا فيك الخطى لامامِ
او كان قطعُ البرّ صعباً والبحا ... رُ تلاطمت بالموج أيَّ لطامِ
واقصد مرابعَ جملٍ لاوانٍ ولا ... خجلٌ بكل تشوّق وهيامِ
واعرضْ على أسماعها ماقد لقيـ ... ـت من النوى من لوعةٍ وسقامِ
فلعلّها تعنى بما بك من جوى ... ولعلها تلقاك بالاكرامِ
ريمٌ تخافُ الاسدُ من نظراتها ... والاسدُ ماخافت منَ الارامِ
تخذت من الظبيات عينيها ومن ... هذي القناة جميلَ ميس قوامِ
لواسفرت ازرت بهذي الشمسِ في ... رأدِ الضحى في وجهها البسامِ
قاسوا ببدرِ التمّ نورَ جبينها ... هيهاتِ ليس لهُ دوام تمامِ
فتنتْ بزاهي حسنها الرهبانَ بل ... هيَ فتنة القسيس والحاخامِ
ماشامها متزهدٌ متنسّكٌ ... الارنا لعبادةِ الأصنامِ
لولم تلذ في خدرها غوث الورى ... ورمتهمو من عشقها بخصامِ
صبراً فانك قد بليت بحبها ... ورميت من نظراتها بسهامِ
وتجملنّ على التبغدد والدلا ... لِ بغير ماشكوى من الآلامِ
ولقد قدمتَ على الهوى بجراءةٍ ... وجسارةٍ فاحذر من الاحجامِ
ولقد عزمتَ فكل الى الله الامو ... ر وسر بنا للسيد الهمامِ
حمزه الوزير المرتجى الشهم الذي ... حسناته تربو على الارقامِ
قد نالَ في ظلّ المؤثل خزعل الـ ... شيخ العليّ الشأنِ خير مقامِ
وغدا لدولته السنية عاضداً ... وبملكه ذا النقض والابرامِ

بدرايةٍ عرفت به وبها سما   وبحكمة غراء فيها السامي
ولكم امدَّ الملك منهُ بفكرة   وقادة أغنت عن الصمصامِ
ولرأيه خضع الزمان فراضه   كرياضة الاجياد بالالجام
او لم يك السردار احزم مالك   ماناط امر بلاده بحزام
ولمثل خزعل في حميد ذكائه   احرى بمثل وزيره المقدام
ويشاكلُ المخدومَ في املاكه   ماعنده من اكرم الخدام
ان الكريم اذا سمت اميالهُ   لايرتضي للملك غير كرام
والمرء يعرف قدره ممن يلو   ذ به وتلك سجية الايام
فاذا امتدحنا حمزة بفعاله الـ   غراء بحسن دراية ونظام
فهو المديح لشيخنا ولشيخه الـ   سردار ارفع صاحب الانعام
فبظله السامي الظليل وزيره الـ   مفضال اضحى صاحب الاكرام
وغدا العماد لكلّ راج قاصدٍ   والعون عند شدائد الايام
فبحزم مولاه يدبر ملكه   وبجوده يسخو على الاقوام
وبرأيه يجلو الخطوب اذا دهت   ويعيد للاملاك عهد سلام
لله درُّ أبي الوزير وملكه   سادا بني الاعراب والاعجام
فهو المعانُ وحمزة خير المعيـ   ـن كلاهما من افضل الحكام
بهما محمرة لقد بلغت أما   نيها وقد فازت بيمن عامِ
والعدل لألأ في مرابعها السنيـ   ـة بانجلاء مظالم الظلامِ
خدما شريعة احمد وكتابه الـ   أسنى وكانا بهجة الاسلامِ
وهما غياث الخائف اللاّجي وذخـ   ـر أرامل الفقراء والايتامِ
ياحمزة السامي الوزير هنئت في   رضوانِ خزعلَ سيدي القمقامِ

وأهنأ فانك فزت بالحمد العميم مع الثنا والمجد والاعظام
وبلغت في سامي اجتهادك رفعة ما نالها المعتز بالاعمام
وابشر فانك عند خزعل صاحب وابشر فعند الناس خير همام

وكان جناب الوزير وانا انشده قصيدتي يتبسم طرباً حتى اذا انتهيت منها قال « لولا انها مشرفة بمدح مولانا المعزّ رعاه الله لاستعظمت انشادها بمثلي فما انا الا خادم من خدامه وعلى كلٍّ فأنت بحمى مولانا الشيخ متنعم ان شاء الله »

فشكرت جناب الوزير على حسن رعايته لي وجميل عنايته بي وانطلق لساني بحمده ثمّ انصرفت من لدنه وانا معجب بهذا الشهم الهمام الذي رأيت في مجلسه فوق الذي سمعته عنه من مكارم الاخلاق ومحمود الطباع

وصف الوزير

ان سعادة الوزير حفظه الله كهل في نحو الخامسة والخمسين من عمره وهو طويل القامة ممتلي الجسم أبيض البشرة بشوش الثغر ذو عينين تنبعث منهما أنوار الذكاء والفطنة . وهو يلبس الملابس العربية ويبتعد عن كل ظهور بمظهر الجلال والعظمة اقتداء بسمو مولانا ومولاه ولي النعم سمو الشيخ خزعل خان المعظم

ومشهور سعادة الوزير بذكائه ودرايته ودهائه السياسي وحزمه في حلّ المعضلات وكرمه الحاتمي وبهذه الصفات العالية والاخلاق المتلالية كسب ثنا العموم وشكرهم وحبهم واحترامهم

وللوزير قصر جميل في الفيليه يقيم فيه عند مايكون فيها وقصر آخر في البصره كثير الفخامة على الشط يقيم فيه عند مايكون في البصرة لكثرة

العلائق المتواصلة بين البصره والمحمره . وكما ان الوزير محبوب ومحترم في المحمره كذلك هو محبوب ومحترم في البصره من أولياء الامور ومن الوجوه والاعيان واما عن كرمه وفضله فحدث ولا حرج فهو كسمو مولانا ومولاه مقصود من القصاد تسعى اليه الركاب من كل صوب وحدب ومائدته في البصره كمائدته في المحمره لاتخلو من ضيوفه العديدين في كل مساء

والوزير على علم وأدب ويعرف من اللغات العربية والتركية والفارسية ويتكلم بالانكليزية قليلاً وواقف على أسرار التاريخ وله ميل الى الادب والشعر وهو تقيّ ورع حسن التدين حياه الله وأبقاه

زيارة مولانا المبارك

وبعد ان خرجت من عند الوزير انصرفت لزيارة مولاي وولي نعمتي سمو الشيخ مبارك باشا ابن الصباح في يخته العالي وزيارة سموه فرض مقدس على خادم أمين مثلي فانتقلت من القصر الخزعلي العالي الى اليخت الاسنى على العلم الملوكي ولما مثلت بين يدي سموه أعز الله به الاسلام قابلني بما عهدته فيه من الاخلاق الكريمة نخففت اليه وفزت بلثم راحتيه اللتين لم تخلقا الا للقبل ثمَّ أمر لي بالجلوس فجلست شاكراً داعياً فسألني عن صحتي وراحتي فقلت مادمت في ظلال سموكم وسمو أخيكم النبيل فأنا في نعمة مشكورة وراحة دائمة . ثمَّ تفضل سموه فسألني عن يومي وأين قضيته فقصصت على اسماعه الكريمة مارأيت في الترسخانة العامرة وفي جناب الوزير. فقال سموه اننا لاندخر وسعاً في خدمة الامة الكريمة التي قدر لنا ان نحكمها وهكذا كما ترانا ندأب المسعى لابلاغها الدرجة التي تستحقها من الرقي والتقدم واننا لمشعرون أنا وأخي الشيخ بعظم المسئولية الملقاة على عاتقينا في حكم أكرم

أمة ظهرت في الوجود الا وهي الامة العربية الكريمة واذا كان بعض المسلمين في جهاتكم لا يرون فينا الا مايسمعونه من أعدائنا فليس الذنب في ذلك علينا بل على أعناقهم لتقصيرهم في الوقوف على حقائقنا أولا وليبع ضمائرهم الى أولئك الاعداء الذين لايروقهم صدق الخدمة لاهل هذا الدين الحنيف واني لاسأل لهم الهداية والتوفيق الى الاخلاص في خدمة القوم الذين ينتمون الينا وتجمعنا واياهم جامعة الجنس والدين واللغة . فان جماعتكم في مصر وان كانوا خليطاً من العرب الذين هاجروا اليها في صدر الاسلام ومن القبط أهل البلاد الا انهم مع الايام قد تعربوا ولو انصفوا لعرفوا ان الانسان الذي يخون قومه وينتمي الى الاغراب مهما كانت جنسيتهم ودينهم لايعدّ في عرف التاريخ و بنظر الحقيقة الا « خائنا » ومن لاخير فيه لقومه فلا خير فيه للاغراب . ووالله مادالت دولة العرب الا لانقسام القوم على أنفسهم

فدهشت من هذه الحكمة البالغة ووددت لو تتسطر هذه الكلمات التي تفضل بها سمو مولانا الشيخ مبارك على قلوب كل من يدعي خدمة الاسلام من أصحابنا الصحافيين الكرام وقلت مرتجلاً هذه الابيات

مولاي جئتَ بحكمة دريّةٍ	لو أنصفوا شاموا بها خير العمل
ونطقت بالحق الصريح وليتهم	يصغون للحق الصريح المكتمل
ان المصيبة سيدي من فيئة	جعلت تضلُّ الناس بالقول الخطل
تخذت ديانتها وسؤدد قومها	سبباً لتحصيل الثراء على عجل
باعت مصالحنا الى أعدائنا	بيع الخسائس وارتدت شرَّ الحلل
وروت اكاذيب المقال عن الكرا	م العرب بالمال الخسيس المبتذل

وروت على اقيالنا من افكها ⁂ مالو يصحُّ عليهمو خاب الامل

ولقد ارادت ان تفرق جمعنا ⁂ في افكها من غير ان تخشى الزلل

ليزول مجد العرب من هذا الوجو ⁂ دوملكهم من بين اشتات الدول

ويسود فينا الاجنبيُّ ببطشهِ ⁂ فيسومنا الذلُّ المعيب مع الوجل

هذي سياسة نابغي مصر فهل ⁂ نرجو لها اصلاح ذياك الخلل

فتعود من بعد الضلال الى الهدى ⁂ عوداً لاشرف ملة بين الملل

هي ملة الاعراب من قدد وخت ⁂ ملك القياصر والاكاسر بالاسل

هي ملة عزت على الدنيا باق ⁂ يال كرام ما بهم غير البطل

وتفردت بمكارم الاخلاق مع ⁂ حسن الشمائل والذكاء المشتمل

سادت فعلمت البرية جملة ⁂ هذي العدالة وهي اعدل من عدل

واسلم ودم ذخراً وفخراً ياعما ⁂ د الدين والدنيا الى أنأى أجل

واقبل مديحاً صغته في الحضرة ال ⁂ عليا على ما جاء مدحاً مرتجل

فتلطف بي سمو مولاي المبارك ما شاء التلطف والشيء من معدنه لا يستغرب لازال مولانا المبارك في أسمى مدارج الفخار ما توالى الليل والنهار

السهرة

وفي المساء تناولت طعام العشاء في اليخت المباركي العالي على بساط مولانا الشيخ الجليل ثمّ استأذنت وعدت الى غرفتي في القصر مراعاة لصحة عيني التي كانت لم تزل متأثرة بغشاوتها ونمت ليلتئذٍ وعندما أصبحت جلست لكتابة هذه السطور للعمران والسلام على القراء الكرام

عن القصر الخزعلي العالي في ٣٠ ذي القعده سنة ١٣٢٥هـ

عبد المسيح انطاكي

الرسالة العاشرة

« نشرت في العدد ٣٦٦ من العمران الجزء ٣٦ من المجلد ١ »

(الصادر في ٩ جماد الاول سنة ١٣٢٦)

﴿ الشيء بالشيء يذكر ﴾

أصبحت صباح الخميس ٣٠ ذي القعده سنة ١٣٢٥ فسطرت رسالتي الماضية للعمران بعين واحدة لان الغشاوة كانت مجللة عيني اليمنى وفرقت بالحق لهذا الحادث الجلل وصرت أذكر حديث العور والشوسان فذكرت حادثة ذلك الاعمى الذي نادى يوماً وقد ضلّ طريقهُ قائلاً . ياناس ماأشد فقد البصر ؟ أجابه أعور من خلفه قائلا : عندي من ذلك نصف الخبر !! ذكرت هذه الحادثة وجعلت أغلق عيني المرضى وأنا غير متعود على العوار فاتضايق وأقول اصبح عندي نصف الخبر وسأعوّد نفسي على العوار وصعب على الانسان مالم يعود.

ثمَّ خطر لي وانا في ذلك الضيق والخوف حديث « الشوسان » جمع أشوس ويراد بهِ الاحول فذكرت حكاية نقلت لي عن « بردّ حلب » قالوا كان في حلب فيئة من الناس معروفون بالاسخان والناس يدعونهم « برد حلب » وكان لاهمَّ لهؤلاء الا قتل الوقت بالحوادث المضحكة ففي ذات ليلة من ليالي كانون الباردة كانوا ساهرين في منزل أحدهم وطال بهم الحديث الى مابعد نصف الليل فاختلفوا في ذلك الوقت على مسئلة الاشوس وهل ينظر الشخص شخصاً مفرداً كحقيقته أو يراه عدة أشخاص وطال الجدال بينهم ولم يتوفقوا الى حلّ قاطع فارتأوا ان يسألوا شخصاً مشهوراً بشدة

الحول وكان منزله يبعد عن منزلهم مسافة نصف ساعة تقريباً فلم يسعهم تأجيل السؤال الى غدهم لئلا تفوتهم النكتة على رأى المصريين ولم تمنعهم الوحول والامطار والزوابع وبعد الشقة عن ذلك لأنهم وجدوا في الامر نوعاً من الاسخان . فشمروا أذيالهم وسعوا لدار الرجل والامطار منصبة فوق رؤوسهم كأنها من افواه القرب . وكانت المدينة وقتئذ ذات حارات لها بوابات تغلق في الليل فصاروا ينبهون الحراس في طريقهم وهم يضحكون ويمزحون ويلعبون . وما زالوا كذلك الى ان بلغوا منزل الرجل فقال بعضهم لبعض لا يجوز لنا ان نقرع جميعنا الباب على الرجل حتى لا يزعر ويخاف والاولى ان يذهب من كل فريق منا شخص ويسير الشخصان لتنبيه الرجل والاستفسار منه والعود سريعاً وبعد ان أقروا على هذا اختاروا شخصين منهم سارا لبيت الرجل ووقف الآخرون عن بعد ينتظرون الجواب وهم يضحكون

أما الرجلان فسارا الى بيت الرجل وقرعا الباب بشدة مزعجة فخرج الخادم وفتح الباب وقال ماذا تريدان؟ ؟ قالا نريد سيدك قال انه نائم قالا نبهه قال وهل الامر شديد الاهمية الى درجة يحتاج معها ان ينهض سيدي وهو رجل عاجز من فراشه في مثل هذا الوقت على شدة البرد وهطول الامطار ؟؟ قالا ويلك أسرع ونبهه لان الامر خطر جداً جداً . فلما سمع ذلك الخادم أسرع لغرفة سيده ونبهه وهو لا يشك بأهمية الطلب . فنهض ذلك العجوز من فراشه مزعوراً وارتدى فروته وانحدر من السلالم متثاقلا وخرج الى الباب وقال ماذا تريدون؟ فتقدم الرجلان بصورة الجد وقالا عفواً فقد نبهناك في مثل هذا الوقت لنسألك اذا كان الاشوس (الاحول) يرى الشخص واحداً أو اشخاصاً

متعددين فاستشاط الرجل غيظاً وقال ويلكم تأتون أربعة خمسة أشخاص فتنبهون في الليالي الباردة عجوزاً مثلي لسؤال بارد كهذا قبحكم الله من سفلة لئام . وبينما كان الرجل مغتاظاً يونبهما قال أحدهما للآخر بكل برود أرأيت يا أخي كيف رآنا ونحن اثنان أربعة خمسة اشخاص ؟؟ فهيّ بنا الى رفاقنا وهكذا سارا ضاحكين وتركاه ساخطا وقصا على رفاقهما ما كان وقضوا بقية ليلتهم ضحكا وسروراً على هذه النكتة الباردة التي مازالت تتردد على افواه الناس في حلب وقد مضى عليها خمسون عاماً او يزيد

ذكرت هاتين الحكايتين فضحكت مع ما أنا فيه من الفرق على عيني واذا كانت العين سراج الانسان في ظلمات هذه الحياة وضرورية لوجوده فهي أضرّ ما يكون لكاتب مثلي لا رزق له الا من شق القصبة ورأيت ان أفكه بهما القراء الكرام ان كان فيهما شيء من الفكاهة مقابلة لكدرهم على مصيبتي في احدى عينيّ وأما انا فلا زلت وجلاً خائفاً

ثمّ جاءني الخادم بطعام الفطور فخطر لي أن لا أفطر حزناً على عيني ولكن عند ما نظرت ذلك « الجاي » في تلك الآنية الفاخرة تحف به أنواع الجبن والبسطرمه (وهو نوع من اللحم المقدد يصنعه أهل العراق أتقن صنع) سميت بالله العلي العظيم وقلت معزياً نفسي هل يموت الانسان جوعاً اذا فقد عضواً من أعضائه أو دوهم بمصاب فلآكل الآن ثم أعود الى العناية بأمر عيني . وهكذا شمرت عن ساعديّ وبرزت الى الطعام فأكلت بشراهة وشربت بنهم وقد أنساني لذيذ الطعام تلك الغشاوة السوداء التي دهمت عيني ولكني عند ما شبعت أكثر من الشبع ولم يبق من زيادة لمستزيد عدت الى سابق حزني وفرقي وقلت :

غشى الظلام عليك ياعيني التي ... قد كنت فيك أرى الظلام منيرا

ومصيبتي ذا اليوم فيك عميمة ... لاتنقضي أو ان أعود بصيرا

لالا أريد بأن أكون ضريرا ... أو ان أشابه من صحابي العورا

لامتع العينين بالشيخين اذ ... مرآهما يملا الفؤاد سرورا

قد عززا أهل الكتاب وجددا ... لهمو الفخار الذائع المشهورا

شيخان بارك فيهما الرحمن قد ... شام الورى بهما العلا والخيرا

لولاهما ما ذاع مجد العرب في ... عصر غدا بالسيدين منيرا

فمبارك مع خزعل قد أحييا ... ماكان في صدر القضا مقبورا

فاليهما العربان أجمعهم يرو ... ن المقبل الآتي يرون كبيرا

ويبشر العربان بعضهم لبعـ ... ـض في عُلى شيخيهمو تبشيرا

فاذا فرقت على ضيا عيني لاف ... رق ان أقصر في الثناء اخيرا

وبعد ان جادت القريحة بهذه الابيات عفواً ابيت ان ارفعها اسموّ سيديّ الشيخين لما اعلمه من جليل رعايتهما واشفاقهما على الجميع تحاشياً ان اكدر صفائهما في هذا الامر الخطير في نظري لانه شطره والحقير في نظر سموسيديّ الجلين لاني والالوف من امثالي فداهما وهكذا طويت ابياتي وضممتها الى المحفظة

عريضة استرحام

وخطر لي بعد ذلك ان اعرض امر عيني على طبيب سمو مولاي وولي نعمتي الشيخ المعزّ ثم خطر لي ان لااصدع سموه بأمري واصررت على السكوت حتى لايكون ثمّ من مكدر لذلك الصفاء العام الذي كان — ولا يزال ان شاء الله — متجلياً على القصر الخزعلي العالي . ولكن مع ذلك

رأيت ان اذهب الى المحمرة فاراجع هناك طبيب الكورنتينا وخطر لي أيضاً ان اذهب الى المحمرة مرة واحدة لقضاء فروض الوداع لان عودة مولانا ولي النعم سمو الشيخ مبارك باشا الى عاصمة امارته كويت المحمية كانت قد دنت على ما علمت من سموه وسأكون بركاب سموه حسب الامر الكريم وعلى هذا رأيت ان استأذن بالسفر حتى اذا صدر الامر استأذن بالمسير الى المحمرة لقضاء فروض الوداع وهناك اقابل الطبيب وعلى هذا تناولت القلم وكتبت وانا بعين واحدة لسمو مولاي المعز هذه العريضة

أبدي لاعتاب المعزّ المحترم   مغيث عربان العراق والعجم

من داره للناس أضحت معتصم   وأرضه أمنع من غاب الاجم

شكراً جزيلاً لم يصوره قلم   شكر الربى للغيث ان يوماً سجم

شكراً يضي كالنار ما فوق العلم

* * *

وبعد اني في حمى رب الكرم   والفارس المغوار ذي المجد الاشم

والعادل المشغوف في كشف الظلم   قد فزت في نور الهنا بعد الظلم

وغبطة ورغد عيش ونعم   وسعة في الرزق مع وافي الغنم

بظله قد بتّ حقاً في حرم   لاأرهبنّ الدهر يأتي بالنقم

من حولي العبدان مع جمع الخدم   ممتع بكل أنواع الخدم

بدولة شعارها عالي الشمم   مليكها رب السجايا والكرم

مأثورة عنه محاميد الخيم   وخير ملك قد تسطى واحتكم

خزعل خانٌ خير مفضال حكم   أقواله الغراء تزهو بالحكم

وفضله الاسنى لقد عمّ الامم   وما بغى من دهره أمراً أمم

بعدله عاش الذئاب والغنم　　والطير مع كواسر الباز الرخم

بصفو عيش بالتساوي مقتسم

*
* *

هذا هو المقصود حقاً للعظم　　وانه المنشود في دفع الازم

يقصده العافون من أهل العدم　　ومن يرم جدواه مالاقى الندم

وهو وأيم الله في الدنيا علم　　وجيشه في الحرب مرفوع العلم

وذكره كالمسك ضوّاع أتم　　وحمده فرض على اهل الذمم

وقدره عال وجدواه اعم

*
* *

مولاي قد أحييتني بعد العدم　　وصنت في جدواك شعري المنتظم

عن مدح من لم يدر ما معنى الكلم　　من زمرة قد شابهوا حمر النعم

لاقيت في تمداحهم كل السأم　　وصرت قبل الوقت في سن الهرم

لكنني جددت مالي من همم　　مذ بتّ من علياك مابين الحشم

شرفتني في منتهى الفخر الاتمّ　　وتلك نعمى يامفدى لاترم

وانها والله أسمى مغتنم　　وانها والله من اسمى القسم

انشدها بين الملا على نغم　　تتلى بأطراف القصور والخيم

في كل مصرٍ بين عرب وعجم

*
* *

ائذن لعبد في معاليك اعتصم　　بأن اعود اليوم اروي للامم

ما شمت في علياك من عالي الشيم　　مدائحاً لاأرهبن فيها التهم

منظومة عقداً سنياً ملتحم　　بكلّ معنى في سجاياك انسجم

اذيعها فوق الروابي والاكم ينشدها الركبان رعيان النعم
ويستطيب ذكرها اهل العجم وكل نثار وللشعر نظم
فائذن ونل حمدي بحسن المختتم

﴿ الذهاب الى المحمره ﴾

وبعد ان حبرت هذه المنظومة الحسناء بمدائح سمو مولانا المعزّ البازغ العلاء خرجت اليه وكان في غرفته العلية في القصر العالي ، ولما مثلت بين يديه بعد الاذن خففت للثم راحتيه ووقفت فتلوتها على مسامعه الكريمة . فقابلها سمو مولاي وولي نعمتي بالقبول وتنازل لجبر الخاطر الكسير بحسن القول وأظهر لي من جليل رعايته وجميل عنايته فوق المأمول وقال في الاخير لو لم تكن ذاهباً بخدمة سمو أخينا المحترم الشيخ مبارك لما سمحنا لك بالسفر وانا انفضل ان تبقى عندنا على الدوام على انك حيثما كنت فانت ولدنا فقابلت هذه الكلمات الدرية التي لا تصدر الا عن صدر كريم كصدر سمو مولاي الشيخ خزعل خان بالشكر ووالله لو استنفدت بالحمد والثناء ما بقي من فسحة العمر لما وفيت حق سموه على ما امتاز به من المآثر الغر ، أضاف الله من أعمارنا الى عمره السعيد ، وجعله الله دائماً أبداً سيداً عظيما تحيا بفضله العبيد .

وبينما انا بين يدي سمو مولاي الشيخ الجليل واذا بحضرة الاداري الحازم النبيل رئيس التجار الحاج محمد علي خان وزير سموه داخل علينا فحيا سمو مولانا ومولاه الشيخ المعظم وجلس يتحفنا بنوادره الادبية واحاديثه الطيبة وخصني كرماً بالتفات خاص ثمّ قال : لقد كنت عند سمو مولانا الشيخ مبارك باشا ابن الصباح وعلمت انه مسافر الى الكويت صباح السبت وسيكون معه البك « واراد كاتب هذه السطور » فالتمس من سموكم

ان تسمحوا لي بحضرته ليكون هذا اليوم بضيافتي.

ومن المعلوم المشهور ان سمو مولانا الشيخ المعظم يحب وزيريه كثيراً ولا يرد لهما طلباً مهما كان خطيراً فلما سأله حضرة الوزير الحاج رئيس ان يسمح بضيافتي في ذلك اليوم تفضل سموه ونظر اليَّ ويريد كرماً ان يعرف ارادتي مع ان لا ارادة لمثلي في حضرته السنية ولكن يدلك هذا على ما اتصف به من الحلم وكرم الاخلاق أعزه الله . اما أنا فكنت ولا زلت لا ارادة لي لاني أعتبر نفسي خادماً أميناً من خدام سموه ولذلك قلت :

ارادة المولى فيقضي مايريد ... وكلنا في الخدمة الكبرى عبيد
فأْمر بما ترضاه أمراً نافذاً ... وأسلم ودم ياأيها الملك الفريد

فتبسم سموه تبسم الرضاء فخلت اني ملكت الدنيا بحذافيرها وأمره وأمره المطاع ان أكون في خدمة وزيره الهمام الكريم في بياض ذلك اليوم فشكرت وشكر الوزير وتعهد ان يعود بي في جنح الظلام وهكذا خرجنا من القصر العالي في الضحى وركبنا ذهبية حضرة الوزير الحاج رئيس وهي ذهبية بخارية صغيرة جميلة المنظر فاخرة الرياش فسارت بنا نحو المحمرة على ذلك الشط الجميل وكان جناب الوزير المحترم في طول طريقه يتلطف بي ويشملني بعنايته ورعايته وكنت مندهشاً من لطفه وكرم أخلاقه ومروئته وانسانيته على اني لم اعجب من ذلك والناس على دين ملوكهم وما دام مولانا الشيخ حفظه الله في مثل هذه الاخلاق الفاضله فلا عجب اذا سار وزراؤه وأكابر رجاله على هذا المنهج المحمود

﴿ وصف الوزير ﴾

اما جناب الوزير فاسمه الحاج محمد علي خان وقد منحته الدولة العلية

الايرانيـة لقب رئيس التجار وهو أكبر تاجر في المحمرة ومن أكابر أغنياء عربستان والعراق . وهو حفظه الله في نحو الستين من عمره قصير القامة نحيف الجسم ولكنه بهمـة الشباب وله عينان سوداوان تنمان على ذكائه وحسن درايته وفطانته ويمتاز برقة حـديثه ولطيف عشرته وحسن مروئته وغيرته على خدمة المسلمين وخير المساكين وهو سخي الـكف سموح اليد مشكور السمعة مقصود الجناب عالي الهمة واسع المكانة محبوب من الناس اجمعين ومن سمو مولانا الشيخ المعظم على الاخص فهذا هو الرجل الفاضل الذي كنت ضيفه في هذا اليوم السعيد

﴿ زيارة سمو ولي العهد ﴾

وفي حال وصولنا الى المحمره قصدنا رأسا دار حضرة الوزير فاسترحنا قليلا وتناولنا شيئاً من المرطبات ثمّ خرج بي حضرته لسراي مولانا ولي النعم صاحب السمو نصرة الملك الشيـخ جاسب خان المعظم ولي العهد وحاكم مـدينة المحمره وبوصولنا استأذنا بالدخول ولما دخلنا على سموه وجـدناه متصدراً في صاعـة الاستقبال ومن حوله حضرة الحصيف الاداري اللبيب عبد المجيد خان وزيره فاستقبلنا سموه بما عهد فيه من كرم الاخلاق وحسن الشمائل وقابلنا بالانعطاف السامي فشكرت ودعوت لسموه بطول العمر ووقفت بين يديه فانشدت هذه الابيات وقد جاء بها الارتجال

يانصرة الملك نصير الورى   ياخير من تسعى اليه السرى
يامنفق الاموال ان تذخرا   يا كاسب الشكران نعم الشرا
ياجاسب المولى العظيم الذرى

دور

ياواحد العصر الذي قد غدا بين الملا في فضله مفردا
ويامغيث الناس يامقتدى مددت للعافين طراً يدا
مشكورة فياحة عنبرا

دور

وأنت في زهوة هذا الصبي مجملٌ بالادب المجتبى
حللت في نادي المعالي الحبا بسيف رأي قاطع مانبا
أبنت فيه للذكا جوهرا

دور

شببت شهماً فاضلاً محسنا تولي الرعايا البشر بشر الهنا
فزال عنا فادحات العنا بفضلك السامي فنلنا المنى
فسد ودم يامرتجى مفخرا

دور

رأيت في علياك عالي الشيم وهمة من فوق كل الهمم
ورغبة تسدى لخير الامم وغيرة محمودة مع كرم
ونشأة للمجد لن تصغرا

دور

بدوت مثل البدر في ذا الكمال مؤيداً في ساميات الخلال
مسوّداً في باهرات الفعال معززاً بوالدٍ ذو جلال
اضحى لآيات الندى مصدرا

دور

معزّ هذا الملك سرداره خزعل من عزّ به جاره
شيخ جليل تلك آثاره وهذي هي مولعة ناره
لاتنطفي بين الورى للقرى

دور

مولاي ائذن حان وقت السفر واني الشاكر حسن الاثر
عندكمو قد شمت كل الغرر انظم فيها من مديحي سور
اسير فيها ناشراً مخبرا

دور

اودعك الرحمن يامعضدي وداع عبد للفتى السيد
وانت سؤلي ياحميد اليد وانت غوثي موئلي منجدي
فدم وسد واقهر اسود الشرى

وكان سمو مولاي وولي نعمتي وليّ العهد مصغ لنشيدي المرتجل بينما كان حضرة وزيره عبد المجيد خان يكتبه بقلمه وعند ما انتهيت من الانشاد وتلطف بي سموه ماشاء التلطف قال مادام سيدي الوالد المعظم ناظراً اليك بعين الرضاء والانعطاف فكلنا أعوان لك واني لآسف على فراقك على ما بيننا من بعد الدار ولكن ثق قد أصبح لك في فؤادنا انعطاف خاص وان أنت الا واحد منا قال هذا وأسرّ بعض كلمات لحضرة وزيره فخرج وعاد «بقچه» من المخمل (القطيفة) مزركشة بالقصب وفيها «بالطو» من الشال الكشمير الفاخر وتنازل سموه ففتحها بيديه ووضع البالطو على كتفي على السنة العربية فقلت في الحال :

البستني ثوباً من الكشمير أزهو به زهواً على العشير

وليس من جدواك بالكثير وأنت مولي باهرات الخير

لكلّ عاف مرتج فقير وقاصد راج العطا الموفور

وشاعر بشعره المسطور وناثر في مدحه المنثور

وعالم سامي النهى خبير ولوذعيٍّ فاضل نحرير

فدمت في الاقبال والسرور ممتعاً بالمجد والحبور

اسمى فتى وافي العلا مشكور على الندى يوم العطا مفطور

وعش سعيداً في مدى الدهور

فازداد سموه تلطفاً بهذا العبد الخصيص وازددت شكراً وثناء ثم امر أن نبقى في حضرته على طعام الغذاء فدنا من سموه جناب الوزير الحاج رئيس وأنبأه بسماح مولانا وولي نعمتنا سمو ابيه المعظم أن اكون بضيافة حضرته فقبل سموه العذر كرماً وخضوعاً لامر سمو ابيه المفدى وسمح لنا بالانصراف من حضرته فانصرفت وكلي السن تتلو شكره والثناء عليه

سراي الوزير

عدنا من لدن مولانا ولي النعم سمو نصرة الملك ولي العهد المعظم جناب الوزير الكبير الى قصره العامر وسار معنا حضرة الهمام الحصيف الميرزه عبد المجيد خان وزير سموه . والقصر ذو دورين احدهما ارضي وفيه مكتب الوزير ومحل تجارته الواسعة والاخر عالي وهو ذو قسمين أحدهما للحرم والآخر لاستقبال الضيوف ومنظره من الخارج جميل جداً وهو على نفس شط العراق ذو نظارة ليس أبدع منها

واستقبلنا جناب الوزير الحاج رئيس بكل مايمكن من البشاشة ورحابة

الصدر على ما هو معهود في حضرته وعلا بنا الى الدور العالي حيث استقبلنا في صاعة الاستقبال الكبرى وهي صاعة مفروشة على الطراز الاوربي بنفائس المفروشات وفي أرضها السجاد العجمي الفاخر وعلى الجدران نفائس الصور والرسوم والمرائي وجلس حينئذ حضرة الميرزه عبد المجيد وزير سمو مولانا ولي العهد المعظم وجعل يطرفنا بنوادره ونكاته ويشنف مسامعنا بفصاحته وذكائه العجيبين فاذا هو حفظه الله على جانب عظيم من الذكاء والدراية والمعرفة وعلمنا من لهجته اطلاعه الواسع على العلوم والآداب العصرية وقصّ علينا طرفاً من سياحته الكبرى في أوروبا ومصر التي كانت منذ بضع أعوام ثمّ جعل يحدثنا عن سمو مولانا ولي العهد وما يبذل من المساعي المحمودة لخدمة أهالي المحمرة حباً بخيرهم ورقيهم مما أستوجب سرورنا وشكرنا وأفاض بما ينويه سمو مولانا وولي نعمتنا من النوايا الطيبة لابلاغ البلاد أسمى درجات الرقي والعمران

ثمّ دعينا الى الطعام فدخلوا بنا الى غرفة خاصة رأينا في وسطها مائدة « للنظر لا للاكل » كما يقولون وهي على الطراز الافرنجي وكان على المائدة الزهور وصحون الفاكهة على أنواعها ثمّ جعل خدام المائدة يطوفون بنا بأنواع الأطعمة الفاخرة من كل لذيذ حلال فأكلنا بشراهة ونهم وأضاع علينا جناب الوزير عبد المجيد خان لذة الطعام بلذيذ حديثه وعند نهاية الطعام وقفت على المائدة وأنشدت قصيدتي الآتية :

﴿ أكاليل الازهار ﴾

﴿ في مدح جناب الوزير رئيس التجار ﴾

مالاح برق في الديار وأومضا ⁂ الا وأذكرني بعهد قد مضى

فتشوقني الذكرى وقد طال النوى … ويطول اطراقي لاحكام القضا

وألوم هذا الدهر في حدثانه … واهيم من شوقي باطراف الفضا

اشكو جوى في الصدر لاعج ناره … استعرت ولا عجبا كثير ان القضا

شوقاً لمن أوليته قلبي فلم … يحفل به كبراً وولى معرضا

رشا قضيت بحبه زمن الصبى … وبغير تنكيلي وقهري ما قضى

عاهدته ووفيت في عهدي له … فاغض طرفاً عن وفاي واغمضا

احببته لجفا بلا أثم ولا … ذنب واعرض عن ولايَ وما ارتضى

ما يفعل المشتاق ان ساءت ظنو … ن محبه فيه فاصبح مبغضا

وشكيتي فقد التجمل في النوى … اتبرض الصبر الجميل تبرضا

واحاول استرجاع ما قد فاتني … في قرب مولاي الوزير المرتضى

مولى مكارمه زهت وتلألأت … ومديحه السامي البها لن ينقضا

ذو غيرة في كشف كل ملمة … لا يترك المسقوط حتى ينهضا

قد أسعف العاني بجود يمينه … وأعانه حتى غدا متريضا

ولرأيه خضعت عداه ورأيه … يوم الكريهة كالمهند منتضى

داوى بحكمته الزمان وآله … مرضى لقد كانوا وكان الممرضا

والان شوكته وراض جماحه … فغدا له سهلاً جميلاً ريّضا

هذا الذي حسنت نواياه وطا … ب سريرة حسنا ووجهاً ابيضا

هذا رئيس جماعة التجار بل … وهو الرئيس بحكمه مهما قضى

هذا وزير الشيخ خزعل خير ما … لك فضله بين البرية قد اضا

ملك جليل صان هذا الملك في … مثل الوزير فبات خصباً غيضا

فادم الهي الشيخ خزعل سالماً … واهلك لمن لولاه يوماً أبغضا

يا أيها الحاج الرئيس المرتجى   فز بالمنى والق المعاند الاخفضا
واسلم بظل الشيخ خزعل واهنأن   منا بفضل يديه يهنينا الرضا
لازلت محفوظاً بعين عناية الـ   ـرحمن بالمجد الرفيع مفوّضا

ولما انتهيت من قصيدتي صفق الحاضرون سروراً وتفضل جناب الوزير فشكرني وهو اهل لكل شكر ثم جلسنا في صاعة الاستقبال الى قبيل العصر حيث نهض القوم للصلاة وبعد الصلاة ركبنا الخيول العربية وسرنا الى المدينة الخزعلية

﴿ المدينة الخزعلية ﴾

رأى جناب الوزير ان يسير بنا الى المدينة التي عزم سمو مولانا ولي النعم الشيخ خزعل خان ان يؤسسها ويمصرها على الطراز الجديد فاحضر لنا الخيل من الاصطبل الخزعلي العامر وهي من جياد الخيل العربية فركبنا وركب جناب الوزير رئيس التجار وجناب الوزير عبد المجيد وبعض الخدم وسرنا هكذا قافلة صغيرة مدة نصف ساعة بين اشجار النخيل فوصلنا الى سهل جميل في وسطه خليج تمّ حفره حديثاً على طول ثمانية آلاف متراً بعرض عشرين متراً وعمق ثمانية امتار ووصل احد طرفي هذه الترعة بنهر قارون والطرف الآخر بشط العراق لتكون ملأى دائماً أبداً بالماء. والارض التي ستبنى عليها هذه المدينة المتوجة باسم سمو مولانا الشيخ عالية الاديم طلقة الهواء صحيحة المناخ وقد تجولنا في اطرافها واراناجناب الوزير النقط التي سيباشر سمو مولانا الشيخ بناء قصوره فيها والنقطة التي سيبني فيها حضرة الوزير الخطير سعادتلو الميرزه حمزه خان . وبعد ان قضينا ردحاً من الزمن في تلك المفازة التي ستكون أفخم مدينة في عربستان عدنا والعود أحمد الى

المحمرة حيث تركنا الخيول وتجولنا قليلاً في المدينة ثم عدنا الى القصر وانا أحاول ان أحصل على فرصة أقابل بها طبيباً اريه عيني فلم اتمكن وحينئذ اعرضت لجناب الوزير الامر فأمر باحضار طبيب الكورنتينا وما هو الا القليل حتى كان الطبيب عندنا وهو شاب انكليزي مستشرق يحسن العربية والفارسية جيداً واسمه الدكتور « ريلي » وقد شاهدت منه منتهى اللطف والانس ومن ثم فحص عيني جيداً وقال ان هذه الغشاوة عارضة لا تلبث ان تزول وهي كثيراً ما تحدث في هذه الجهات واشار عليّ أن أستعمل النظارة عند الكتابة وأن لا أكتب في الليل وما لبث ان انصرف . اما أنا فشكرت الله على السلامة وانقلبت الى جناب الوزير فشكرته ورجوته بالحاح ان لا ينبي سمو مولانا الشيخ تحاشياً من تسبب ما يوجب اشفاقه على عبده هذا الخصيص بالامر فقبل الرجاء كرماً . ثم ودعنا جناب الوزير عبد المجيد فشكرته على جميل عنايته وسألت الله ان يديمه بحمى سمو مولانا الشيخ وولي عهده على أحسن حال

العود الى القصر

ثم ركبنا ذهبية جناب الوزير فجعلت تختال بجنابه طرباً وهي سائرة في شط العراق وكانت الشمس قد غربت فاشتد البرد قليلاً وفي حال وصولنا الى القصر العالي جلسنا قليلا طلبا للراحة ثم دعينا الى المائدة الخزعلية فتناولنا ما طاب ولذ من فاخر الاطعمة وكان سمو مولانا الشيخ يؤانسنا ويبشّ لنا ويحسن وفادتنا

السهرة

وفي أول الليل أقبل سمو مولانا ولي العهد الشيخ مبارك باشا المعظم

من يخته العالي بموكبه السامي فتصدر مع سمو أخيه مولانا الشيخ خزعل خان المعظم المقام وتلطفا بي حفظهما الله على ما عوداني وسألاني عما رأيت في المحمرة والخزعلية ثم استعادا مني انشاد القصائد التي تقدم شرحها وهكذا انضينا الهزيع الاول من الليل وقبل الانصراف أعلني سمو مولانا المبارك حفظه الله عن رغبته السامية بالعود الى الكويت المحمية في صباح السبت وان أكون على استعداد للسفر فشكرت وحمدت وهكذا ارفض الاجتماع فانقلبت الى غرفتي وجلست أحرر هذه الرسالة على نور الغاز رغماً عن أمر الطبيب

«حاشية وبعد كتابة ماتقدم أردت ان أورخ رسالتي في ٣٠ ذي القعدة واذا بحضرة الاستاذ العلامة الشيخ عبد اللطيف الجزائري دخل عليّ فلما قرأ التاريخ ضحك وقال انك تائه بيومين اثنين فقط لان اليوم ٢٨ ذي القعدة لا ٣٠ فشكرته على هذا التنبيه وعذرت نفسي على هذا الغلط ومن كان في حمى مثل سمو سيديّ الشيخين الجليلين لاعجب ان أضاع نفسه والزمن»

عن القصر الخزعلي العالي في المحمرة في ٢٨ ذي القعدة سنه ١٣٢٥

عبد المسيح انطاكي





ذا رسم انجال المعز ذوي المفا خر والعلى والمجد والاجلال

سادتنا الشهب المضيئة في الورى بسناهن النير المتلالي

فؤيدي عبد العزيز الى اليمـ ـن فسيدي عبد الحميد العالي

فالمرتجى العالي الذرى عبد الكريـ ـم لقد بدا لألاؤه بشمال

رسم لقد جمع النجوم الزهر من ثم شاع نور الشمس رسم جلال

ولسيدي السردار ارفع نيرا ن سواهمو لم يرسما بخيال

عبد المجيد المجتبي وكذلك عبـ	ـد الله وهو لاصغر الانجـال
وكبيرهم الشيخ جاسب صاحب الـ	آلاء اكرم فيه من مفضال
فالله اسأل ان يديمهمو جميـ	ـعاً في ظلال ابيهم المفضال
باليمن والاسعاد والارغاد والـ	اعزاز والتوفيق والاقبال

الرسالة الحادية عشرة

« نشرت في العدد ٣٧٠ من العمران الجزء ٣٦ من المجلد ١ »

« في ٧ جماد الآخرة سنة ١٣٢٦ »

حفلات الوداع

أصبحنا صباح يوم الجمعة ٢٩ ذي القعدة « والفضل في تصحيح التاريخ لجناب صديقنا العلامة الشيخ عبد اللطيف الجزائري » اصبحنا صباح ذلك اليوم واذا بالقصر الخزعلي العالي غاص بوجوه البصرة واشرافها واعيانها وقد قدموا خصيصاً من البصرة على ذهبياتهم البخارية لوداع سمو سيدنا ومولانا وولي نعمتنا الشيخ مبارك باشا ابن الصباح أعزه الله تعالى . فبادرت في الحال وارتديت ملابسي العربية وخرجت الى صاعة الاستقبال فقرأتهم السلام وتعرفت شخصياً بمن سبق لي وتشرفت بالانتماء اليهم بالمخابرة ولم أتشرف بمعرفتهم شخصيا وقد لقيت من مكارمهم فوق الذي كنت اسمع

وهمو الاجاويد الالى أخلاقهم	وفعالهم ما ان لها من شاني
فازوا من الدنيا بكل سجية	حسنا ومفخرة وعالي الشان

وقد تفضلوا فالحوا عليّ الحاحا بكرمهم ان اتشرف بزيارة مدينتهم فاعتذرت واني كنت اتمنى من صميم فؤادي مثل هذه الزيارة المباركة ولكن

ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وعند الضحى اقبل علينا مولانا صاحب السمو معز السلطنة سردار أرفع الشيخ خزعل خان يحف به مولانا صاحب السمو نصرة الملك الشيخ جاسب خان ولي العهد وحاكم مدينة المحمرة وساداتنا اصحاب السمو الانجال الصغار العظام فتصدروا في الصاعة بالاقبال والاجلال

وكانت الموسيقى الخزعلية مع ثلة من الحرس الخزعلي الخاص عند باب القصر البحري المطل على شط العراق واقفين بالسلاح الكامل لاستقبال مولانا ولي النعم صاحب السمو الشيخ مبارك باشا الصباح المفخم في زيارة الوداع الرسمية التي تعين لها ذلك الوقت فلما أشرقت انوار سموه من اليخت المباركي العالي يحف به سمو مولاي الشيخ حمد باشا الصباح صغير أنجاله وسمو مولاي الشيخ عبد الله سالم الصباح حفيده (وهما اللذان كانا بمعية سموه) مع بقية الحاشية الكريمة صدحت الموسيقى الخزعلية بالسلام بينما كان البلم الملوكي يحمل سموه مع الحاشية من اليخت الى القصر وعند ما وطأت قدماه لارض أخذت الجنود سلامه العالي بالسلاح ثم صاحوا بفم واحد «فليحي الشيخ مبارك فليحي الشيخ خزعل ثلاثاً» وفي ذلك الوقت خرج سمو مولانا المعز مع ساداتنا الانجال الانجاب ومن في الصاعة لاستقبال سموه وعادوا الى الصاعة بكل اجلال واحترام واكرام وعند ما استوى الحاضرون على مجالسهم وقفت بين أيديهم بكل احترام وقلت :

خطاب الوداع

سيداي الشيخان الجليلان

اني لاغبط نفسي ، واتهلل جزلا وسروراً وفرحا، اذ فزت بما كنت

أصبو اليه ، ورأيت بعيني الحقيقة لا المجاز مجداً يعول عليه ، وقد كنت — ومثلي كثيرون — اخال ان مجد العرب قد اندرس ، وان فخارهم لم يبق منه الا ما هو مسطور في الطروس ، وان ذلك الشمم الذي امتاز به العرب قد امحى

نعم قبل ان اترك مصر ، واتشرف بزيارة ساداتي ملوك العرب وأقيالهم كنت جاهلا حقيقة العرب وماهم عليه ، وهم قومي ؛ كما يجهل ذلك الآن من في مصر عموما ، لا فرق بين الحكام والكتاب والصحافيين والعامة ، وجميعنا لا نعرف عن العرب الكرام الا ما نراه في بعض الافاقين الذين يصلون الينا أو من يعارض الحجاج الكرام في طريقهم الى مكة كرمها الله.

من العار علينا ان نكون من العرب ، نحن اهالي مصر والشام ، و ن لا نعرف حقيقة قومنا بل من العار ايضاً ، ان نكون من العرب ، وان نناهضهم في هذا الوجود ، ونكون من اعدائهم عليهم ، وما من انسان ينتمي الى امة ويسبها ، ويعين اعداءها عليها ، الا كل خائن لئيم ذميم ممن أضلهم الله ، ومن اضلّ الله فليس له من هاد .

اننا في مصر والشام ، نقرأ أساطير الاولين ونقف على أنباء السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين — ونقول ياليت يكون لنا من قومنا خلفا صالحا يحيي مجد السلف ، نقول هذا ونحن نجهل ان في قومنا ، من الشيوخ العظام ، والامراء الفخام ، والملوك الكرام ، والرجال العظام .

من كل من فاق الكرام بفضله   وعلا بسؤدده على الجوزاء

سيداي الجليلان

ان اليوناني في مصر ، يفاخر الناس بيونانيته ، والصربي بصربيته ، والبويري ببويريته ، مع ان كل دولة من هذه الدول لا يبلغ عدد سكانها ،

عدد عشيرة أو عشيرتين من ساداتنا العرب ، ونرى الواحد منهم ، لو ذكر أمامه ملكه ، بغير الاحترام والتبجيل ، لارغى وأزبد ، وقد يضرب ويقتل وحقه ذلك ، لانه ذو حمية قومية ، وعاطفة ملية ، وهو يحسب ان ملكه يمثل قومه ، فكل احتقار يوجه اليه ، يوجه لسواد قومه ، أما نحن معاشر العرب ، فنقرأ في جرائدنا الاسلامية ، المطاعن القبيحة الكاذبة، على امرائنا وشيوخنا وملوكنا ، وندعي اننا في ذلك نخدم الاسلام ، ولا يوجد منا من يحتج عليها ويقوم لتكذيبها علناً فهل بعد هذا برهان على جهلنا ، وانحطاط آدابنا وانفراط جامعتنا القومية ؟ ؟

نعم . ان من لا يغار على قومه ، لا خير فيه، والطاعن في جنسه ، كالطاعن في نفسه ، واذا لم يكن لنا من انفسنا رقيب على مصلحتنا العامة ، فلا خير يرجى منا في هذا الوسط الذي نحن فيه ، هذا الوسط الذي انتقلت فيه ، السطوة والجاه والثروة والعلم ، الى اوربا ، وبات الاوربيون في المحل الارفع الذي كنا فيه ، وصاروا يحسبوننا فريسة لهم ، على ما نرى ونسمع كل يوم ، من الحوادث السياسية في بلاد المشارقة .

وهنذا يا سيداي قد تجولت بنفسي في بلاد العرب ،ورأيت بعيني ما عندكم من مجد وجاه وقوة ومنعة ،وحول وطول ، واني راحل عنكم ،الى حيث أنادي بمل، في ،وبكل ما في طاقتي ، معلنا فضلكم ومجدكم ، ومرغباً اخواني العرب في مصر وسوريا وتونس ومراكش وأوروبا وأمريكا بحبكم ، وأحسب ان هذا أقدس خدمة يمكن ان يؤديها مثلي ، الى قومه العرب ،وأومل ان سيكون لندائي صدى في أفئدة المسلمين الناطقين بالضاد ، الراغبين في استعادة ماكان لنا في ماضي التاريخ من المجد والجلال بظل خلافتنا العثمانية

ولعمري اذا كان اليوناني ، معما أصبح فيه قومه من قلة العدد والعدد ، وتبددهم في بلاد الله الواسعة الفضاء ، يفاخر العالمين في مجد أسلافه ، ذلك المجد السامي ؛ في الفلسفة والعلم ، والسياسة والفتح ، وبفضل ذكرى تاريخ آبائه وأجداده ، قد عمل ماعمل على نيل الاستقلال ، اولا يحق للعربي ، وهو سليل اولئك الفاتحين العظام ، والفلاسفة الفخام ، والعلماء الاعلام ، ان يردد هذا الفخر ، في كل ضحى وعصر ، وينادي قومه الى الاتحاد يداً واحدة ، على احياء ذلك الذكر العاطر ، واستعادة هاتيك المفاخر ؟؟

وهل يليق بالعربي ، ان يقنط من المستقبل وعنده في الكويت مثل مولانا الشيخ المبارك ، وفي المحمرة مثل مولانا الشيخ خزعل ، وفي البحرين مثل مولانا الشيخ عيسى ، وفى مسقط مثل مولانا الامام فيصل ، وفى لحج مثل مولانا السلطان احمد فضل ، وما منهم ، ايد الله كلمة الاسلام بفضلهم ، الا الباسل الكبير ؛ والحاكم العادل ، والمولى القدير ، والسيد السند الفاضل.

من كل مفضال عظيم قادر يحيي لامة احمد الامالا
خدموا الشريعة والرسول بهمة محمودة واروا الورى الافضالا
فى مثل فضلهم وسامي مجدهم نسترجع الاقبال والاجلالا
فادامهم ربي بجاه محمد ذخراً وفخراً ماالهلال تلالا

واني ياسيداي ، اودع اليوم المحمره ، وانا ذاكر مالقيت فيها من الجلال والجمال ، بظل ظليل سمو مولاي المعزّ المعظم ، وسيظل لها في قلبي افضل ذكر ، مشفوعا بالحمد والثناء والشكر مدى العمر ، والله اسأل ان يوفقني لخدمة ساداتي الاعراب الكرام ، خدمة صادقة نصوحة ، وفي ذلك مسك الختام ، والسلام اه

وكان القوم يقاطعوني بتصفيق الاستحسان وقدخالج صدورهم الحماس ،
وبعد ان انتهيت من كلماتي تنازل سيدي الشيخان الجليلان فتلطفا بي على
ماعوداني ، ثم انبرى أعيان البصريين في مضمار المديح والثناء والشكران ،
على مكارم وهمم سمو الشيخ مبارك باشا ، وسمو الشيخ خزعل خان ، ثم
اظهروا عواطفهم الشريفة نحو الشيخين الجليلين ، ودعوا في الختام بحفظ
وصيانة سمو مولانا ولي النعم الخليفة الاعظم السلطان ابن السلطان السلطان
عبد الحميد خان فأمن الحاضرون على دعائهم

ثم مد بساط الغداء ، وبعد مناولة الطعام شرب القوم القهوة ، وارفض الاجتماع

الانجال العظام

وقبيل العصر أقبل على سمو مولانا المبارك ، ساداتنا أصحاب السمو
انجال سمو مولانا المعز وهم الشيوخ الانجاب ، سمو الشيخ عبد الحميد ، وسمو
الشيخ عبد المجيد ، وسمو الشيخ عبد الكريم ، وسمو الشيخ عبد العزيز ،
وسمو الشيخ عبدالله ، دخل ساداتنا الشيوخ الانجال ، للسلام على سمو
مولانا المبارك حفظه الله سلام الوداع ، وكان كل منهم ، صانه الله تعالى ،
يحمي سمو مولانا ابيهم المعز المبجل ، يحيط به الخدام القائمون على خدمته ،
وقد شاهدنا منهم من الادب الباهر ، والوقار الظاهر ، والجمال الرائع الزاهر
ماشغف افئدتنا سروراً وحبوراً وابتهاجاً ، وقد قابلهم سمو مولانا المبارك
بعاطفة ابوية ، منبثقة من الحب الصادق الكائن في فؤادي سمو سيدينا
الشيخين الجليلين ، ذلك الحب الذي جعلهما روحا في جسدين ، وكان ساداتنا
الانجال ، يخاطبون سمو مولانا الشيخ المبارك بكلمة « ياعماه » فيؤانسهم بما
خلق الله في سموه ، من الطلاقة والبشاشة ، وبما اني عبد من عبيد سموه ،

وحائز على نعمة الانتماء الى مجده، والحظوى بشرف رضاه، بحيث اعد شاعره الخاص، تنازل سموه الى هذا العبد الامين وقال: الا ترى ابناء اخي اهلاً لمديحك، فقلت عفواً مولاي بل هم اولياء نعمتي، وانشدت مرتجلا

بسما العلى لالت نجوم فخار	بهائهن البادغ الانوار
وبها تجلى البشر والاقبال اذ	اضحت وحقك قرة الابصار
بربى المحمرة التي قد أصبحت	فيهم دار البشر خير ديار
اخذت من الشمس الضياء وأسفرت	مثل الشموس بباهر الاسفار
هذي وجوه بني المعز الزاهرا	ت الباهرات بجل اسم الباري
وهمو الملائك في الطهارة والبرا	رة في ظلال أبٍ جليل بار
ما منهمو الا الكبير النفس ذو	شمم تنزه عن فعال صغار
خلقوا وقد خلق العلاء لهم وهم	بمهودهم كسوافر الاقمار
وترعرعوا بديار مجد أبيهم الـ	مفضال خير مؤثل سردار
أشبال مجد في عرين غضنفر	يحميهمو من كارث الاقدار
مافيهمو الا الزكي كأنما	أفكاره الزهراء مثل النار
اني أعيذهمو من الحساد باسـ	ـم المصطفى وباله الابرار
فكبيرهم ذو المجد باسب نخرة الـ	ملك الذي بلغ العلى بوقار
والسادة الانجاب أرباب العلى	اخوانه شهب العلى ودراري
عبد الحميد مع العزيز مع المجيـ	ـد مع الكريم كواكب الاسحار
وصغيرهم ذو اليمن عبدالله من	قد لاح مثل الكوكب السيار
قد اظهروا حسن الذكاء مع الكما	ل وهم صغار بمقبل الاعمار
نبت لاكرم دوحة وأجل غر	س قد زها في أبدع الازهار

أحياهمـو ربي بظلّ أبيهما ... متفضال في النعمى مدى الادهار

وجعلهم و لبيون أهل المجدقر ... رتها وصانهـمو من الاخطار

وبهم أهني سيدي السامي العلا ... ءِ الشيخ خزعل مصدر الايسار

مولى لقد جبر الخواطر في مكا ... رمه ولم يكُ قط بالجبار

وبفضله الاسنى وباهر جوده ... بلغ الانام جلائل الاوطار

ولقد تفرد كالمبارك في العلى ... ومحاسن الاعمال والآثار

شيخان قد نال الاعارب فيهما ... كلّ المنى رغماً عن الاغيار

بهما غدوا في عزة عليا ومجـ ... ـدٍ باهر يزهو بكل ديار

قدحققا آمال الرسول المصطفى ... خير الورى في شعبه المختار

رفعا لدين الله مع فرقانه ... في المجد والعلياء خير شعار

وتوجهت لهما المدائح والثنا ... بمحاسن الاقوال والاشعار

فالله أسألُ ان يديم علاهما ... ذخرين معتليين اوج فخار

وعند ماانتهيت من هذه الابيات ، على ماجاء به الارتجال ، اظهر سمو مولاي وولي نعمتي ، الشيخ مبارك باشا الصباح ارتياحه وسروره ، وأصدر لي أمره الكريم ، بوجوب تسطيرها على الورق ، لتتلى على مسامع سمو مولاي وولي نعمتي المعزّ المعظم ، صانه الله تعالى ، وظللت بمعية سموه حتى المساء ، حيث تناولت طعام العشاء على مائدته السنية ، في القصر العالي ، وقد قضى سموه بقية النهار في صاعة الاستقبال ، يستقبل وفود المودعين ، لآخر مرة في القصر الخزعلي العالي ،

سهرة المساء

وفي المساء تصدر السهرة سيدينا الشيخان الجليلان ، وغصّ المجلس

بالوزراء والاعيان ، وكان الجميع آسفين ، على قصر المدة التي أقامها سموه في مياه المحمرة ، والتمسوا من سموه التشريف آناً بعد آن، فوعدهم سموه بذلك

ثم أمرني سمو مولانا المبارك حفظه الله ، بتلاوة قصيدتي التي نظمتها في الانجال العظام ، ففعلت وتنازل سمو مولاي المعز ، فشجعني بثنائه عليّ ، فشكرت وحمدت هذه النعمة التي هبطت عليّ من سماء التوفيق والسعود ، وبعد الهزيع الاول من الليل نهض سمو مولانا المبارك عائداً الى يخته ، وهكذا ارفضّ الاجتماع

وعند ماخلوت في حجرتي ، جلست الى مكتبي لآخر مرة وحررت هذه الرسالة للعمران ، وأنا أتمنى لو يكون معي القراء الكرام ، ليشاهدوا ما شاهدته من المجد والعز والسرور والغبطة والسلام

عن القصر الخزعلي العالي في ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٢٥

عبد المسيح انطاكي

الرسالة الثانية عشرة

«نشرت في العدد ٣٧٤ من العمران الجزء ٤٤ من المجلد ١»

«في ١١ رجب سنة ١٣٢٦»

(السفر)

أصبحت صباح السبت ٣٠ ذي القعدة باكراً جداً وكنت أرسلت ما معي من الصناديق والامتعة الى اليخت المباركي العالي فما كان معي الا «شنطة» صغيرة وفيها مالا أستغني عنه من الحوائج وأسرعت فترديت ملابسي وذهب خادمي فجاءني بفنجان من «الشاي» وملأ «الشيشة» فجلست ونظمت قصيدة الوداع ولم أكد أنهيها حتى كانت ساحة القصر الخزعلي العالي قد امتلات بالجنود الشاكة السلاح وصدحت الموسيقى بالسلام الخزعلي العالي فعرفت ان سمو مولانا ولي النعم الشيخ خزعل خان المعظم قد سطعت انواره في فناء القصر فأسرعت بالخروج فاذا بسموه واقف في تلك الساحة وعن يمينه مولانا المهاب نصرة الملك صاحب السمو الشيخ جاسب خان ولي العهد يحف بهما حضرة الوزين الكبيرين سعادتلو أفندم الميرزه حمزه خان وسعادتلو أفندم رئيس التجار الحاج محمد علي خان مع وجوه الامارة وأعيانها فاسرعت ولثمت راحات سمو سيدي المعز المعظم وراحات سمو سيدي نصرة الملك وحييت باحترام الحضور وقلت مرتجلا

حان الرحيل وحان وقت مسيري ... فامدد يداً للعبد أنت مجيري

ولقد رأيت فدتك نفسي سيدي ... في ظلك الاسمى ضروب الخير

ورأيت في سامي جلالك عزة ... من دونها اعزاز كل أمير

ورأيت من عالي التفـاتك مابه ... أسمو اعتلاء فوق كل نظير

فلهذا أسعى لمصر حاملاً ... علم الثنا والحمد سعيَ فخور

فاذكر خصيصك ان يطول بي النوى ... ذكرى بهاأي والمليك سروري

وتعطفن كرماً على عبـد خصيـ ... ـص صادقٍ حر الضمير شكور

واغضض اذا قصرت في حمدي وفي ... مدحي وجز بالحلم عن تقصيري

فتلطف سمو مولاي المعز بعبده وقال «ما منك تقصـير وان أنت الا ولدنا وسوف تواصلك عنايتنا» فشكرت وحمدت وأثنيت وليس للعبد الا الشكر والثناء وصادق الدعاء

ثم سار سمو مولانا المعز وسمو مولانا ولي العهد الاعظمين وتبعهما حضرة الوزيرين الخطيرين وهذا الخصيص كاتب هذه السطور فأخذت الجنود السلام برفع البنادق وصدحت الموسيقى بالانغام الشجية

وكان البلم الملوكي ينتظر أمام باب القصر البحري فنزل سمو مولانا الى البلم وتبعه سمو مولانا ولي العهد وحضرة الوزيرين الخطيرين وهذا العبـد الخصيص وأخذ المقذفون يقـذفون بنا الى اليخت المباركي العالي حيث كان الحرس الخاص المباركي وقوفاً لاخذ السلام وعند ماقرب البـلم من اليخت أطلقت البنادق في الفضاء وخرج سمو مولانا ولي النعم الشيخ مبارك باشا ابن الصباح المعظم الى امام سلالم اليخت يحف به سمو نجله الشيخ حمود وحضرة الاعوان الكرام لاستقبال سمو مولانا المعز وسمو ولي عهده وللحال صعد سمو الشيخ الى اليخت وتصافح الملكان ثم رحب سمو مولانا المبارك برحابة صدره بسمو ولي العهد والوزيرين الكبيرين وخص هـذا العبد الخصيص بلمحة رضى ونظرة اهتمام وسرنا جميعاً الى صاعة اليخت وهناك أخذ سمو

السردار الكريم الهمام يبين بفصاحة منطقه وطلاقة لسانه ما يكنه فؤاده الملوكاني من صادق الحب والولاء لسمو مولانا أخيه الشيخ مبارك المعظم الذي كان يقابل كلماته الملوكية بمثلها ولا عجب فان كلام الملوك ملوك الكلام وبالحقيقة لم أر ولم اسمع بوفاق شخصين وحب أكيد بين ملكين كهذا الوفاق وهذا الحب بحيث أصبح فيه الملكان ملكا العربان روحاً واحدة في جسدين

ثم تلطف بي سمو سيدي وولي نعمتي المعز المعظم وتنازل بالتفاته الي وقال «لولا انك سائر بخدمة سمو أخي المحترم لما سمحت لك بالذهاب في مثل هذه السرعة» فشكرت وحمدت وقد أغرورقت عيناي بالدموع واستأذنت ووقفت أتلو منشداً

(الوداع)

لاتجزعي يوم النوى لفراقي	فالنازلات كما علمت رفاقي
وتجملي صبراً على مضض النوى	حتى يؤن إلهنا بتلاقي
لاتحرمي بالله في يوم الودا	ع محبك المضنى جميل عناق
وتجملي كي لاتخور بي القوى	فطريقنا ناء كثير مشاق
اواه ياسعدى وقد حكم القضا	حكماً وليس لصرفه من واقي
وانفض مجتمع الهناء وبدره	أسفاً أصيب بكارث الامحاق
هي فترة من ذا الصباح وبعدها	ترمي بي الاقدار في الآفاق
فاسير في عرض الفلاة وطولها	من حيثما تسعى اليه نياقي
ولشرق هذي الارض يشبه غربها	وجنوبها كشمالها بسباقي
ان لم يكن لي نور وجهك يامنا	ي مدى الزمان بدائم الاشراق
اوان سعيت لقرب غيرك اوغدا	لسوى مقامك في البلاد لحاقي

انى لأذكر ما يكون من النوى ذكرى يطول لهولها اطراقي
وأرى الزمان يمدّ لي في كفه من غدره مملوءة كأس دهاق
ولقبح يوم كنت فيه منادماً دهري وأف لي ودهري الساقي
فاذا سألت نعن جوى هذا المحب وما يرى من لاعج الاشواق
سعدى واني في الوداع مردد شوقي فهل ترعي ولا المشتاق
رفقاً غدوت مفارقاً قلبي فهل لقلب عندك صادق الميثاق
اني لاشعر بالفراق وهوله واراه يا سعدى مرير مذاق
الله اكبر ما امرّ البعد والـ ـهجران عند جماعة العشاق
ولحى الاله الدهر ما أقساه في تشتيت مجتمعات كل رفاق
هل يا ترى عودٌ اليك ولو على متن السحاب وهامة البرّاق
ام هل لهذا الدهر يوماً بسمة بعد العبوس ولو عن الاشفاق
فاعود للملكين من بعد المغيب على مطهمة السعود عتاق
اسرا فؤادي بالسماحة والندى أسراً فلا لاقيت يوم عتاق
اني لارجو ان اكون بباب مجـ ـدهما الخديم أليّة بطلاق
واكون عندهما ولو في أيّ حا ل من ظروف الضيق والاملاق
من إن أكون مملكاً ومسوّداً لكن ضياؤهما انير حداقي

*
* *

يا أيها الشيخ المبارك بارك الـ ـرحمن فيك فانت أنت الراقي
ولانت يا مولاي مصدر غبطتي وسعادتي يا مالك الاعناق
قد بتُّ باسمك يا مبارك في الورى رجلاً وسيع الجاه والانفاق
فانا وأولادي نردد شكرك الـ ـاسمى بسمعك دم الدعا المهراق

وانا باسمك يا عماد اودع الـ ... شيخ الجليل بكل معنىً راقي

الشيخ خزعل خدنك العالي الذي ... بلغ السماك بافضل الاخلاق

ملك اذا جاهدت في وصفي حقا ... ثقة بلغت الحصر في المنطاق

من اين للشعراء تبلغ بعض ما ... يمتاز فيه من سنيّ خلاق

راجت به الاداب بعد كسادها ... وغدت بوارف ظله بنفاق

قد كان سوق عكاظ سوقاً واحداً ... فغدا به من جملة الاسواق

ورووا احاديث العطاء كثيرة ... لكنه قد بات بالرزّاق

ورووا لحلم الاولين نوادراً ... هي دون ما يحبو العدى ويلاقي

لولا سماحته وباهر حلمه ... لم يبق للاعداء من ارماق

* * *

مولايَ خزعل يا معز الملك يا ... سردار ارفع بانى الاشراق

اني سمعت عجائباً عن فضلك الـ ... ـسنى وما لك من بهى الاعلاق

فلقل ما أذناي اسمعتا بجا ... نب ما رأت من ذا العلا احداقي

فلأنت ملء القلب ملء السمع يا ... رب العلا ولبهجة الآماق

ولانت جبار الخواطر والقلو ... ب وآمر الاحرار بالاوثاق

مولايَ اني سائر عن ملكك الـ ... سامي بقلب الشاكر المشتاق

فاقبل فديتك عرض حال تعلقي ... بجنابك الاعلى بغير نفاق

واذكر خديمك مثل ذكر مبارك ... هذا الخديم فانما بوفاق

ولانما ذخر الاعارب جملة ... وفخارهم في نجدهم وعراق

لا زلتما من باهرات المجد والـ ... اقبال والعليا بخير رواق

وكنت وأنا أتلو قصيدتي أسمع تصفيق الاستحسان من جنبات

اليخت المباركي العالي وعند ما انتهيت تفضل سمو مولاي المعزّ الشيخ خزعل خان وقال « ثق انا لا ننساك وسوف يبقى ذكر زيارتك لنامقرونا بالاعجاب بادبك » وقال سمو مولانا المبارك « أن سمو أخي لا يمكن ان ينساك لانك ابننا » فلا تسل عما خالج فؤادي من الفرح والسرور والغبطة

سير اليخت

وفي الساعة الثانية عربية من الصباح تحرك اليخت وفي حال تحركه ضربت المدافع واطلقت البنادق وصدحت الموسيقى من القصر الخزعلي العالي وجعل اليخت المباركي يسير الهوينا الى ان اقبل على الفيلية فوقف هناك حيث نهض سمو مولانا المعز المعظم مع سمو ولي عهده وحضرة وزيره وبقية الحاشية الكريمة وودعوا سمو مولانا المبارك ونزلوا بالعزّ والاجلال والاحترام وحينئذ استأنف اليخت المسير في شط العراق آئباً الى الكويت المحمية وعند ما ابتعد بنا عن المحمرة استأذنت سمو مولانا المبارك حفظه الله وسرت الى الغرفة التي أعدت لي في اليخت وجلست فحررت هذه الرسالة الى العمران عن اليخت المباركي العالي في ٣٠ ذي القعدة سنة ١٣٢٥

عبد المسيح انطاكي



الرسالة الثالثة عشرة

« نشرت في العدد ٣٧٩ من العمران الجزء ٢ من المجلد ٢ »

« في ١٦ شعبان سنة ١٣٢٦ »

﴿في طريق الفاو﴾

سار بنا اليخت المباركي العالي في شط العراق العذب ونحن سائرون من المحمره الى الكويت في طريق الفاو وكان اليخت يسير الهوينا فيتهادى كالعروس حسب أمر سمو مولانا ولي النعم الشيخ مبارك باشا ابن الصباح المعظم وكنت في غرفتي احرر رسالتي الماضية للعمران وعندما انتهيت منها وضعتها بظرف وختمتها ثم خرجت الى صاعة الاستقبال حيث كان سمو الشيخ ولي النعم متصدراً الصاعة ومن حوله وجوه رجال معيته السفينة يحدثهم فلما دخلت عليه تنازل سموه فرحب بي على ماهو مشهور عنه من رحابه الصدر وقال ماذا ترى ؛ فقلت

أرى مجداً لقد بلغ الثريا ... وجاهاً مثل نور الشمس لالا

وفضلاً عم كل الناس طوا ... وجوداً قد ملا الدنيا نوالا

وحزما يترك الاقدار صرعى ... وعزماً للعلا دك الجبالا

وقدراً قد سما الاقدار حتى ... على أهل المفاخر قد تعالى

فهذا بعض مالاقيت فاصفح ... اذا لم اوف في الوصف المقالا

واني لو نظمت بك اللآلي ... لما وفيتك المدح الحلالا

وانك يامبارك خير ملك ... نرجيه اذا رمنا النوالا

وانك خير من نسمى اليه ا ... برايا أو نذم له الجمالا

وانك واحد بمقام الف اذا مارمت ان أحصي الرجالا
رأيناك في السلام أبا العطايا ومنصوراً اذا رمت القتالا
فسد واسلم ودم عمراً زهياً واهنأ سيدي نلت الجلالا

فتلطف بي سموه وقال عافاك الله انك اطربنا بشعرك كما تطربنا بادبك وانا لنسر بصداقة مثلك فشكرت وحمدت هذا الالتفات العالي

《 النخيل 》

ثم أمر مولاي ولي النعم سمو الشيخ المعظم بالخروج خارج الصاعة للاشراف على النخيل من الضفة العثمانية وكانت من الجهة اليمنى فخرجنا وجعلنا نرى ذلك الضفاف وفيه النخيل كالعرائس المائسات وكان ذلك النخيل من أملاك سمو مولانا المبارك الخاصة وجعل سموه يذكر لعبده هذا الخصيص كيفية زراعة النخيل وكيف يعنون باستثماره وان هذا النخيل لم يكن ذا فائدة قبل ان تمتد أيدي الاجانب اليه فجعلوا يتسوقونه ويتداولونه « بالعاب » ويرسلونه لجهات أوروبا وأميريكا فاصبح مورد ثروة كبرى لاهالي البلاد. الى ان قال سموه ان أكثر نخيل الفاو من أملاك سموه وانه مع آبائه العظام اشتروا هذه الاراضي وزرعوها نخيلا وهي اليوم أحسن نخيل في العراق. وقال في الختام اذا كان لايهمنا من أمر هذا النخيل سوى العناية بألوف الالوف من الفلاحين المزارعين الذين يتعيشون منه الكفى

فحمدت سموه على هذه الشفقة المملوءة بها صدره الرحب وأنشدت في الحال

ماان تمايل ذا النخيل تمايله الا ليشكر للامير فضائله
ملك لقد أحيا البلاد بجوده لما تعهدها وكانت قاحله

وغدت مع السكان تنشد حمده الا ... سنى وتنشر بالثنا نوائله

وتذيع في أقصى الممالك مدحه ... وتذيع مابين الملوك شمائله

من في الورى كابن الصباح مبارك ... أو من يشابه في السماحة نائله

أو من كباهر مجده وبه ربو ... ع الفضل والعلياء أضحت آهله

مولاي ما انتصب النخيل عرائسا ... في ذي المرابع وهي تثمر ناخله

الا لتعطي للانام حلاوة ... في مثل ذكرك يامبارك عامله

وبالحقيقة من يسرح طرفه في ذلك الشط في النخيل المباركي يعلم جيداً عناية سمو مولانا ولي النعم الشيخ مبارك باشا المعظم في الزراعة ومبلغ مسعى سموه في تنشيطها حباً بخير الفلاح المسكين

﴿ قائمقامية الفاو ﴾

وبعد مسير خمس ساعات في اليخت المباركي العالي على شط العراق وصل بنا الى الفاو ورسا امام دار الحكومة وبحال وصوله صفر تصفير السلام وأطلق الحرس المباركي بنادقهم في الهواء للسلام وفي الحال رفع العلم العثماني على دار الحكومة وعلى دار التيلغراف والعلم الانكليزي على دار التيلغراف الانكليزي وكان في ميناء الفاو المنور العثماني فرفع أيضاً العلم العثماني كل ذلك حفاوة بسمو مولانا المبارك وأطلقت المدافع من المنور فرددت دار القائمقامية صدى المدافع ترحيبا بقدم سموه السامي

وبعد قليل اقبل للسلام على سموه حضرة قائد المنور والمأمور العسكري بالفور فجلسا بحضرته مدة نصف ساعة لقيا فيها غاية الاكرام والاعزاز وفي خلالها وقفت فقلت :

اهلا وسهلا فيكما قد زرتما ... خير الاعارب همة وسماحا

ولقيتما من فضله وخلاله ما يعجز الشعراء والمداحا
ملك لقد اصفى الخلافة وده وغدا بسامي حبها ملتاحا
يسعى لاعزاز الكتاب وأهله بشجاعة يفني بها الارواحا

نعم ياسيدي فأنتما اليوم بحضرة سيدنا ومولانا سمو الشيخ مبارك باشا المعظم وتعلمان غيرته على خلافة بني عثمان وتفانيه في خدمة الاسلام فلا عجب اذا أعززتما مقامه وترحبتما بقدمه السامي كما لا عجب اذ قابلكما بمثل هذه الحفاوة وهذا الاكرام وأنتما ممثلا مولانا الخليفة الاعظم في هذا المكان واني كعبد خصيص لسموه ارحب بقدمكما السامي ترحيباً كثيراً وأهتف فليعش جلالة مولانا الخليفة الاعظم عبد الحميد خان وليعش في ظله الظليل سمو مولانا الشيخ مبارك باشا المعظم

وعند ماناديت بهذا الدعاء وقف سمو مولانا الشيخ وحضرة الضيفين الكريمين وبقية الحاشية ثم مد بساط الطعام فأكل الحاضرون وبعد شرب القهوة انصرف قائد المنور مع المامور العسكري شاكرين داعيين واعتذر سمو مولانا الشيخ الجليل عن رد الزيارة لضيق الوقت

﴿ قائمقام الفاو ﴾

وبعد العصر أقبل سعادة قائمقام الفاو على اليخت المباركي العالي لتأدية واجبات السلام فقوبل بالرعاية والاكرام كممثل لدولتنا العلية وانصرف شاكراً داعياً

﴿ وفود المسلمين ﴾

ثم أقبل حضرة وكيل قنصل انكلترا في الفاو لتادية واجبات السلام والاكرام فلقي أيضا من سمو مولانا مزيد الرعاية وقبيل الغروب أقبل على

اليخت امراء عشائر المحمرة للترحب بسموه وعرضوا عليه خدماتهم، فشكرهم سموه ووزع عليهم الهدايا والمنح وبعد صلاة العشاء أقبل على اليخت رؤوس فلاحي الفاو وكلهم يخدمون عند سموه فعرضوا على اعتابه احترامهم وعبوديتهم وكانوا يدعون لسموه من صميم افئدتهم فقابلهم سموه بحنوٍّ أبوي ونثر عليهم الذهب وانصرفوا

(قصيدة السهرة)

ثم جلسنا للسمار فجعل سموه يحدثني عن الفاو وأحوال البلاد وبعد ذلك استاذنت سموه بانشاد قصيدة أملاها عليَّ لسان الحال فقلت :

حذرت هوى ذات الدلال تحذرا ... وصنت فؤادي أن يذلّ ويقهرا
وحاولت ان لا أعشق الخود مرة ... ولا أحرز في حبها شبح الكرى
وأشفقت ان أعطي ولائي لغادر ... وأصفي الذي غير الخيانة لا يرى
وان أتعالى عن مواقف ذلة ... بعزة محبوب جميل تكبرا
وأعددت نفسي للعلاء ونلته ... وجزت ثريا مجد غيري في الثرى
وبالحزم أنضيت الخطى نحو سيد ... نرى قاصدي جدواه قد حمدوا السرى
مليك بسامي فضله ساد قومه ... وسار بهم سيراً الى المجد اكبرا
وعزت به العربان عزاً وقد رأوا ... بآلائه الزهرا الرشيد وجعفرا
وقد أمنت فيه الجزيرة أمنها ... على ملكها من ان يبيت مدهورا
وقد نصر الاسلام في حد سيفه ... بما أدهش الدنيا وما أعجب الورى
وسار مسير النسر في الناس ذكره ... وقد كان ذكراً بالميامن أعطرا
هو سيدي ابن الصباح مبارك ... هو المرتجى للمجد والجاه والقرى
تراه بيوم السلم ينثر ماله ... على طالبي جدواه دراً وجوهرا

وفي الحرب اما ينجلي لعداته … يعيد اخضرار الارض بالدم أحمرا

اذا ماامتطى متن المطهم فارسا … تلقى العدى تلقاه في الحرب عنترا

وان يستوي مافوق سدة ملكه … رأيت بذيالك الجلالة قيصرا

وان دهت الاقدار يوما بلاده … أزاح بحسن العزم ماقد تقدرا

ذكي يرى الآتي بحكم رأيه … اذا ماغدا في ملكه متفكرا

ويحتاطه بالحزم والعزم والدها … ويشفق ان يأتي سبيلا فيظهرا

لقد بلغ الآمال طراً بصبره … على الدهر حتى عاد بالذل مدبرا

وصافاه أعداه فباتوا عبيده … يرون الهدى في ان يطيعوا له أمرا

لخدمته قد سخرت مافوق بحره … على البحر فاعجب كيف يحمل أبحرا

فسار بنا في الشط في حفظ ربه … وكان على عجب به متبخترا

مررنا به بين النخيل بغبطة … تفرح محزونا معنى مكدرا

الى ان بلغنا الفاو بتنا بقربه … نردد بالشكران ذكرى محمرا

وفيها تركنا صاحب المجد خزعلا … مليكا سما عزاً وجوداً ومفخرا

ذكرناه ذكرى بالسعود حميدة … وذكراه تحيي في الفؤاد التشكرا

وشدنا بأرض الفاو كل حفاوة … لملك علا في فضله عالي الذرى

تحيته أصوات المدافع في الفضا … وحياه ذيالك الفضاء مكبرا

وجاءت وفود الناس ترجو لقاءه … يسابق منهم أصغر القوم الاكبرا

أتوه وفي أفواههم غرس حمده … وكان جنياً مزهر الغصن مثمرا

فمن حاكم بالفاو مع أهل حكمه … ومن قائد قد قاد في البحر منورا

ومن أمراء أو رؤوس عشائر … تراهم في العربان اكرم معشرا

اتوا ليؤدوه السلام بحرمة … وعادوا يذيعون السلام محبرا

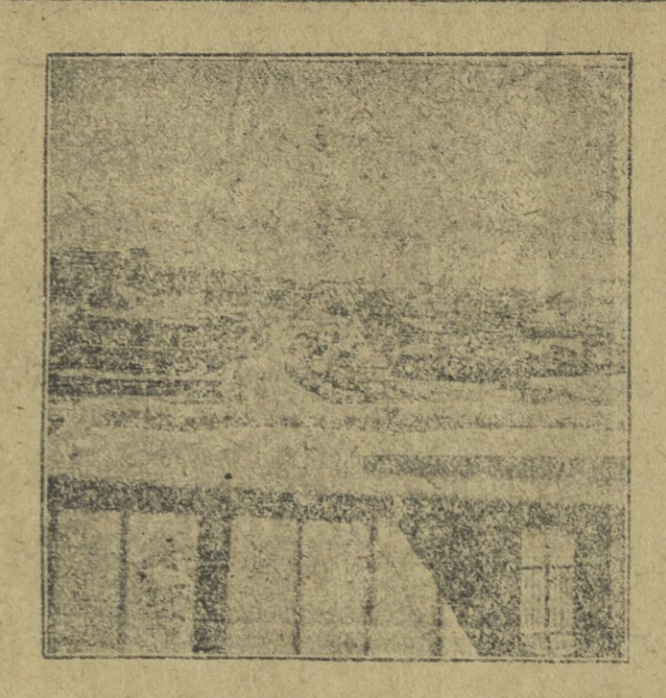
اموﻻيَ ياخير الاساطين همة وأفضلهم قدراً وحزماً ومخبرا
بلغت مقاماً لم ينله مملك ونلت فخاراً في المحامد مزهرا
واصبحت للعلياء والمجد والندى ونيل المنى والسعد واليمن مصدرا
واصبحت ذخراً للانام ومقصداً لمن يرتجي عوناً على الدهر اقدرا

ولقد كان لقصيدتي في مسامع موﻻي احسن وقع فقابلها بعوارفه الزاهرة وتلطف بي ماشاءت مكارمه ثم نهض فنهضنا وارفض الاجتماع وعندما عدت الى غرفتي في اليخت جلست فحررت هذه الرسالة الى العمران والسلام على القراء الكرام

عبد المسيح انطاكي

عن اليخت المباركي العالي في مياه الفاو في غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٥





﴿ مينا. الكويت الامينة ﴾

الرسالة الرابعة عشرة

« نشرت في العدد ٦ ٣٧ من العمران الجزء ١ من المجلد ٢ »

« في ١٣ شوال سنة ١٣٢٦ »

﴿ في طريق الكويت ﴾

ما انبثق فجر يوم الاحد غرة ذي الحجة حتى نادى مؤذن سمو مولانا المعظم بحي على الصلاة فهب سمو مولانا الشيخ فتوضأ وقام للصلاة فصلى ومن خلفه معيته السنية صلاة جامعة في صيوان اليخت المباركي فقلت :

صلاتك يامبارك في الرعايا ... تحسن صلاتك الكثرى تلالي

وتقواك السنية قد تبدت ... بما تأتيه من غرر الفعال

خدمت الدين في أسمى جهادٍ ... وكنت له العماد على الليالي

وعزّ المسلمون بك اعتزازاً ونالوا كل مرجوٍّ وغالي
وفيك لقد رأوا غرر السجايا وقد نالوا القريب من المحال
فاسلم فيهمو شهماً كريماً به تعتزّ ابطال الرجال

﴿ صدور الامر بالسفر ﴾

وبعد ان فرغ مولانا من الصلاة تقدمنا للثم راحتيه فراداً وكان حفظه الله يؤانس الكبير والصغير بلطفه الساحر ورحابة صدره المشهورة ثم تصدر المجلس ودعا قائد اليخت وأمره بالسفر وكان على استعداد لذلك فصفر في الحال صفير الوداع واهتزّ اليخت طرباً بسموه المعظم وفي الحال جاوب المنور العثماني بالصفير وأطلقت المدافع من دار قائمقامية الفاو وداعاً لمولانا الكريم

وبعد ان سار اليخت مدة نصف ساعة خرج من شط العراق العذب ودخل في مياه الخليج الاجاج وجعل يتمايل بالامواج التي كانت تتكسر على أطرافه وترتد عنه خائبة فشبهتها باعداء سمو مولانا المعظم الذين يرغون ويزبدون ثم يرتدون عن سموه خاسرين خاشعين وقلت :

انظر الى الامواج كيف تكسرت من دون يختك وهي ترغي تزبد
وكذاك أعداك اللئام فانهم قد هاجموك وأنت أنت السيد
فرددتهم في الحزم حتى أبدتهم فتشتتوا وتفرقوا وتبددوا
دانوا لسطوتك العلية وانثنوا وهمو لفضلك يامؤثل حسد
ولانت ياابن الصباح مبارك دون البرية للاعارب منجد
فاسلم بجاه المصطفى للمسلمين وان تدم ياابن الاكارم يسعدوا

وكنت أروي هذه الابيات التي جاء بها الارتجال وأنا بحضرة مولاي انظر من نافذة قاعة الاستقبال الى تلك الامواج التي تهاجم اليخت فتتكسر

كما تتكسر اعداؤه امام سطوته الى ان اشتدت حركة الريح واحس بالدوار كل من في اليخت الاسمو مولانا المبارك الذي جعل يتفقد أفرادمعيته السنية بغرفهم وفي ذلك منتهى العناية والرعاية

اما أنا فقد أخذني الدوار أيضاً ولكني كنت أتجلد على رغمي حتى لا افقد مشاهدة هذه العناية من سمو مولانا الشيخ المعظم بخدامه ثم رايت مولانا خرج لى غرفة سائق اليخت « القبطان الاول » وجعل يراقب بنفسه سير اليخت قابضاً على السكان ثم نزل سموه وعادالى الصاعةفوجدني مكابراً وقد علت على وجهي صفرة الدوار فتبسم وقال حفظه الله اريد ان اعينك في الوصول الى غرفتك ؟؟ قلت كلا بل اريد ان تسمح لي بالبقاء في حضرتك السنية للتمتع بمشاهدة انوارك المتلالية فانها خلسة من خلسات العمر التي لااتمكن منها في كل آن

فرؤياك يامولاي تذهب اتراحي — وفيهاسروري واغتباطي وافراحي
فلا تحرمني يامبارك نعمة — بها حسن امسائي وبهجةاصباحي
هي خلسة في العمر ان اغتنامها — لفرض على قلب بحبك ملتاح
فحمدك يارب المفاخر في فمي — ألذ من الصهباء والخمر والراح
وذكرك عندي يذهب الهم والاسى — وما هو الا ذكر أكرم مناح
أرى فيك مجد العرب لالا وانه — لمجد سني ماله في الوري لاحي
وحسبي فخاراً انني بك لائذ — وقد لذت في روض انم وفياح
فدم خير ممدوح كريم مؤثل — واني بهذا المدح أصدق مداح

فابتسم سمو مولاي ابتسام الرضاء وقال ليس وجودك عندنا خلسة من خلسات العمر بل اؤمل ان أراك عندي في كل ربيع فدعوت وشكرت

﴿ القهوة ﴾

ومن عادة العرب انهم يشربون القهوة في كل آونة غير ان القهوجي الخاص بسمو مولانا الامير قد أصيب بدوار البحر فانطرح مع من انطرحوا ولبث مولانا بغير قهوة وعرضت على سموه ان أقوم بهذه الخدمة فأبى وقال مامن حاجة اليها وبينما نحن كذلك واذا بسمو مولانا النجيب الشيخ حمد الصباح نجل سمو مولانا داخل علينا بالقهوة وهو يقول : جئتك ياأبتاه بالقهوة فلاحت على وجه سمو مولانا لوائح السرور وقال لله درك ياحمد فقد عنيت نفسك بما فيه سروري رغماً عن هياج البحر فهات فلم يسعني ان قلت:

هات يابن الكرام قهوة بنٍّ	حللوها وحرموا الصهباء
واسقنيها ولاعدمنك شهماً	ألمعياً فقت الكرام علاء
أنت نجل الشهم الجليل المفدى	خير ملكٍ فاق الملوك سخاء
فخليق بك المعالي صغيراً	وخليق بك القريض ثناء
فاسلمنْ في ظل أفضل شهم	وابلغنّ بمجده الجوزاء

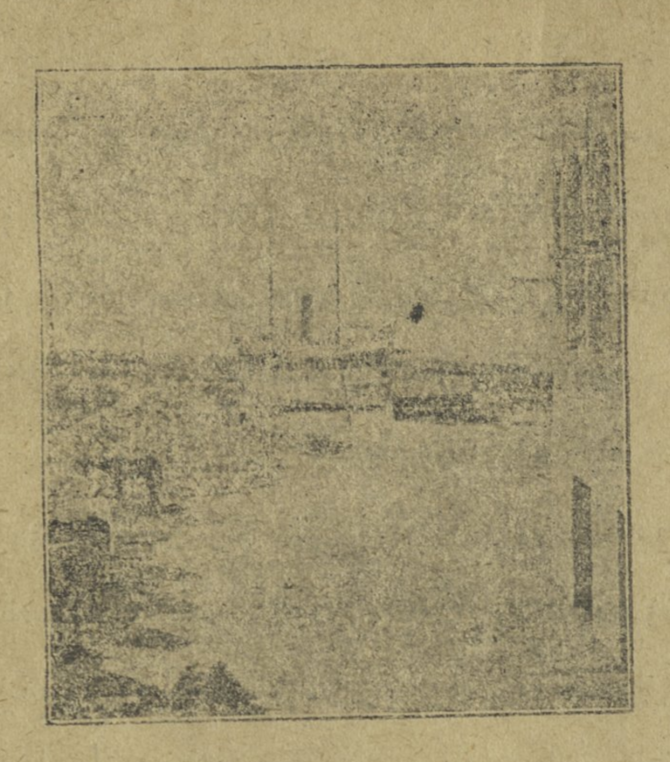
﴿ بلوغ الكويت ﴾

وما زال اليخت يسعى بنا حثيثاً مدة خمس ساعات الى ان أقبل بنا على الكويت فأخذت أنظر اليها عن بعد بالنظارة المعظمة فظهرت امامي بناياتها الزاهرة وعماراتها العامرة بما سآتي على وصفه في الرسالة التالية ان شاء الله

عن اليخت المباركي العالي امام الكويت في ظهر الاحد غرة ذي الحجه سنة ١٣٢٥

عبد المسيح انطاكي





«اليخت المباركي العالي في مرساه امام السراي المباركية والاسطبل العامر»

الرساله الخامسه عشرة

«نشرت في العدد ٣٨٧ من العمران الجزء ١٠ مجلد ٢»

«الصادر في ٢٠ شوال سنة ١٣٢٦»

القدوم على الكويت

كانت بنايات الكويت تدنو منا فتتجسم كلما كان يدنو اليخت المباركي العالي من المدينة وأول ما ظهر لنا منها هو مآذن الجوامع والمساجد وأعلاها مأذنة الجامع الحميدي الذي شاده سمو مولانا ولي النعم الشيخ مبارك باشا ابن الصباح المعظم ووسمه باسم مولانا الخليفة الاعظم تيمناً وتبركاً ثم جعلت تظهر امامنا بنايات المدينة وهي منتشرة حول البحر على مسافات بعيدة

وكنا ننظر اليها بالمنظار فلاح لنا القصر المباركي العالي الذي تم تشييده وهو من أفخر القصور على ما سنفصله للقراء الكرام برسالة غير هذه

وبينما كان اليخت يدنو من المدينة رأينا الاعلام ترتفع على صروحها ثم صرنا نرى بالمنظار ازدحام الناس على البحر للاحتفاء بلاقاة مليكهم العظيم واميرهم الفخيم سمو الشيخ مبارك باشا ابن الصباح المعظم

﴿ ميناء الكويت ﴾

وميناء الكويت تتأثر كثيراً بحركة المد والجزر الدائمة في مياه الخليج والعراق ولذلك كان يجتهد قائد اليخت المباركي ان يدخل الميناء بموعد المد حتى يتسنى له الوصول الى الحوض المخصوص المعد لرساه امام السراي المباركية العالية وكان عند ما أقبل بنا على المدينة قد خفف سير اليخت وجعل يمشي به بمنعرجات هو يعرفها وما زال كذلك الى ان بلغ مرساه بأمان فربطه بالبرّ على ما هو الحال في ثغري بومباي واسكندريه

﴿ احتفاء الاهلون بمليكهم ﴾

وكان الاهلون جموعاً على الميناء في انتظار مليكهم المحبوب يتقدمهم سمو مولانا ولي النعم الشيخ جابر باشا مبارك الصباح ولي العهد والشيخ ناصر باشا النجل الثالث لسمو الشيخ مع أحفاد سموه وأهل بيته الكرام يحف بهم وجوه الامارة وعظماؤها وأركانها من كل ذي سؤدد ومكانة وكان صنوف الجنود الكويتية في البرّ حاملة بنادقها وهي على متون الخيل فلما قرب اليخت جعلت تطلق بنادقها في الهواء فيردد صدى طلقاتها الفضاء ترحيباً بخير الشيوخ وأفضل الامراء

وعند ما رسا اليخت في موضعه على البر تماماً قبالة السراي خف سمو

ولي العهد وسمو أخيه مع آل البيت الصباحي الكرام وكبار المدينة للمراحات سمو مولانا الشيخ المعظم وكان سموه يتلطف بهم ويسألهم عن أحوالهم افراداً ثمّ تفضل فنزل من اليخت الى البر وعند ماوطئت قدماه الثرى صاحت الجنود « فليحي شيخنا المبارك » فردد هذا الدعاء المستطاب ذلك الجمهور العظيم من سواد الكويتيين المحتشدين لاستقبال مليكهم العظيم وفي ذلك الوقت أمطرتنا السماء رزازاً فاستبشر الناس لان المطر عندهم من علامات الخير وكرروا دعواتهم الصالحة للامير وآل بيته حفظهم الله

ثمّ سار سموه بموكبه الى السراي المباركية يتبعه آل بيته وأعيان ملكه وهي تبعد بضع خطوات عن البحر حتى اذا علا الى الطابق العالي دخل صاعة الاستقبال وغصت الصاعة على رحبها بوفود المهنئين وهناك تنازل سموه فقدمني لسمو مولاي الشيخ جابر مبارك الصباح كبير أنجاله فقبلت يديه ثم قدمني للجمهور فأخذوا يترحبون بي بمكارمهم العربية وبعد ذلك استأذنت سمو مولاي الشيخ المعظم وأنشدت بين يديه هذه القصيدة الطرزة قلت:

حلبة الكميت

﴿ في زيارة الكويت ﴾

م ماست كميّاس القنا العسال ورنت بالحاظ ذوات نبال

و وجلت عن الوجه المنير ستاره فبدت لنا منه الشموس تلالي

ل لا الشمس مثل ضيا وجنتها اذا لاحت وليس جبينها كهلال

ا الحاظها تسبي قلوب العاشقيـ ن ولا أقول كمرهفات نصال

ن نالت بفضل الله من وافي المنى مالم تناله قبل ذات جمال

ا انّ المحاول وصف بادر حسنها كمحاول احصاء كلّ رمال

و وافت فوافى اليمن أهلاً ومرحباً ووفت في بشرى بحسن وصال

ل لو أنّ نفسي في يدي ضحيتها كرماً لمقدمها بغير جدال

ي يامرحباً فيها ويا أهلاً بها ولبشر قلبي في اللقاء الغالي

ا أفدي محياها الوسيم بمهجتي فاذا ارتضت فيها فلست أبالي

ل لم يبق لي رجوى على الايام بل اني بلغت بقربها امالي

ن نعمى حظوت بها وكنت لاجلها أسمى على جهدي بغير كلال

ع عم يافؤاد مساك قد وافى الحبيـ ـب ولا تعد تشكو من التمطال

م ماذا اقول وجمل باتت في يدي لمعاشر اللوّام والعذال

س سفه الذي لام المحبّ على الهوى قدكان في شرع الهوى بضلال

م ما العاشق المفتون في اشواقه يحيي الليالي كالعذول الخالي

و والحب فيه عواطف عليا سمت عن ان تمثل في بليغ مقال

ا امعيدة الافراح للنفس الحزيـ ـنة بعد طول تفجع وكلال

ل لله أنت فكم وكم في ذا النوى أحييت من فرط الغرام ليالي

م مهلا فديتك يافؤاد فليس هـ ـذا الوقت وقت تململ وملال

ل لاتيأسن ما انت أول مبتلى كلف كثير الهمّ والبلبال

ك كتب الدلال على المحب فلا تخف لابد يوماً من نوال منال

ا انّ الحبيب وان أطال صدوده لابدّ يعطفه ولاء موالي

ل لابد ان يرضى ويعطفه الهوى لحبيبه بقوامه الميال

م مالا يكون اليوم من اقباله سيكون في غده من الاقبال

ع عللت نفسي باللقاء ونلته بالرغم عن قيل العدى والقال

ظ ظلم الهوى من قال اني عاشق وغدا على أثر النوى بالسالي

م من لا يجازف بالحياة وزهوها بسبيل من يهوى بلا امـلال
ا أبداً فليس بعاشق ومتيم مهما روى من كاذب الاقوال
ل لي مهجة عرف الانام غرامها ما للعواذل والوشاة ومالي
ش شعر الهوى باضالعي حتى يكا د يضي به جسمي بلاتشعال
ي يامسلمون عشقت لكن خير من نسـل الورى من سادة اقيال
خ خدن العلى المولى الذي بلغ السما ك بما له من باهـر الافضال
م ملك لقد ملك القلوب بعدله وبمجـده وبجـوده المتـوالي
ب بلغت كويت به نهاية عزها وغـدت ديار اليمن والاقبال
ا ابن الصباح مبارك المولى الذي أحيا بايديه الحسان موالي
ر روت الورى عن معجزات فعاله آيات مجـد باهر وجلال
ك كم في الاعاجم والاعارب من ملو ك دونه بزواهـر الافعال
ب بشرى لمن قد فاز في مرضاته وقد استظل به بخير ظـلال
ا ان المـلوك كواكب في افقها ومبارك والله بدر كمال
ش شغـل البرية شكـره ومديحه عن واجب التسبيح للمتعالي
ا اعلى الاله مقامه وعداته فدأصبحوا في منتهى الاذلال
ا اين الرشيد واين من نصر الرشيـ ـد ومن غدا لابن الرشيد موالي
ب بادوا ولم يبقوا لهم بين الورى الا اذدكار مساوئ الاعمال
ن نقم الاله عليهمـو من يوم ان شهروا العـداوة للجليل العالي
ا ان المعادي الشيخ قدعادى الزما ن واهله وغـدا من الجهال
ل ليت العدى عرفوا الحقائق قبلما ذاقوا الردى وهووا بشر وبال
ص صاح المبارك فيهمو فابادهم وكذاك حال الذئب والرئبال

ب بشرت من عادى المبارك بالهنا ونساءهم بترمل وثكال

ا اما الذين له انضووا بشرتهم بالنصر عند تلاحم الابطال

ح حسبي فقد تمّ الذي بشرته والدهر حقق في العدى اقوالي

ا انصاره باتوا بامنع معقل واعزّ سلطان واحسن حال

م مامنهمو الا باسم مبارك نال المنى بالحلّ والترحال

ي يأتونه فيرون مجداً باذخاً ومكارما تزهو بحسن خلال

ر رحب المقام وصدره رحب بمن يأتي من القصاد والسوّال

ا اضحى وحقك للمكارم كعبة تسعى لها الاقوام بالامال

ل لولاه ماعرف الأعارب مجدهم كلا وظلوا في بكى الاطلال

ك كان الاله بعونه فهو المعين الغوث بالابطال والاموال

و وهو الذي أرضى الاله ببره والمصطفى بجلائل الاعمال

ي يسعى لامة احمد من غير ما كلل وخدمها بغير ملال

ت ته يازمان به فلست بظافر في مثله في مقبل الاجيال

و والله لو صغت النجوم بمدحه اخفى ثناه ضياءها المتلالي

ح حكم البلاد بشرع طه المصطفى فغدا العار بها بخير مآل

ا انّ الفخار به وليس بغيره ان كان تفخر أمة برجال

ك كفوء الى العلياء وهو خطيبها في سيفه الماضي بيوم قتال

م مان يجرد سيفه بكريهة الا لهالك عداته الضلال

ه هانت لديه مصاعب الدنيا فجا ئته كرهط عفاته بسؤال

ا أمنت به العربان وهو زعيمهم رغم الزمان بنعمة استقلال

و وكذاك قدامن العفاة على اما نيهم من التسويف والتمطال

ز	زالت مطامع سائليه ولم يزل	يهب الكثير لكل ذي آمال
ع	عجبي وشيخ مبارك في مجده	عجبي أفي الدنيا أخو اقلال
ي	يعطي الالوف لخير من لاذوا به	ولخير دين المصطفى والآل
م	مالت اليه نفوس أرباب العلى	وبه اتحاد تشتت الاميال
ق	قل للذين بغوا اللحاق بفضله	هيهات ماأنتم باهل نزال
ب	بالله ياقومي انصفوا هذا المليـ	ـك بحمده الاسنى بكل مقال
ا	ان المدائح من أجلّ حقوقه	ان كان يمدح كل ذي افضال
ي	ياأيها الملك الذي قد حرت في	وصفي خلائقه بنظم لآلي
ل	لي في خلوص مودتي و صداقتي	رجوى لنيل رضاك في اعمالي
ه	هب لي الرضى كرماً فلا أعنى بذي الـ	ـدنيا وأصبح في أجلّ مآل
ا	اغنيتني في فضلك الجم العميـ	ـم فما أنا محتاج للاموال
ا	اني اتيتك من ربى مصر ومثـ	ـلك من يسار اليه بالآمال
ع	عزّ الذي يسعى لحضرتك العليـ	ـه يامعز الناس بالافضال
ز	زم الرحال لغير أرضك ذلة	لكن اليك عزيزة الاقبال
ه	هاب الزمان علاك فاسلم سيدي	بالمجد والعليا مع الاشبال
ا	أهنيك يارب الفخار بجابر	وبسالم شبلي علي وجلال
ل	لهما بفضلك كل مجد باذخ	سامي الذرى من غير ما اشكال
ل	لاح العلا بهما وفي اخويهما	وبكل منتسب اليك موالي
ه	هذا ثناء العبد مسك ختامه	حسن الدعاء فدم بغير مثال

وبينما كنت أنشد قصيدتي كان الحاضرون يستعيدون عليّ أبياتها ولا سيما ما يتعلق بمدائح سمو مولانا المعظم ويصيحون «أبو جابر كفو لمثل هذا»

وبعد ان انتهيت من تلاوة قصيدتي تفضل مولاي الشيخ المعظم وقال هذا ولدي وحبيبي فشكرت وتقدمت من سموه فلثمت راحتيه

-٥٠ تعيين غرفتي -

وبعد ان انصرف الجمع تفضل سمو مولاي الشيخ المعظم وسار بي الى غرفة بجوار صاعة الاستقبال ذات رياش وأثاث فاخر وقال هذه هي غرفتك وأصدر أمره الكريم بتعيين خادمين لخدمتي من عبيده الامناء وودعني وعاد باليمن والاقبال الى سراي الحرم وفي الحال أخذ خادماي بنقل حوائجي الى غرفتي وجاؤني بكانون من النار لان الطقس كان بارداً جداً وامرت فجاؤني بالشيشة وعلى قرقعتها جلست فحررت هذه الرسالة للعمران والسلام على القراء الكرام .

عن القصر المباركي العالي في الكويت في مساء غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٥

عبد المسيح انطاكي



الرسالة السادسة عشرة

«نشرت في العدد ٤٢٧ من العمران الجزء ١٠ مجلد ٣»

«الصادر في ١٤ شعبان سنة ١٣٢٧»

« سهرة المساء »

كان انصرافنا من الحضرة الفخيمة المباركية في مساء يوم الاحد غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٥ كما كتبت في رسالتي السابقة وبعد ان انتهيت من تحرير رسالتي على قرقعة شيشتي كانت الشمس قد غربت وجاءني خادمي بطعام العشاء مما لذ وطاب فاكلت بنهم شاكراً هذا الكرم ثم جلست منفرداً اتفكر بجلال ما رأيت وحامداً الله على النعم التي اوتيت وليس للعبد الا الشكر والثناء على هذه الالاء

زيارة شاعر

وبينما انا كذلك واذا بكهل من نجباء العرب داخل عليَّ وعرفني بنفسه على عادة العرب واخذ يطروني بفضله فوق ما استحق ويثنى عليَّ من الثناء ما لست باهله وهذا هو شاعر سمو مولانا ولي النعم اميرنا الشيخ المبارك حضرة الاستاذ العلامة الحاج زين العابدين ابن الحاج حسن الكويتي ولا انكر الله اني وجدته واسع الصدر علماً وأدباً وذكاء ونباهة ووجدت فيه من الحب والاخلاص لسمو مولانا ولي النعم الشيخ مبارك باشا الصباح المفخم ما يفوق حدّ الوصف وحدثني عن سموه من بواهر الاعمال ومحاسن الآثار ونوادر الاخبار فوق ما يتصور المتصورون ويفكر المفكرون مما ساشير اليه في غير هذه الفرصة

الشيخ جابر مبارك الصباح

وبينما نحن كذلك واذا برسول يدعوني لالثم راحات المولى الجليل والسيد السند النبيل سمو الشيخ جابر مبارك الصباح النجل الاكبر لسمو مولانا ولي النعم فخففت مسرعاً الى مجلس سموه وهو في الدور الاول من السراي في ايوان كبير يتصدر فيه ويلتفُّ من حوله كبراء الامارة واهل الاستشارة ويؤمه ذوو الحاجات من الجماعات فلما دخلت على سموه تنازل فوقف وهو يقول مرحباً مرحباً. فاسرعت لالثم راحتيه فصافحني بولاء واقعدني بجانبه جبراً لخاطري ولا عجب واسمه جابر وقدمني لمن كان عنده من الجلساء فرحبوا بي جميعاً وبعد ذلك وقفت وتلوت بين يدي سموه قصيدة كنت نظمتها لهذا الغرض قلت :

عليكم أخو الحاجات باليمن ينزل	ونحوكمو يطوي الفيافي ويرحل
وللسائل المحتاج أنتمو كعبة	ويلقى مناه من يطوف ويسال
وأنتم للراجين بالفضل قبلة	وجوه الورى تلوى لها حين تقبل
وأنتمو للاعراب مجلى فخارهم	وفيكم رووا أقبالهم وتمثلوا
وأنتمو للاسلام مظهر مجده	وفيكم لقد لالا الكتاب المنزل
وأنتمو سادات الانام الألى ازدهى	بهم زهوه هذا الجلال المجلل
جلال صباح في المبارك ند زها	ولالا وفيه العالمون تغزلوا
ومن مثل مولاي المبارك سيدٌ	كريمٌ همامٌ أريحيٌّ مؤثل
ومن مثله ان سار يوما على العدى	أصابهمو منه الهلاك المعجل
ومن مثله على الخطوب بحزمه	اذا بات للرأي المسدَّد يعمل
ومن مثله ان جاد أغنى عفاته	بدرِّ اكفٍّ كالسحائب تهطل

ومن مثله قد ظلل الناس ملكه ... وفي ظله أهل العلا تتظلل
ومن مثله قد جدد الدين والتقى ... بسعي حميدٍ بالتقى يتجمل
ومن مثله في موقف الجود محسنٌ ... وفي عرضه السامي المقدس يبخل
فلا غرو ان تسعى العفاة لارضه ... بآمالها الكبرى ولا تتمهل
ولا غرو ان يلقى العفاة بصدره الـ ... رحيب ووجهٍ بالندى يتهلل
ولا غرو ان تروى قصائد حمده ... عقوداً بها جيد العلى يتجمل
مليك له ندعو بان يحيى سالما ... ليسلم فيه للبرايا المؤمل
أمير بآيات الفخار متوجٌ ... وفي زاهر المجد الللالي مكلل
لنا فيه ان جار القضا في صروفه ... غياث وفي ملقى الشدائد معقل
وفي ربعه أنس وفي أرضه ربى الـ ... جنان وفي الاحسان والجود منهل
جعلناه للعمران بيت قصيده ... فاضحى به العمران يتلى وينقل
وجئناه والآمال كثرى فلم يدع ... باحسانه سؤلا به تتأمل
وشمنا به ملكا جليلا مؤيداً ... من الله ما فوق الذي نتخيل
اذا ماقضى في الناس في شرع أحمد ... ورائده حسن الفراسة يعدل
وان جاءه الاعداء يرجون صفحه ... حباهم حياة لاترام وتسأل
لاولادهم لو شاء بالسيف ميتمٌ ... ونسوانهم لو شاء بالسيف مرمل
وآبائهم لو شاء بالسيف مفجع ... وفي سيفه للامهات مثكل
وما الموت الا طوع أمرة سيفه ... كما يشتهيه ممهلٌ ومعجلُ
تفاخر فيه كلُّ قرم مملك ... وان عدّ أرباب العلى فهو أول
وحقٌ لنا فيه الفخار وانما ... لنا في معاليه الهناء المكمل
وفي السادة الانجال قد تمّ بشره ... وأندية الاقبال فيهم تحفل

نجوم هدىً كان المبارك شمسهم — فلا هي تخبو لا ولا هي تأفل

دياجي العنا أجلوا بساطع نورهم — وقد شعّ بالافضال والليل أليلُ

تراهم ومولاي المبارك فيهمو — همو الهالة الزهراء والبدر أكمل

وأكبرهم مولايَ جابرُ من به — وفي فضله الاسنى العلى تتجمل

أميرٌ حكى مولاي والده عليً — وفي أبه ربُّ النهى يتمثل

هو جابرٌ كسر الزمان وأهله — بسمي لانواع المكارم يشمل

يجد لتخفيف العنا عن شعوبه — فما فيهمو عانٍ يكدُّ ومثقل

بحزم أبيه يدفع الخطب مادها — وفي إسمه الاموال يعطي ويبذل

وفي عزمه ان سار في طلب العدى — يكرُّ فيفني كلّ عادٍ ويقتل

يكبر تكبيراً بفاتك سيفه — بيوم الوغى عند اللقا ويهلل

ويأسر من يبقى ويعفو بحلمه — على من أتاه تائباً يتذلل

ويحكم في شرع الرسول وهديه — باذن أبيه والقضا فيه يجمل

وكم للاذي جابر من مآثر — كويت ومن فيها تسرّ وتجزل

هنيئاً لنا في السيد الملك الذي — به تخته العالي الذرى يتهلل

وفي سادتي أنجاله وهو في العلى — هزبرٌ وهم أي والمفاخر أشبل

أجابر مكسور الخواطر أقبلن — تحي زائرٍ قد جاءكم يتوسل

أتيتكم ومن مصر والشوق دافعي — ومالي من غير الرضاء مومل

فهات يداً راحاتها للندى لقد — براها اله العرش حتى أقبل

وكن لي فدتك النفس اكرم عاضد — لمسعاي حتى بالنجاح يكلل

فانك لي يا ابن الاكارم مرتجى — وانك لي ذخر وغوث وموئل

ولما انتهيت من قصيدتي تلطف بي سمو الامير ما شاء فضله وكرمه

وحسبه ونسبه وكان الحاضرون يصيحون [جابر وابو جابر كفوآن والله لمثل هذه الاماديح] ثم جلست بين يدي سموه وهو يتلطف بي ويحسن اليّ بحديث كالدرر الغوال ولطائف واقوال تنبي على ما لسموه من افضال ولعمري من كان ابن المبارك فهو وجيه والولد سرُّ ابيه

وما زلنا كذلك الى ان نادى المؤذن من الجامع الحميدي لصلاة العشاء فنهض سموه للصلاة وودعته بالشكر والدعاء ورجعت الى حجرتي مجبور الخاطر مسروراً ادعو الى الله ان يديم مجد المبارك كثيرا

المجلس المباركي العالي

وبعد صلاة العشاء خرج سمو مولانا ولي النعم الشيخ مبارك باشا الصباح المعظم الى مجلسه في الدور العالي للسمار وتنازل فذكر عبده الخصيص وارسل من يدعو الى حضرته الملوكية فنهضت اليه ولما دخلت عليه خففت الى لثم راحتيه فادنى سموه مجلسي من حضرته تنازلاً وحباني سامي التفاته تكرماً برحابة صدر عرف بها واشتهر بين اهل البداوة والحضر

وكان المجلس غاصاً بوجوه الامارة وأعيانها واهل الوجاهة فيها وكلهم محدقون بسمو مولانا الشيخ المعظم مطلعون الى اشارته وفيها الحكم وآرائه السديدة وفيها دفع الغرم يستمتونه وهو افضل من حكم ويقرطون مسامعهم بما ينطق من الحكم

وقد تفضل سموه حياه الله فقال لقد عرفتم العمران قبل اليوم وتلوتم فيها غرر الافكار التي تنشرها خدمة للاسلام والعربا وتاييداً لخلافة آل عثمان وكم أعجبتم بها قبل الآن وهنذا اقدم لكم صاحب العمران فأثنى القوم عليّ بآدابهم العربية وحميتهم الجاهلية ثناء الولاء وحبوني من ألطافهم ما هو معروف

عن العرب العرباء في حسن الوفاء مما عقل لساني عن شكرهم واقعدني عن مقابلتهم بالاحماد الى ان شجعني سيدي وولي نعمتي الشيخ المبارك حياه الله بلطفه المعهود فوقفت وقلت

خطاب صاحب العمران

سيدي الامير وسادتي الكرام

شاهدتكم فشهدت مجد محمد	يزهو ونور الدين والقرآن
ورأيت فيكم فوق ما أملت من	جاه سني زاهر اللمعان
وبلغت بينكمو مقاما بت في	اجلاله مادونه شكراني
فاذا حمدت السعي نحو كموفا	ني احمد المسعى خير مغاني
واذا مدحتكمو لامدح سادة	يروى المديح لهم بكل لسان
واذا نشرت فخاركم بين الورى	اني لانشر مفخر العربان
واذا خدمتكمو فذلك واجب	فرض علي بغير ما امتنان
فلانتمو قومي وفيكمو سؤددي ال	أعلى وأنتم بهجة العمران

نعم ياسادتي

ان العمران ولا فخر لقد وجدت لخدمة العربان ودعم خلافة آل عثمان فاذا وفقت لصدق الخدمة فذلك هو المأمول وان لم اتوفق فالذنب على الزمان وعلى المرء ان يسعى وعلى الله ادراك النجاح

أن الغرض الذي اسعى اليه بكليتي اسعى اليه بجناني ولساني وقلمي هو استعادة مجد الاسلام ذلك المجد العظيم الذي كان في ماضي القرون يلالي على العالمين ذلك المجد الذي كانت ترهبه اوروبا وتصبو اليه اسيا وافريقيا وعموم المعمور ذلك المجد المسمى بالحضارة الاسلامية والسطوة القرآنية فلا عجب

اذا كان كل من حضراتكم بل كل عربي يؤيدني ويسدد خطواتي في مسعاي

ان مجد الاسلام يتوقف على العمل حسب نصوص القرآن وذلك بالرجوع الى الشورى في الاحكام والى التآخي بين المسلمين حتى يكون المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وبعبارة أفصح ان سر تاخرنا وانحطاطنا هو من انقسامنا على انفسنا وتفرقنا بطوناً وشيعاً واستبداد حكامنا بنا مما ترونه في البصرة وتسمعون انباءهم في مملكتنا العثمانية في عهد اولئك المامورين الخونة الذين القوا بذور الشقاق والشحناء بين المسلمين وقصموا ظهورهم بعظائم ومغارمهم

ان المسلمين لا تعوزهم الشجاعة وكلهم مجاهدون في سبيل القرآن والاسلام ولا يعوزهم المال وهم اهل تجارة وزراعة وفوق ذلك هم اهل صناعة ولا تعوزهم العقول والذكاء ينمى اليهم والنباهة تعرف عنهم وانما الذي يعوزهم هو الاتحاد حتى يكون المؤمنون اخوة متضامنين كما أمر الله المتقين

نعم يا سادتي يعوزنا الاتحاد بحيث نصبح جميعاً اخوة أبونا الله سبحانه وامنا الوطن ورائدنا القرآن حينئذ نستعيد مجدنا وكذلك كان المسلمون

يعوزنا الاتحاد بحيث نعرف ان كل قطرة دم من هؤلاء المسلمين تسفك في غير سبيل الدفاع عن الاسلام اثم عظيم في اعناقنا جميعا حينئذ نستعيد مجد الاسلام وكذلك كان المسلمون

يعوزنا الاتحاد بحيث يعنى اميرنا بحقيرنا ويحسن غنينا الى فقيرنا ويحترم صغيرنا كبيرنا حينئذ نستعيد مجد الاسلام وكذلك كان المسلمون

يعوزنا التضامن بحيث يتأثر احدنا لمصاب اخيه حزنا والتياعا ويستبشر لبشره فرحا وسرورا ولو كان بينهما البرور والبحور حينئذ نستعيد مجد الاسلام وكذلك كان المسلمون

انظر الى هذا الاتحاد فاذوب شوقا واطير فرحا حيث ارى الخلافة في آل عثمان تتلالا بهاءاً وترفع الهلال على الرؤوس فيضيء ضياءاً ومن حولها سادتنا امراء العرب العظام يحيطونها احاطة الهالة بالقمر بوحدة تشابه الوحدة الالمانية التي حولت مملكة جرمانيا الصغيرة الى امبراطورية عظمى تسمعون ماصار لها من الحول والطول في هذا العصر

على ان هذا ياسادتي من سوء الحظ لا يتسنى لنا الآن ولا هو بالامر السهل المنال طالما الخلافة ملك عضوض يفسد فيها اولئك المأمورون الخونة الفجار الذين لا همّ لهم الا سفك دماء الاحرار فهم يعملون لانفسهم وليس للمسلمين وانما ابشركم بان دولة الظلم ستدول لان الظلم لو دام دمر واظن بل اعتقد ان ذلك ليس بالامر البعيد حتى اذا ما انبثق مجد الحرية في خلافتنا وذهب ريح المفسدين وتولى شؤون الدولة اهل العدل والانصاف حينئذ ينظرون الى هذه الوحدة العثمانية العربية ويعملون على دعمها فيخطبون ود امرائنا بعهود ومواثيق تضمن للاسلام النشأة التي ينشدها المسلمون

ان الامر اسهل ياسادتي لو تولى الخلافة ملك دستوري عادل والتفّ من حوله رجال امناء اذكياء يهمهم مجد الخلافة ورقي السلطنة حينئذ يرون ان مناوأة امرائنا العظام ومنابذتهم على الدوام هي مضرة بالخلافة والاسلام وان مجاملتهم ومواصلتهم ومحاسنتهم فيها اقصى المرام حينئذ يفترّ ثغر النبي العربي سروراً بنا عليه الصلاة والسلام

قلت اننا نتمنى وحدة عثمانية اشبه بالوحدة الالمانية ولبيان ذلك اقول ان جرمانيا حتى منذ سبعين سنة كانت مملكة صغيرة في اوروبا لا يتجاوز عدد سكانها العشرة ملايين من العالمين وكانت دائما عرضة لغارات الاسبانيول

والفرنسويين وغيرهما من الاوربيين وكان حول هذه المملكة امارات متفرقة كاماراتنا العربية المتفرقة من حول الخلافة المحمدية العثمانية فقام في تلك البلاد رجل يدعى البرنس بسمارك وليس احد في العالمين لم يسمع باسمه وكان هذا الرجل سياسياً محنكا حزوما وكان غيوراً على قومه وبلاده مستميتاً في اعلاء كلمة امته فجعل يداب المسعى في استمالة هذه الامرات الى المملكة الجرمانية لما بينها وبينهن من الوحدتين الجنسية والدينية وما زال كذلك الى ان وفق الله مساعيه في اوائل حكم الامبراطور نابليون الثالث وكانت فرنسا في ذلك العهد لها شبه سيطرة على الجرمانيين وقد سبقت واغتصبت منهم مقاطعتين تسميان الالزاس واللورين فابى بسمرك بعد هذه الوحدة الا ان يستعيدهما فجعل يستعد في تنظيم الامبراطورية الجديدة الى سنة السبعين المسيحية حيث اغار على فرنسا وحاربها حربا شابت لهولها الاطفال وما زال فيها فاتحا حتى دخل عاصمتها باريس وما خرج منها الا بعد ان اخذ خمس مليارات من الفرنكات غرامة حربية ومن ذلك العهد صارت المانيا دولة عظمى ترهب جانبها الدول وتخاف سطوتها اعظم الامم

هذا مثال ياسادتي بسيط حصل حديثاً أي في القرن الماضي فلماذا لا نضعه نصب اعيننا نحن معاشر المسلمين ؟؟

ان خلافتنا بحمد الله يبلغ عدد رعاياها نيف وخمسة وثلاثين مليونا من العالمين فهي بعدد الرجال كفرنسا واني اوكد لكم لو نادى الخليفة بالشورى وأراد الاصلاح لبلغ عدد سكان البلاد العثمانية الثلاثين مليونا وعدا ذلك فحول الخلافة الامارات العربية فلو اتحدت مع الخلافة لكانت حصنا لها لا يخترق وعضداً لا يقهر اما كيفية هذا الاتحاد فهو على رأيي فليكن

كالاتحاد الالماني

ان بسمرك ماخطر له في الوحدة الالمانية ان يعتدي على حقّ من حقوق امراء الالمان وانه لو رمى الى ذلك لاصابه الفشل وغاية مافعل انه مدّ يده لاولئك الامراء فصافحهم واقرهم على اماراتهم وحدّد حدودها وترك لكل امير ان يحكم بلاده بمعرفته على مايلائم رعاياه وان تكون وحدتهم دفاعية هجومية وقد اتفقوا جميعا على تعميم المعارف وتنظيم الجندية الى غير ذلك على سبيل التعاون وان يكون الجيش العامل في السلام خصوصيا اي كل امارة جيشها من ابنائها وفي الحرب تقدم كل امارة للجيش الامبراطوري العام عدداً من الجيش بنسبة عددها ومبلغا من المال بنسبة واردات حكومتها على سبيل التضامن

فما احوجنا ياسادتي الى وحدة كهذه ولا سيما في هذا الوقت ؟؟

ولقد تجولت في جميع امارات العرب واجتمعت الى وجوه هذه الامة الكريمة فاذا هم جميعا يصبون الى مثل هذه الوحدة ويتمنون الاصلاح لدولة الخلافة ويأسفون على هذا الاضمحلال المحيق بالاسلام وكانوا يسألونني عن حالة دولتنا العلية فاطمن خواطرهم واعللهم بانتظار نهاية حكم عبد الحميد وعسى ان لا يكون ذلك بعيداً

وهذا سيدي ومولاي الشيخ المبارك حفظه الله وكلكم تعلمون انه اكثر امراء العرب تعلقاً بالدولة العلية وتمسكا باهداب الخلافة العثمانية كمسلم صحيح الايمان وان الخلافة لو اصفت اسموه الودّ واعرضت عن سماع مفتريات الخونة من رجالها لكفاها مؤونة الاوردي الهمايوني السادس المخيم في بغداد ولأمن لها العراق وسكن لها اضطرابات العربان الدائمة ولكن هذه الحقيقة يجهلها من في الاستانة لان الله سبحانه قد اعمى بصائرهم فانصرفوا لجمع الاموال وادخارها

عن العمل على تجديد مجد الاسلام ورفع راية الخلافة

فالى هذا فلنسع والى هذا اجد واسعى ولاجله تركت اهلي وبلادي ونزلت بينكم على الرحب والسعه اه

وكان الحاضرون يصغون الى كلماتي وهم مستبشرون مرتاحون ويصفقون استحسانا حتى اذا ماانتهيت اخذوا يظهرون لي مافي صدورهم من الغيرة على الدولة العثمانية والخلافة المحمدية وما لسمو مولانا الشيخ المعظم من الايادي البيضاء على حكومة البصره وعلى الحسا والقطيف ونجد ومواقفه المشهورة بالدفاع عن الدولة وكانوا يأسفون كل الاسف على غفلة الدولة عن مثل سموه واعراضها عن الانتفاع بحكمته وغيرته وسطوته وما زلنا كذلك الى ان دخلنا في الهزيع الثاني من الليل فنهض سمو مولانا المبارك ونهضنا وهكذا ارفض الاجتماع

ولما عدت الى غرفتي خلوت بنفسي وجعلت استرجع الى مخيلتي ماكان بيننا من الحديث واقول من لي بابلاغ دولتنا حقيقة نوايا العرب وحبهم الاكيد لها ومن لي بيد قادرة تسطو على هؤلاء المامورين المستبدين وتعيد الاصلاح الي ربوع العثمانيين وتضع اساس الوحدة العثمانية على اسلوب متين؛ لنستعيد مجد الاسلام ونستفيد من قوى العربان وبهذه الافكار نمت فحلمت لذيذ الاحلام وكلها آمال على الله تحقيقها

وعند ما نهضت في الصباح كان الخادم قد جائني بكانون النار فجلست اصطلي عليه وحررت هذه الرسالة للعمران

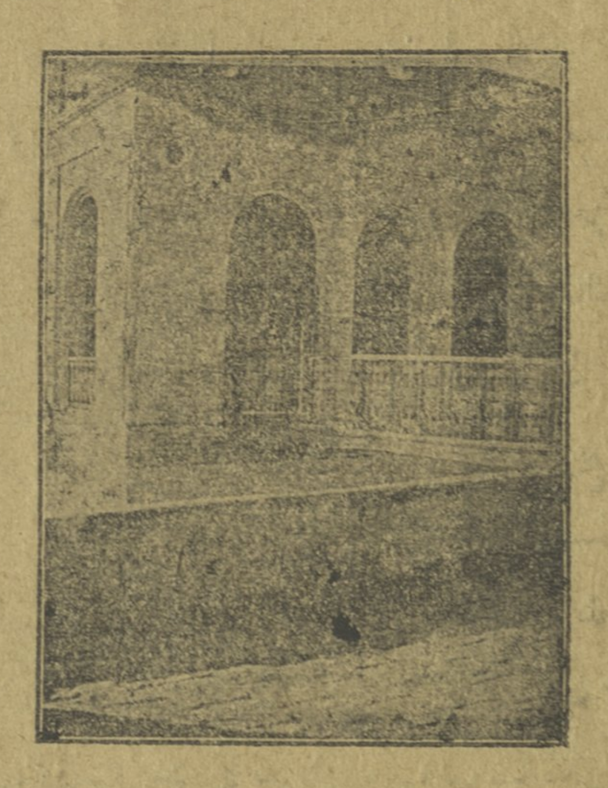
عبد المسيح انطاكي

عن السراي المباركية في الكويت المحمية في صباح ٢ ذو الحجه سنة ١٣٢٥

الرسالة السابعة عشرة

« نشرت في العدد ٤٢٨ من العمران الجزء ١١ من المجلد ٣ »

« في ١١ شوال سنة ١٣٢٧ »



واجهة القصر المباركي العالي

بعد كتابة رسالتي السابقة جاءني من طرف مولاي وولي نعمتي سمو الشيخ المبارك أدام الله له السؤدد والفخار مندوب يقول ان سمو مولانا يأمرني ان أكون بمعيتكم لتجوالكم في المدينة الى حيث تريدون فلما رأيت هذه العناية اغرورقت عيناي بالدموع وقلت مرتجلا

أرسول مولاي المبارك مرحباً | أهلا وسهلا قد أتيت دليلا
فاسرح معي لترى جلال مبارك | ونخاره ونديم فيه القولا

ما إن أرى ببلاده وبملكه ... الا عظيا للورى وجليلا

اني لمجد مبارك أسعى ولا ... أرضى به في العالمين بديلا

ملك لقد أحيا بباهر مجده ... مجداً لنا قد كان ثم ازيلا

قد جددت بعلاه آثار الأُلى ... سلفوا وجدد بالحسام الحولا

وأقام للعربان فخراً ثابتاً ... بفخاره الاعلى وكان اديلا

حياه ربي من أمير صادق الـ ... ايمان يروى مدحه ترتيلا

ومسوّد حكم بشرع محمد ... حكم البلاد وعزّز التنزيلا

جواد في الاحسان اذ أضحى لكا ... ل السائلين الطالبين معيلا

وبحاج أرباب الحوائج قد غدا ... أي والرسول اذا أتوه كفيلا

هو الذي فارقت أهلي في زيا ... رته فشمت المربع المأهولا

وشهدت في افضاله وسماحه ... ونجامه مذي السجايا الطولى

فاذا سكت اليوم عن مدحي فاء ... لق بي وفي قلمي نصيب فلولا

رويت هذه الابيات على سبيل الارتجال ومندوب سمو مولاي ولي النعم يرحب بي ويشجعني ويقول كل ماتعلم عن سمو مولانا ارواحنا فداه هو دون الحقيقة وكل قول في فضله هو دون مايستحق ثم قال أين تريد الذهاب قلت أولا أريد زيارة هذا القصر الفخيم فسار بي لزيارة القصر

وصف القصر المباركي

أراد سمو مولانا المبارك أدام الله فضله ان يحافظ على عوائد قومه في بناء قصره فشاده على الطراز العربي البحت فقسمه قسمين جعل أحدهما للحرم المصون والآخر للضيوف اما قسم الحرم فلم أدخله بل ذلك غير مستطاع حسب العوائد الشرقية المقدسة انما وصفه لي أحد أغوات الحرم

فقال ان قسم الحرم أرحب من قسم الضيوف وان هناك الايوانات الواسعة والاحواض التي تتدفق منها المياه والجنائن الغناء والاثاثات الفاخرة التي لا توجد الا بدور الملوك

اما القسم الخارجي فقد تجولته وهاك مااستطيع وصفه

تتألف السراي المباركية العلية من طابقين طابق أول أو أرضي وفيه عدة دوائر أولها دائرة الحرس الملوكي حيث تقيم الجنود وهي عبارة عن غرف نظيفة مملوءة جدرانها بالاسلحة ثم يليها دائرة أشغال الامارة وهي عبارة عن ثلاث غرف احداها غرفة الباشكاتب أوكاتم الاسرار وهو حضرة الاديب الفاضل عزتلو عبد العزيز افندي السالم وكان حضرته وكيل الامارة في البصرة ثم انتقل الى الكويت وتولى شؤون الباشكتابة وهو شاب نشيط غيور صادق في خدمة مولانا ومولاه ويحسن اللغتين العربية والتركية وفصيح اللهجة في مخاطباته وحسن الخط والتعبير في محرراته ثم هناك عدد كبير من الكتبة بين كاتب التحريرات الاجنبية وكاتب الحسابات وكاتب الاحسانات وكاتب الخرج الخ

ثم تلي هذه الدائرة دائرة مجلس سمو مولانا الشيخ جابر مبارك الصباح كبير أنجال سمو الامير وهي عبارة عن صاعة واسعة جداً مفروشة على الطراز العربي وحولها غرفة للقهوة وغرفة للخدم المخصصين لسموه ويلي هذه الدائرة دائرة أخرى وفيها مجلس سمو مولانا ولي النعم الامير المعظم وغرف خدمه والقهوة والحرس الخاص الى آخره

وهذه الدوائر محدقة بفسحة كبرى هي فناء السراي العامرة وبطرفها اسطبل عظيم للخيول النجدية الشهيرة لركوب سمو مولانا ولي النعم وساداتنا

أصحاب السمو أنجاله العظام ومن لسموه من الاعوان

اما الدور العالي فيصعد اليه بنحو ثلاثين سلمة وله سلالم اخرى من جهات متعددة وهو يقسم الى دوائر عديدة فيها دائرة التشريفات الكبرى وهي عبارة عن صاعة واسعة مفروشة بالكنبات على الطراز الافرنجي من صنع الهند وممدودة في ارضها الطنافس العجمية الفاخرة وفي صدرها رسم كبير لسمو مولانا ولي النعم الامير المعظم ملونة بالزيت وتحت الرسم قصيدة من نظمنا مكتوبة بخط حضرة صديقنا الاديب عزتلو نجيب بك هواويني الخطاط الاشهر

وسقف الصاعة المشار اليها مزين برسوم ملوك العصر وامبراطرتهم

ويلي هذه الصاعة صاعة ثانية مثلها بفخامة الرياش الا انها أصغر منها وثالثة ورابعة وخامسة وكل هذه الصاعات معدة لاستقبال الضيوف الاعزاء الذين يفدون على سمو مولانا ولي النعم الامير المعظم وتفتح ايضاً في أيام الاعياد والمواسم والاحتفالات الرسمية .

وبجوار هذه الصاعة مجلس لسمو مولانا الامير المعظم يجلس فيه في الصباح وبعد الظهر لاصدار الاحكام وهو مفروش بالرياش الفاخرة على الطراز الافرنجي أيضاً وحول هذا المجلس العظيم غرفة للخدم والحشم وغرفة ثانية للقهوه

وبجوار هذه الصاعة بعض غرف وفيها أسرة ذات الرياش الجميلة وذلك لانزال الضيوف الاعزاء على سمو مولانا ولي النعم وهناك كان نزولي

وهذه السراي الجميلة العظيمة مبنية على البحر وتشرف عليه من كل نوافذها وامامها تماما يرسو البخت المباركي العالي

هذا قليل ما أصف به هذه السراي الفخيمة التي قضيت بتجوالي فيها

نحو ساعتين ثم عدت الى غرفتي لاستريح وانا معجب من فخامة هذه السراي

الشيخ ناصر بن المبارك

وما كدت استريح حتى تنازل لزيارتي سمو مولانا الشيخ ناصر مبارك الصباح وهو ثالث انجال سمو مولانا ولي النعم الشيخ مبارك باشا الصباح المعظم في نحو الخامسة والعشرين من عمره قد فقد بصره بقضاء الله وقدره مذ كان في الخامسة من عمره ولما شاهدته تأثرت جداً وخففت اليه الثم راحتيه فابى وتلطف بي كثيراً وحادثني فاذا هو نير البصيرة وان فقد البصر وعلمت من حديثه انه منصب على العلم فقد حفظ القرآن الشريف ودرس الشريعة السمحاء وانصب على الشعر فصار له طبيعة وانشدني شيئاً من منظوماته فاذا هي درر غوال ثم أخذ يسألني عن احوال مصر ويذاكرني بما يلاحظه على المدنية العصرية مما يتلى على مسامعه من الجرائد والمجلات فانست بسموه كثيراً وعجبت بادبه اكثر فارتجلت بين يديه هذه الابيات

اناصر فيك الدين قد بات منتصر	ومنك الندى والجود والبر منتظر
وفيك نوادي العلم تزهو وتزدهر	الست لها ابن الاكارم مذدخر

وانت لها الحامي اذا خانها القدر .

رأيتك في حفظ الشريعة جاهدا	وللعلم والآداب والشعر ناشدا
وللخير والاحسان والبر قاصدا	وبالمال للعافين مولاي جائدا

ومن فضلك الاسنى لقد لاحت الغرر

وحققت آمال المبارك بالندى	وبالفضل والاحسان اذ بت منشدا
واخلق بابن المجد ان يتمجدا	وقد ورث الاقبال إرثاً مخلدا

وفرع العلى يسمي ويصبح ذا ثمر

أبوك أمير الناس طراً بنبله ومصدر اقبال البرايا بفضله
تعالى على الامجاد في بعد سؤله وساد الورى في حزمه لا بخيله
وبالرأي لا بالسيف قد دفع الغير

ولو شاء في يوم الوغى أهلك العدى ولم يبق منهم فارساً قد تجندا
اذا ما انجلى فوق المطهم مفردا وهزَّ بيمناه الحسام المهندا
وسار بلا خوف عليه. ولا حذر

أميرٌ لقد باتت امارته لنا جناناً بها نلقى المسرة والهنا
وعنها لقد اجلى بحكمته العنا ونلنا به والله مكتمل المنى
نردد تمداحا به آيه سور

اذا قال اما بعد والجمع منتظم خطيباً لاصغى الناس سمعاً الى الحكم
وبالعدل ما بين الرعية قد حكم بشرع الرسول المصطفى سيد الامم
فذكرنا في عدل سيدنا عمر

اهنيك يا مولاي في خير والد عظيم جليل ماجد وابن ماجد
لقد فاز في مجد طريف وتالد مدائحه تتلى بازهى النشائد
وقد حيرت منا القرائح والفكر

وصبراً على بلواك صبراً على البلا لتظفر في اجر المهيمن في العلا
فكم في الورى من مثل فضلك مبتلى لقد نال في مسعاه مكتمل العلى
وكان بصيراً رغم ان فقد البصر

لقد زرتني مولاي عن مطلق الكرم وانت امير محسن صاحب الشمم
فاكرم بها من زورة كلها نعم مدحتك فيها في قريضي الذي انتظم
بمدحك مع مدحي الذي اليوم ينتثر

ولا زلت ذخراً للانام وموئلا ... بظلّ اب بامجد اضحى مظللا

تلاقي الهنا فيه سنيا مكملا ... وتحيا به بالمكرمات مجللا

وتبلغ قدراً في المكارم مفتخر

وكان سمو الشيخ ناصر يصغي لابياتي وهو طارب حتى اذا ما انتهيت قال اما مديحك اياي فهو فوق طاقتي وأما مدح سيدي الوالد حفظه الله فهو له كفؤ واما مصابي بناظري فاتحمله بالشكر لله والصبر على قضائه واني احمده صباح مساء سبحانه لا يحمد على مكروه سواه ولي في عطف سيدي الوالد وسادتي الاخوان اكبر تعزية على خطوب الزمان. ثم جلنا في الاحاديث الادبية والشعرية والفكاهية فاسمعني من فصاحته المعجب المطرب وبعد ذلك نهض مودعاً فسرت في خدمته الى السلالم ثم انكفأت راجعاً وانا متأثر لمصابه مندهش من آدابه ولما خلوت بنفسي جلست فحررت هذه الرسالة للعمران والسلام على القراء الكرام

عن السراي المباركة العامرة في الكويت المحمية في ظهر الاثنين ٢ ذي الحجة سنة ١٣٢٥ ... عبد المسيح انطاكي





—﴿ الناس في اسواق الكويت ﴾—

الرسالة الثامنة عشرة

« نشرت في العدد ٤٢٩ من العمران الجزء ١٢ من المجلد ٣ »

« الصادر في ٢٥ شعبان سنة ١٣٢٧ »

﴿ الكويت ﴾

بعد ان كتبت رسالتي السابقة للعمران تناولت طعام الغداء وجلست قليلا للاستراحة وقبيل العصر جاءني رسول من قبل مولاي وولي نعمتي يعرض علي استعداده لمرافقتي الى حيث أشاء فسرت معه للتجوال في مدينة الكويت المحمية وهي عاصمة امارة سمو مولانا الشيخ المعظم

— ﴿ مدينة الكويت ﴾ —

تجولنا في المدينة مدة ثلاث ساعات اعتقد اني جلتها جميعها أو اكثرها

وكان ذلك على متن الجواد ومعي دليلي يهديني الى كل ماأسأله عنه

﴿ شكل المدينة ﴾

ان المدينة مبنية على الطراز العربي وشوارعها ضيقة وهي على شكل مستطيل وفيها من السكان مايربو على الخمسين ألفاً وقد يبلغ الثمانين في أيام المواسم حيث ينزل عربان نجد اليها للبيع والشراء

وهي من أهم ثغور خليج فارس تجارة لانها ميناء النجديين يستوردون منها مايحتاجون اليه من الهند ويرسلون بواسطتها محصولاتهم وأهمها الخيول النجدية الشهيرة الى البصرة وبغداد وثغور خليج فارس والهند

وهذه المدينة لم تبلغ ماهي عليه من النجاح الا في عهد سمو مولانا وولي نعمتنا الشيخ المبارك أعز الله به الاسلام فانه حفظه الله وأبقاه وأكبت عداه منذ تربع على أريكة الامارة أخذ يسعى ويجد

أولاً في تعميم العدل والامان علماً منه ان بهما قوام العمران

ثانياً في تسهيل المواصلات على التجار فاتفق مع شركة البواخر الانكليزية ان ترسل أسبوعياً باخرة من بواخرها الى ميناء الكويت لنقل الركاب والبضائع والبوسطة لقاء مبلغ من المال يدفعه من جيبه الخاص مساعدة لرعاياه وتنشيطاً لمتاجرهم

ثالثاً بحماية رعاياه في الخارج بحسن صلاته الودية مع كل الجهات المتعلقة تجارياً بالكويت

رابعاً بمعاونة رعاياه مالياً على انماء تجاراتهم وله على الكثيرين من اغنيائهم أيادي بيضاء مشكورة

خامساً باقامة وكالة خاصة له في بومباي لمساعدة الكويتيين الذاهبين

والآتيين اليها وكان وكيله السابق المرحوم المبرور الحاج سالم السديراوي وكان هذا رجلاً نشيطاً مجداً أميناً على خدمة مولانا ومولاه ولما توفاه الله أقام في مكانه ابنه حضرة الفاضل الاديب الحاج محمد سالم السديراوي وهو هناك قائم بكل مساعدة ممكنة للكويتيين مستجلباً الدعوات الصالحات لمولانا ومولانا الشيخ المبارك حياه الله

فهذه هي الاسباب التي جعلت للكويت في الخليج الفارسي نشأة جديدة وأهمية عظمى وساعدها على ذلك مركزها الجغرافي حيث كانت ساحل نجد وتاج الخليج الفارسي وربما جعلت مركز خط بغداد الحديدي وحينئذ يتم لها العظمة التي أعدها سمو مولانا ولي النعم الشيخ مبارك باشا الصباح المفخم

ومما تقدم عرفنا ان تجارة الكويت هي للوارد والصادر شأن الثغور المهمة وأكثر أهلها من التجار الا ان فيهم أيضاً من يخرجون لمغاص اللؤلؤ وهم قليلون وفيهم المزارعون وفيهم أصحاب السفن الهوائية يتاجرون بنقل البضائع عليها

﴿ تربة الكويت ﴾

اما تربة الكويت فخصبة جداً على ماهو مشهور وقد شاهدنا الارض قد تفتقت وأنبتت من وراء المطر الرزاز الذي هطل عليها في أمسنا وكان دليلي قد نبهني الى ذلك فاندهشت

الا ان المياه الجارية قليلة هناك لذلك تتوقف الزراعة على الامطار ويخطر لسمو مولانا المبارك على ما علمت ان يجر لبلاده ترعة من شط العراق الذاهبة مياهه سدى الا ان هذا الخاطر كغيره من الخواطر التي تجول في صدر مولانا الشيخ المبارك المصلح العظيم لبلاده ولكن تحقيقها منوط بالايام على

حد قول الشاعر

كل ما نرتجيه سهل ولكن عثرات الآمال ليست بسهله

اما الثروة في الكويت فقد تحسنت كثيراً على عهد مولانا المبارك حياه الله بفضل المساعدات التي يأتيها وسبق لنا ذكر بعضها

الامان

اما الامان في الكويت فيضرب به الامثال في عموم الخليج الفارسي والعراق ففي الكويت السرقة تكاد تكون غير معروفة لسهر وتشديد سمو الشيخ المعظم ولي النعم وقد شاهدت في تجوالي في المدينة ميداناً كبيراً بوسطها وهو سوق عام لتجارتها وشاهدت هناك الصيارف وكل واحد امامه مكتب صغير فيه أنواع النقود التي تتنوع بين نقود عثمانية على أنواعها ونقود فارسية ونقود هندية وعلمت ان هؤلاء الصيارف عند ما يمسي المساء يقفلون مكاتبهم على ما فيها من الاموال وينصرفون الى منازلهم آمنين مطمئنين على أموالهم في حفظ الله وسمو الشيخ المعظم

عدل المبارك

اما عدل المبارك فما تضرب به الامثال فيقولون هناك [فلان يحكم بعدل أبي جابر] وينقلون من نوادر عدله شيئاً كثيراً مما لا متسع له الآن ومما يدلك على عدله الشامل وصف الطريقة التي يحكم بها شعبه مما سترى

الاحكام

ان مولانا الشيخ المعظم هو الحاكم الاكبر في بلاده ولما كان ليس لسموه من الوقت ما يكفيه للتفكر في سياسة الامارة وادارتها والحكم بين الناس فيها بالعدل استعان على ذلك بنجله الاكبر سمو مولانا الشيخ جابر مبارك الصباح

فهما يحكمان بين الناس بالقضايا الهامة وما عدا ذلك فكل فرد من آل الصباح العظام يفصل بين الاخصام ويكون حكمه فاصلا بعد اجازة مولانا المبارك حياه الله وابكت عداه

أما هذه الاحكام فتجري حسب الشريعة المحمدية السمحاء وسمو مولانا المبارك حفظه الله يشدد كثيرا في القضايا الجنائية المخلة بالامن العام الى ان يحكم فيها على المجرم بصرامة مهما عزت مكانته وكثر شفعاؤه حتى صح فيه قول القائل «لا تأخذه في العدل شفاعة شافع اوفي الحق لومة لائم»

اما في المسائل التجارية والحقوقية فسمو مولانا المبارك على عكس ذلك فان أحكامه كلها تصدر بالاجتهاد ويريد بها تنشيط التجارة

فاذا جاء سموه دائن يشكو مديونا مماطلا أو صاحب حق يطلب حقا له بحث سموه أولا في صحة ذلك الدين وعدالته وخلوه من التغرير والغبن والربى ثم اذا ثبتت صحة الدين بحث في السبب الحقيقي لهذا المطل ثم في حالتي المديون والدائن فاذا وجد ان سبب المطل هو الاعسار الحقيقي وان الدائن يستطيع ان يمهل المديون من غير ان يتحمل ضرراً حكم بتمديد اجل الدفع الى ما يلائم حالة المديون وان رأى ان الدائن والمديون في عسر دفع المال من جيبه ولمهل المديون بدفعه للجيب الخاص نجوما أو عفاه منه حسب ظروفه

وهذه الطريقة في احكام سموه الحقوقية والتجارية هي المتبعة على التوالي في الكويت وقد استنبطها سمو مولانا المبارك حفظه الله وشاعت عنه بالثناء في كل بلاد العرب فاكرم وانعم بفضله وكرمه

أما تشديده في المسائل الجنائية فمما يحاكي عدل الامام عمر رضي الله عنه بحيث يقتص من اعز اولاده اذا اعتدى على احقر صعلوك ولا يقبل في

ذلك وساطة وسيط ولا شفاعة شفيع فاذا جاء احدهم الى مقرب من سمو مولانا المبارك يرجو شفاعته سأله ان كانت المسألة جنائية او مالية قبل ان يسمع حديثه لان كل وساطة وشفاعة في المسائل الجنائية ذاهبة سدى وعدل المبارك آخذ مأخذه

والغيرة سموه حفظه الله على العدل قد اتخذ له مجلسا في وسط مدينة الكويت يجلس فيه للحكم وجعل لسمو نجله الشيخ جابر مجلسا آخر في طرف المدينه حيث يكون كل منهما اعزهما الله ساهراً على مصالح الرعية مستعداً لسماع شكاوي الشاكين وهذا لم أره في غير امارة الكويت في بلاد العرب والسر في ظهور سموه وسمو نجله يوميا في المدينة لاجراء الاحكام هو لكي لا يحجبهما حاجب عن مظلوم فلو اكتفيا ببرزة القصر فقد يحجب مظلوم عن الوصول اليهما ولاسيما اذا كان الظالم احد المنتمين الى القصر وهذا لا يرضاه سمو مولانا المبارك

وفضلا عن ذلك فان سمو مولانا المبارك اعزه الله يرى ان وجوده ووجود سمو نجله في الاسواق بين الرعايا مما ينشطهم ويشجعهم ويكفهم عن المنازعات والخصومات وهو رأي له نصيبه من السداد والرشاد وبعد مواقع النظر كما لا يخفى

الحركة التجارية

اما الحركة التجارية في الاسواق فقد رأيتها نامية زاهية حيث كانت الاسواق غاصة بالناس وقال لي دليلي ان الوقت الذي كنا فيه ليس من اوقات مواسم والناس في قراهم ومزارعهم وباديتهم وحدثني عن حالة الاسواق في ايام المواسم الشيء الكثير

﴿ الحركة العامية ﴾

وقد شاهدت في تجوالي مكاتب التعليم وهي كثيرة في الكويت على انها كتاتيب لتعليم القراءة والكتابة والقرآن الشريف وأدب اللغة العربية مع مبادي الانكليزية وحدثني دليلي عن رغبة سمو مولانا ولي النعم الشيخ مبارك باشا الصباح المفخم في تنشيط الحركة العامية في بلاده وانه مفكر في ذلك وغيره من الاصلاحات التي من البداهة لا تتأتى مرة واحدة وعلمت ايضاً ان هذه الكتاتيب كلها ينفق عليها سموه من جيبه الخاص بكرم حاتمي

﴿ آداب الكويتيين وملابسهم ﴾

اما آداب الكويتيين وملابسهم فهي عربية محضاً كيف لا وهم نجديون من صميم العرب ومن الغريب اني كنت اتجول في المدينة والناس ترحب بي يميناً وشمالاً وقال رفيقي ان ذلك لم يكن لمجرد كوني ضيف سمو مولانا فقط بل لمجرد كوني ضيفاً عندهم وان هذه حالتهم مع كل غريب يزورهم وانهم لو لم يعرفوني بضيافة مولانا ومولاهم لتنازعوا على ضيافتي

﴿ دار الضيافة ﴾

وبينما انا عائد الى السراي عرج بي رفيقي على دار الضيافة وهي على بعد خطوات من السراي المباركية العامرة وهذه الدار وسيعة جداً وفيها غرف عديدة واسعة حسنة الرياش وقد شبهتها بخانات حلب والشام على انها اوسع ورايت فيها اناساً كثيرين مع جمالهم وخيولهم وعلمت ان هؤلاء الضيوف لا تخلو منهم الكويت يومياً وبحال وصولهم يسيرون رأساً الى دار الضيافة فينزلون على الرحب والسعة حيث يقدم لهم الطعام ولخيولهم العليق من السراي العامرة ولدار الضيافة مأمور مخصص من طرف مولانا حفظه الله للسهر على راحتهم



العودة الى القصر

وبعد ذلك عدنا الى القصر وكان التعب قد أخذ مني مأخذه فجلست خائر القوى وكان المؤذن يؤذن آذان الغروب من مأذنة الجامع الحميدي بجوار السراي. وبعد الغروب جؤني بطعام العشاء فأكلت بنشاط التعب الجائع ثم اسرعت الى فراشي فنمت بمل جفني نوماً هادئاً حلمت فيه بالسعادة التي انا فيها بظلال سمو مولاي المبارك اعزه الله وما انتبهت الا على صوت المؤذن في الصباح فجلست على نور المصباح وحررت هذه الرسالة للعمران

عن السراي المباركية الزاهرة في صباح الثلاثا ٣ ذو الحجة سنة ١٣٢٥

عبد المسيح انطاكي





الناس حول السباق

الرسالة التاسعة عشرة

« نشرت في العدد ٤٣١ من العمران الجزء ١٤ من المجلد ٣ »

« الصادر في غرة رمضان المبارك سنة ١٣٢٧ »

السباق العربي

بعد ان أتممت رسالتي السابقة وختمتها حسب عادتي دعاني سمو مولانا ولي النعم لحضرته السنية الملوكانية فاسرعت اليه ولثمت راحتيه فقال لقد ذكرناك في السهرة وارسلنا من يدعوك الينا فوجدناك نائماً تعباً فقلت

لم اغف يا مولاي عن شكوى ملل — كلا ولم اشعر بتأثير الكلل
لكنني عاينت مجداً مكتملا — به عيون الدهر حقا تكتحل
فنمت كي أحلم في هذا المحل — فخلتني في عهد ماضي الدول

في عالم الاسلاف أجدادي الاول　　أهل العلى الامجاد سادات الملل

في دولة الرشيد حقاً متصل　　مظللٌ بظله الزاهي الاظل

وان يكن نجم الرشيد قد افل　　فانما مباركٌ فيه الامل

بدسته العالي الذرى بالجد حل　　وقد غدا في العرب مضرب المثل

شهم جواد للدراري قد بذل　　جوداً لمن داناه للجدوى سأل

كانما احسانه اذا انهمل　　على الورى ماء سحاب قد هطل

وانه للناس طراً قد كفل　　وهم على افضاله باتوا عيل

بحزمه يرجى لاصلاح الخلل　　ماقال الا اتبع القول العمل

اذا دعي للخير والبرّ فعل　　وان دعي للشرّ والضرّ بخل

يخرج للاعداء في الحرب بطل　　ماجال في بتاره الا قتل

لم يتركن اماً لهم الا ثكل　　او مرأة الا شكت هول الرمل

كذاك من عادى لمولانا الاجل　　وشهر الحرب عليه عن خبل

مانالوا الشيخ المفدى من عمل　　وانما ناواه غرّ جهل

فهل وهى بقرنه الصخر الوعل　　وهل يسود الاسد في الحرب الجمل

شهدت في الكويت آثاراً تجل　　محمودة في ظل مولاها تنل

بحكمه بالشرع في الناس عدل　　وظله عاش الهزبر والحمل

وأمن البلاد من خطب جلل　　وشادها من بعد ما كانت طلل

فاصبح النضار فيه مبتذل　　واصبح اليسار فيه مستحل

بشرى لمن ابن صباح قد اظل　　ومن بسامي ارضه الزهرا نزل

وانه لهم من الفقر كفل　　وشمسهم فيه على برج الحمل

مولاي بشري في علاك متصل　　وسؤددي قد تمّ فيك واكتمل

فدم وعش برغد عيش وجزل

فتبسم سمو مولانا المبارك تبسم الرضا، وحباني بجواهر كلمه جليل الالاء مما يقصر دونه كل حمدٍ وثناء وقال انك تحضر اليوم حفلة السباق حيث ترى فرسانا على جيادهم النجدية وخيولهم العربية فقلت

ان الاعارب في السباق اسود ... ونخارهم عند اللقا مشهود
مامنهمو الا الكريم الاريحـ ... ـيّ المجتبى والفارس الصنديد
أفماهمو القوم الالى نصروا الرسو ... ل المصطفى وبهم زها التوحيد
أو ماهمو أسلافكم وابن المجيـ ... ـد وان يطول به الزمان مجيد
ابلى الزمان نخارهم لكنما ... بمبارك قد جدّ فهو جديد
مولاي قد جددت مجد المسلميـ ... ـن وانت في تجديده محمود
والله أيد سعيك الزاهي لذا ... ارتفعت له فوق السماك بنود

فتبسم سموه وقال انك تحبنا فبارك الله بعربيّ مثلك يغار على قومه غيرتك ويحنو على اهل لغته حنوك فشكرت عواطف سموه ودعيت

وبعد ان جلسنا قليلا نهض سموه فنهضنا حتى اذا ما انتهينا الى باب السراي المباركية العالية رأينا الخيول الصافنات معدة لركوبنا فامتطى سمو مولانا ولي النعم جواده وهو بالحلى الذهبية وكذلك فعل سمو مولانا الشيخ جابر بن المبارك وبقية آل البيت الصباحي العظام مع مقدمي امارة الكويت وامتطيت جواداً لولا معاونة من أعدهم سمو مولاي المبارك للمحافظة عليّ لما امنت جماحه ومن اين لحضريّ مثلي امتطاء كرائم الخيول العربية وهكذا سار موكبنا يتقدمه ثلة من الجنود الكويتية لخارج المدينة الى ميدان واسع كان الناس قد غصوا فيه وازدحموا ازدحاما فلما وقعت انظارهم على سموه هللوا وكبروا وضجوا

بالدعاء بطول بقاه وتسابقوا نحوه يلثمون راحتيه وكان يقابل كبارهم وصغارهم بما عهد فيه من اللطف والدعة ورحابة الصدر

ثم جعلت تقرع الطبول وتدمر الدمور وينشد الناس الاناشيد وبعد ذلك انبرى الابطال للنزال يتسابقون على تلك الجياد في ساحة يتجاوز محيطها الميلين فكنا نراهم عن بعد كالطيور وقد افتتح السباق سمو مولانا المبارك فكان السابق ولم يلحقه لاحق وبقينا في هذه الحفلة زهاء الساعتين على اجمل ماتقع عليه عين الناظر واسر وازهى ماتمثله الخواطر حتى اذا انتهى السباق تقدمت لنا المرطبات فشربناها ثم مدت مائدة عربية جمعت ماوعت من الكرم المباركي في ذلك السهل الفسيح حيث اكل جميع الحاضرين ويتجاوز عددهم الثلاثة آلاف وكان من التوفيقات الربانية الهواء بليلا والنسيم عليلا حيث كملت فيه مسرات الحضور واستجمعت افراحهم وبعد الطعام جاء الشعراء ينشدون سمو مولانا اشعارهم فأجازهم جميعاً وعادة العرب انهم ينشدون الشعر نشداً ولا يتلونه تلاوة أما أنا فلعدم تعودي على الانشاد وقفت في الختام وتلوت هذه الابيات

اليوم لاح فخار ابن صباح	وقد ازدهى ببهائه الوضاح
واليوم لألأ مجد شيخ مبارك	بربى الكويت بباهر الايضاح
واليوم شمت بأنني في ظل ملـ	ـك ذي خلال زاهرات صباح
ملك أراني كيف يركب للعدى	ويسير فوق الادهم الجماح
ويخوض غمرات المنون كأنه	بنشاطه شبح من الاشباح
فكأنه جبل بظهر حصانه	مهما طوى من مبعدات بطاح
طار الجواد به فما لحقته لا	حقة وهل يرجى لحاق رياح

الله اكبر ان تغبر يامبـار   لك مشهراً في الحرب بيض صفاح
من حول مجدك كل اروع باسل   متمايل ميلاً بشكة سلاح
يلقى المنية باسما او ان يفو   ز من العدى عند اللقا بنجاح
ما ان تخور عزيمة وباسمك الـ   ـعالي انجلى للحرب ياابن صباح
بشرى لمن صافاك بشرى انه   قد بات بالاقبال والافراح
وللويل من ناواك ويل لامه   اذ بات بالاحزان والاتراح
أمبارك أنت المرجى للعلى   والمرتجى للعدل والاصلاح
ولانت اكرم من يلاقي السائليـ   ـن الطالبين ببره وسماح
ولانت افضل من علا تخت الاما   رة حاكما بفتائح الفتاح
باتت رعيتك الحبيبة في ظلا   لك في الرقي والمجد والافلاح
ولذاك تدعو ان تعيش مرغدا   وهي التي تفديك بالارواح
أسكرتني بعلاك يارب العلى   سكراً ولم اشرب كؤوس الراح
وعجبت من سامي جلالك انما   في وصفه اعيا عن التمداح
هذه الكويت وقد جعلت قفارها   روضاً بعرف زهورها الفياح
وتركتها بعمارها ملكا كبيـ   ـراً بالاهالي ذا قرى ونواحي
وغدت لسكنى الصالحين فما بها   والله ذو فسق ورب طلاح
وحكمت فيها بالعدالة حسب شر   ع المصطفى وشرائع الشراح
ودعوت فيها الناس والامراء والا   قيال لما ان دعوا اصلاح
فالله اسأل ان يديم علاك ما   أجلى دجى الليل نور صباح

وبعد ان تلوت الابيات على تصفيق المصفقين الذين كانوا يقولون (ابو جابر كفؤ لمثل هذا) مر سموه فاحضروا له سيارته (اوتوموبيل) الملوكية

وهي على آخر طراز فركبها وامرني فركبت بين يدي سموه وأمر سائقها الهندي ان يسير بها الى السراي بعد ان أمر الفرسان ان يتبعوها ان كانوا يستطيعون لحاقها وقال لهم كلمة لا انساها مدى العمر وهي (على فرسان العرب ان يسابقوا بخار الافرنج) فسار بنا السائق وكان من حولنا الفرسان على الجياد العربية وبعضهم سبقونا ولما انتهينا الى السراي العامرة أمر الفرسان الذين حازوا قصب السبق في ميدان السباق فمثلوا بين يديه فاثنى عليهم كثيراً وأبدى بعض الملحوظات ثم أغدق عليهم نعمه بكرمه الحاتي المشهور وهكذا ارفض الاجتماع وعدت الى غرفتي وأنا منشرح الصدر مسرور الخاطر وكتبت هذه الرسالة للعمران والسلام على القراء الكرام

عن القصر المباركي العالي في الكويت المحمية في عصارى يوم الثلاثاء ٣ ذو الحجه سنة ١٣٢٧ عبد المسيح انطاكي





—﴿ منظر لازدحام الناس في السباق ﴾—

الرسالة العشرون

نشرت في العدد ٤٣٢ من العمران الجزء ١٥ المجلد ٣

الصادر في ٤ رمضان المبارك سنة ١٣٢٧

—﴿ نزهة على البحر ﴾—

بعد ان حررت رسالتي السابقة للعمران اضجعت على سريري وسرحت في عالم الخيال متأملاً في هذه العظمة العربية والمجد المباركي وكان التعب قد اخذ مني مأخذه فنمت ولم انتبه الا قبيل الغروب فخرجت الى الاسطبل العامر وامتطيت جواداً بعد ان أكدت على امير الاسطبل ان لا يكون جموحاً وسار معي أحد خدمة الاسطبل وخرجت على شط البحر متنزهاً فمررت اولا على معمري المراكب قرب المدينة ثم سرت في سهل فسيح وكنت اسير بتؤدة

ليس فقط اكراما للخادم الذي يتبعني بل خوفا من تلك الخيول ولست من ركابها والحق احق ان يقال وكان الهواء العليل يهب عليّ فينعش فؤادي ويثلج صدري وشعرت ان الله سبحانه قد شرح صدري فشرعت في نظم قصيدة عامرة الابيات اتلوها على مسامع مولاي في سهرة المساء

وعدت الى غرفتي والمؤذن يحيعل في وقت العشاء فجاؤني بالطعام ثمّ علمت ان مولاي وولي نعمتي الشيخ مبارك باشا الصباح قد خرج لمجلسه فخففت لسموه فبادرني اعزه الله بقوله كيف حالك فقلت على مايحب مولاي وكان مجلس سموه كعادته غاصا باعيان الامارة واكابر رجالها فجلست وهم يرحبون بي ثمّ سألوني عما شاهدته في السباق وان كان عندنا تقام حفلات كهذه فقلت

ان حفلات السباق تكاد لا تخلو منها مدينة وقطر في العالم وهي تقام في اوروبا واميركا كما تقام في الشرق بل باكثر اهتماما حيث يجعلها الناس هناك سببا للارباح لان في البلاد المتمدنة كل عمل يتخذونه للكسب لان معيشتهم هناك مادية محضاً

وحفلات السباق التي تقام في اميركا واوروبا يقوم بها فئة من عشاق الخيل لهم ناد خاص يسمونه نادي السباق ويجعلون لكل مشترك في هذا النادي جعلا سنويا

وفوق ذلك فالذي يريد الدخول في مضمار السباق يجعلون عليه رسما معينا وهم بمقابلة ذلك يعطون للسابقين جوائز مالية كبرى ثم لا يقتصر الامر على هذا بل ان الناس يتراهنون على السباق فهذا يقول الجواد الفلاني سيربح وانا ادفع كذا اذا لم يربح فيتراهن معه آخر على ان الربح سيكون في

جانب الجواد الفلاني وهكذا كل سباق ينجلي عن خسارة وربح الوف مؤلفة من الجنيهات وهذه المراهنة ولا جدال هي ضرب من ضروب المقامرة التي حرمها الاسلام

وخيول السباق تتربى خصيصا للمسابقة فلا تستعمل على الاطلاق بل تعلف وتربط للسباق وللاوربيين والاميريكيين عناية كبرى في تربية خيولهم بحيث ينفقون على ذلك الاموال الوفيرة

وأحسن الخيول عندهم هي الخيول العربية واشهرها عندهم النجدية الا انها تولدت عندهم وبفضل التربية اصبحت احسن حالا من خيولنا ولا سيما في ظاهرها وأما في قوتها وسرعة جريها فهي كخيولنا

وعندنا في مصر يعتنون بالسباق الان المراهنة على السباق تكاد تكون معدومة

اما في مدن سوريا فلم اسمع عن حفلات سباق سوى في مدينتنا حلب حيث كان عندنا بجوار المدينة ارض واسعة كان شبان حلب ينزلون فيها الى السباق ويسمونه «لعب الجريد» وكانوا يتسابقون بغير جوائز حيث لم يكن لاصحاب الخيول ناد خصوصي الان هذا السباق في حلب قد بطل منذ خمسة عشر عاما

على اني رأيت السباق في كل الامارات العربية التي زرتها ومنه تأكدت ان هذه العادة مأخوذة عن العرب ولا عجب في ذلك فالعرب هم السابقون في كل شيء والخيول خيولهم فلا غرو اذا اظهروا فيها مقدرتهم وقوتهم وحسن استعدادهم للحروب

هذا ما قلته عن السباق ثم طلبت من سمو مولاي ان يأذن لي بتلاوة قصيدتي التي نظمتها على متن الجواد فسمح فقلت

اني لا عجز عن صريح بيان في وصف هذا المجد والعمران

واقر معترفاً بتقصيري فما … انا بالكويت بفارس الميدان
من لي بقس استعين به على الا … فصاح في اظهار خير معاني
وبلاغة فيها ابين ما ار … د اعارها ذا اليوم عن سحبان
فاذيع فخر مبارك بين الملا … بالحمد والتمداح والشكران
واخبر الدنيا بسامق مجده … ولقد علا فيه على ايوان
وبفضله اروي القصائد والنشا … ئد والمحامد في البلاد اغاني
وبه اصيح بانه خير الملو … ك على وافضل كل ذي سلطان
وهو الذي قد بات في احكامه … وفعاله المقصود في العربان
قد جلت في ارض الكويت وزرتها … ورأيت ما فيها من البنيان
فحسبته في قصره متربعاً … كسرى الزمان بذلك الكيوان
وحسبتني بكويته متجولا … بين الازاهر في رحيب جنان
فاذا مررت بسوقها شاهدت في … ها التجر في كسب بلا خسران
وشهدت فيها الناس في فرح وفي … بشر وفي يمن وفي ايمان
وشهدتهم بمبارك وبعدله … بتودد الاصحاب والاخوان
ما من يخاف الظلم او يخشى ضيا … ع حقوقه في الحل والاظعان
ناموا بظل اميرهم وعميدهم … في راحة مذ بات بالسهران
وغدوا به في نعمة ميمونة … يتلون آي الحمد والشكران
ولقد مررت بجامع المولى المبا … رك جامعاً لزخارف العمران
فرأيته رحباً يغص الناس في … رحباته لعبادة الرحمان
ما فوقه علم الخلافة انه … علم الهلال الزاهر العثماني
وبه تقام الخطبة الكبرى با … سم خليفة الاسلام ذي السلطان

عبد الحميد عميد آل محمد ... وممثل الاسلام والقرآن
ودعاه في اسم الخليفة عاملا ... لولائه في دولة العربان
وشهدت هذا اليوم حفلات السبا ... ق بمجمع الابطال والشجعان
من كل اروع فارس متزمل ... فوق المطهم في طويل سنان
تلقاه ما فوق الجواد كأنه ... والطير في افق الفضا برهان
يتسابقان وما عهدت الناس قب ... ل اليوم تعيي الطير بالطيران
او ان جارحة النسور تقر بالا ... اعجاز قبل اليوم للانسان
لما رأيتك يامبارك في السبا ... ق غضنفراً في واضح البرهان
ورأيت بدلك حاكماً بين الملا ... بالشرع والقسطاس والميزان
ورأيت علمك في العداة ولوارد ... ت فنيتهم فنياً بيوم طعان
ورأيت دارك ملجأ القصاد والـ ... ـرواد للاحسان والعرفان
ورأيت فيك تهجداً وتزهداً ... وتفرغاً لعبادة الديان
ورأيت سعيك كي تذب عن الرعيـ ... ـة ما بها من مزعج الاشجان
ايقنت انك خير من نسل الاعا ... رب والاعاجم في علو الشان
وعجبت كيف ينام عن تردادمد ... حك كل من يقوى على التبيان
مولاي اهنيك الفخار ونلتـه ... بفعالك الزهرا بكل مكان
واهنأ فقد قيدت الباب الورى ... بسلاسل الافضال والاحسان
واهنأ فانك في الفضائل مفرد ... ما ان لمجدك في المشائخ ثاني
واهنأ فان مديحك الاسنى لقد ... سارت به العمران في البلدان
واقبل عقوداً قد نظمت لآلها ... فغدت كمثل قلائد العقيان
تروى بحمدك ياكريم بكل مر ... تبع اراجيزاً بنغم اغاني

وتبين مالك من فعال جمة　محمودة مشهورة لعيان
واسلم ودم بالمجد والاقبال والا　اجلال والعليا مدى الازمان

وبعد ان تلوت قصيدتي وقوبلت بالرضاء العالي دارت بنا الاحاديث عن كل قديم وحديث وكان بيت القصيد سمو مولانا المبارك وماله على الكويت من الآثار الحسان التي يردد شكرها كل ذي شفة ولسان حتى اذا ما انطوى الربع الاول من الليل نهض سمو مولانا فنهضنا مودعين وانصرفنا جميعاً حامدين شاكرين ولما عدت لغرفتي جلست على نور المصباح فسطرت هذه الرسالة للعمران والسلام على القراء الكرام

عن القصر المباركي العالي ليلة الاربعاء ٤ ذو الحجة سنة ١٣٢٧

عبد المسيح انطاكي



الرسالة الحادية والعشرون

«نشرت في العدد ٣٣٤ السنة الثالثة عشرة من العمران»

« الصادر في ٨ رمضان المبارك ١٣٦٧ »

نظرة في الكويت

اصبحت صباح الاربعاء قرير العين مسرور الخاطر وخرجت اتجول على سطح السراي المباركية وامامي الحوض الراسي به اليخت المباركي والسفن الشراعية الهوائية المالئة شطوط المدينة للتجار والغواصين ثم الى ما يمتد اليه نظر الناظر من ذلك البحر المرغي المزبد كأنه يتهدد اعداء سمو مولانا المبارك خزاهم الله فوقفت اتأمل في عظمة هذه المدينة وجميل مناظرها وكيف ان سمو مولانا اوصلها الى هذه الدرجة من النمو بمثل هذه السرعة حتى اصبحت تاج الخليج الفارسي واعدها لتكون اعظم ثغر عربي تجاري لنجد بجملتها ونقطة الاتصال بين البلاد النجدية والهند

وتأملت ايضاً بما سيكون لهذه المدينة لو صح جعلها رأساً لسكة حديد بغداد على ما ينوون حيث تصبح الكويت وقتئذ اعظم نقطة تجارية في ذلك الخليج وكل ذلك بفضل اهتمام مولانا الشيخ المبارك حياه الله

هذا هو الشيخ الذي   فيه العلى والسؤدد
هذا الذي شاد الفخا   ر لقومه فتمجدوا
هذا الذي جعل الكوي   ت مقام يمن تقصد
واقام فيها سوق تجا   ر للغنا لا تكسد
واظلها بظلاله   فيها المقام الارغد

وبربها ومليكها تشقى البلاد وتسعد

ثم تأملت في اليخت المباركي العالي يخفق عليه العلم العثماني المنير فقلت

لله درّ مبارك العربان ومعيد مجد الدين والقرآن
صافي الخلافة صادقاً عن نية محمودة مأثورة الشكران
وولاؤه لخليفة الاسلام لا تحتاج اي والله للبرهان
أفلم تروا ما فوق يخت مبارك لالا الهلال النير العثماني

ثمّ اخذت اتطلع وانا في اعلى القصر المباركي العالي الى عموم المدينة وفيا فيها لارى العلم الانكليزي الذين يقول اعداء سمو مولانا انه رفعه على سرايه فلم اعثر له على اثر كما كنت اقرأ في جريدتي المؤيد واللواء وغيرهما على اني كنت اعلم جيداً منذ كنت في مصر ان هذا النبأ مكذوب وانه من جملة اراجيف ومفتريات اعدائه واعداء الخلافة العثمانية وطالما كذبتهم في العمران فضحكت من تسرب هذا الوهم اليّ وقلت قاتل الله هؤلاء الاعداء الا يرون الاعلام العثمانية خافقة على السراي المباركية وعلى الجامع الحميدي وعلى اليخت المباركي فكيف جعلوا هذه الاعلام انكليزية وبالله هل اتصلت قحة اعداء سموه الى هذه الدرجة من الاكاذيب والاضاليل

لعن الاله عدا المبارك انهم اعدى عداة الدين والاسلام
كذبوا افتروا في كل ماقالوه عن خير الملوك السادة الحكام
ورووا الضلال ومن اضلّ الله لا يهدى وان الذنب للافهام
قالوا بان مباركا عادى الخلا فة في سياسته بغير ذمام
وركنا الى الافرنج ركناً سيئاً في نشره متكلنز الاعلام
أفلم يروا اخلاصه وولاءه للدولة العلياء عن اعظام

وحروبه بسيباهما كي تستعز ... ز بسيفه عزاً مدى الاعوام
وبان رايته كرايتها وقد ... نشرت بامرته بكل مقام
في قصره وبيخته تعلو وجا ... معه وفوق القفر والآكام
ولكم اعان جيوشها ببلاده ... واحلهم بالرحب والاكرام
وكساهمو في جوده وقراهمو ... في فضله شأن الصديق الحامي
عمي البصائر والقلوب عداته ... وهمو عداة العرب والاعجام
وعداة كل موحد لله ير ... جو نشأة الاسلام للاتمام
امبارك يهنيك مجدك كامل ... ما ان يشان بفرية من ذام
وولاك للقرآن والاسلام وال ... سلطان لا يحتاج للاعلام
واهنأ فقد دست الاعادي رغم انـ ... ف الدهر بالاقبال والاقدام
وابشر فان الدهر اصبح طوع امر ... رك خاضعاً بالنقض والابرام
يلقاك مبتهجاً فيبشر اذ يرا ... ك معززاً في ثغره البسام
فدس العدى واسلم عزيزاً سيداً ... عالي الذرى في سؤدد وسلام

انشأت هذه الابيات وأنا اتذكر لؤم اولئك الاعداء الطغام اعداء الخلافة والعرب والاسلام واستنزل عليهم لعنة الله والانس والجان وبينما انا كذلك واذا بسمو مولانا ولي النعم اعزه الله وجعلنا فداه قد خرج من الحرم الى مجلسه فاسرعت اليه ولثمت راحتيه فقال نعمت صباحاً فكيف حالك قلت على ما يحب الصديق ويكبت العدو قال فمرحباً فيك وانك اليوم معي ترافقني لتنظر كيف اقضي ايامي بين رعاياي قلت مولاي قد رأيت فوق ما سمعت عدلاً عاماً وفضلاً شاملاً وعناية بالافضال وعزيمة تزعزع الجبال فتبسم سموه وقال هيّ بنا فامتثلت وسرت في خدمة مولاي الى مجلسه العالي

في خدمة سمو الشيخ

دخلت بمعية مولانا الى مجلسه حيث تصدر باليمن والاقبال فأمر فجلست قريباً من سموه وأخذت الناس تفد افراداً وازواجاً على سموه وكان كلما دخل قادم يسرع الى سموه فيلثم راحتيه فيقابله سموه بصدره الرحب وثغره الباش ويأمر له بالجلوس فالقهوة مهما كان مقامه فيصيح خدم سمو الشيخ المعظم بقولهم « اي والله قهوه » فيأتي القهوجي الخاص بابريق القهوة على عادة العرب بحيث يقدم للحضور جميعا مثنى وثلاث

وكان بجانب سموه احد كتابه ودواته بحزامه وهو واقف يتلقى اوامره ليسطرها في الحال

فدخل على سموه رجل من الكويتيين فسلم ودعا ثم جلس وشرب القهوة والتمس من سموه قرضاً حسناً مبلغ خمسماية روبية « ان الروبية عملة هندية تساوي ستة غروش ونصف » وذلك لاضطراره لاستجلاب بضاعة من الهند والتمس ان يكون هذا القرض تحويلا على جناب وكيله في بومباى فاصدر سموه امره بالحال في اجراء ذلك فشكر ودعا وخرج

ثم دخل آخر من اهالي نجد وقال قصدتك من بعيد القفار ببيتين من الشعر قال قل فانشد

اتيتك يا مبارك في رجاءٍ   تحققه وتكسب نشر حمدي
فقد جار الزمان عليّ حتى   اجاع مطهمي واجاع ولدي

فتبسم سمو الشيخ المعظم حياه الله وقال ان الله يشبعنا جميعاً ثم مال الى كاتبه وقال انظر مايحتاج اليه فاذا عشرون ريالا كتب بها تحويلاً على الصراف فختمها سموه واعطاها لذلك الشاعر الاعرابي وصرفه شاكراً

ثمّ دخل عليه رجل من البدو كان ماسكا زمام تاجر من الكويت وقال ابيت اللعن يا ابا جابر فباسمك قد قدت هذا الرجل اليك قال سموه وما فعل قال لقد اشترى مني سمنا وصوفا بمبلغ مئة ريال مجيدي واستمهلني بدفعه مراراً فسال المديون عن صحة الدين فاقر قال ولماذا لم تدفع قال اني في عسر قال اثبت لعبد العزيز « وهو رئيس كتاب سموه » عسرك فندفع الدين عنك ونمهلك بالوفاء وأمر الكاتب ان يسطر ذلك وارسله الى عبد العزيز افندى للتحقيق

وهكذا جلسنا مدة ساعتين بين طالب احسان وطالب حق وشاعر مستجدي وقد خلق الله ارزاق الشعراء على الملوك والامراء الا انني في كل هذه المدة لم ار جنحة او جناية تقدمت لسموه فاندهشت حتى اذا ما تكرم مولاي فسألني عما رأيت قلت اني مندهش يا مولاي حيث لم ارَ بين الشاكين من يشتكي من ضرب ضارب او من ينبي بحدوث جرح او قتل او سرقة فتبسم سمو مولانا وقال

« ان الجنايات والتعديات قلما تحدث عندنا لاننا نتتبع المجرم ونعجل في قصاصه حسب الشريعة المطهرة السمحاء ونستعمل الصرامة الكلية في اجراء القصاص بحيث لا تقبل شفاعة شفيع وبهذا ساد في امارتنا والحمد لله الامان وعاش القوي والضعيف فاذا هما اخوان صنوان ولعمري هل يقدم على القتل من يعرف ان لاعاصم له من القتل وهل يسرق من يعرف ان ستبتر يده في القريب العاجل لا والله لا يقدم على ذلك الا سفيه معتوه وكذلك قل عن بقية انواع التعديات والذي يمهد لنا اسباب الامان بالاكثر هو بداوة الناس وحسن تدينهم فقلّ منهم من يستعمل الكذب أو يشهد

بالزور أو يستعمل الخديعة والغدر وبالاجمال فاني مع قليل من الحزم تمكنت من فضل الله بسيادة الامان في الامارة بجملتها على ماترى»

فحمدت سمو الشيخ المعظم على هذا البيان وشكرت مساعيه الطيبة في سبيل العمران والامان

ثمّ نهض سموه فنهض الحاضرون ونزلنا الى خارج السراى حيث امتطى سموه جواده الادهم وهو بالعدد الذهبية وقدموا اليّ جواداً فامتطيته اطاعة لامر مولاي وولي نعمتي وسرنا وسار بمعية سموه عدد من الحاشية فكان الكاتب عن يمينه والسياس من حول جواده وايديهم على كفل الجواد ثمّ بعض حملة الباز وبعض الجنود شاكي السلاح وهكذا سار الموكب يتقدمه سمو الامير بنفسه وما كدنا نبعد عن السراي خطوات حتى تقدم اعرابي ومسك بزمام الجواد وقال «احسان يا ابو جابر» فامر له مولانا بنفحة من احسانه سطرها في الحال كاتبه وسلمها له

ثمّ سرنا بعض خطوات فاستوقف احدهم جواد مولانا شاكياً فنظر في امره وهكذا بعد ان استوقفنا عدة اشخاص وصلنا الى ميدان في وسط المدينة فنزل سمو مولانا ونزلنا وسرنا الى مجلس اسموه معرض للذاهبين والآتين فجلسنا على دكة هناك مفروشة بالطنافس واخذ الناس يقبلون على سمو مولانا بمصالحهم بين مدع وشاك وطالب احسان وشاعر وكان سموه ينظر في جميع الشؤون بنفسه بدعة ورحابة صدر وبشاشة ثغر وما زلنا كذلك الى ان انتصف النهار فنهض سموه ونهضنا عائدين الى السراي العامرة بالموكب الذي قدمنا فيه

ومعلوم ان تعرض مولانا للناس على هذا الشكل مما لا يخلو من خطر

لان نصف الناس اعداء الملك العادل على حد قول الشاعر

ان نصف النـاس اعداءٌ لمن ولي الاحكام هذا ان عدل

وقد كان الخطر على سموه قبل سنوات اكثر منـه اليـوم حيث كان لسموه اعداء يبذلون كل عزيز ونفيس لاهلاكه ولا سمح الله ومع ذلك كان يأبى ان يحتجب ويقول للـذين يخافون على سموه ويلتمسون احتجابه ما معناه «ان حياتي لرعيتي فاذا قتلت فما انا افضل من الامام عمر وقد قتل وهو يصلي وان سلمت فلاسلم لخدمة هذي النفوس التي اؤتمنت عليها ووالله ليهون عليّ كل شيء من ان يكون في رعيتي مظلوم لا سبيل له اليّ لانصفه من ظالمه » فهذا هو الامير الجليل والشيخ النبيل الذي اروي محامده واتغزل بمدائحه ولما عدنا الى السراي تناولنا طعام الغذاء ثم دخل سموه الى الحرم للاستراحة وانزويت في غرفتي فسطرت هذه الرسالة للعمران والسلام على القراء الكرام ؛

عن القصر المباركي العالي في الكويت المحمية في ظهر الاربعاء ٤ ذوالحجة سنة ١٣٢٥

عبد المسيح انطاكي





— نخر العرب والعجم والسيد السند المكرم —

(سمو مولانا ولي النعم الشيخ مبارك باشا ابن الصباح المعظم)

الرسالة الثانية والعشرون

(نشرت في العدد ٤٣٥ من السنة الثالثة عشرة من العمران)

«الجزء ١٨ المجلد الثالث الصادر في ١٩ رمضان المبارك سنة ١٣٢٧»

الشيخ المبارك

خطر لي بعد كل ما قدمت عن زيارتي للكويت المحمية ان اصور بقلمي معاني سمو مولاي الشيخ المبارك اعزه الله على ما هي بحقيقتها فأقول .

ان سمو الشيخ اعزه الله طويل القامة رقيق الجسم مفتول الساعدين اسود الشعر ذو عينين سوداوين جذابتين تنبعث منهما انوار الذكاء والدهاء ولحيته سوداء قصيرة خفيفة وفي جبينه أثر ضربة سيف تدل على شجاعته وهي لدى سموه اعظم وسام يفتخر به

والناظر الى سموه لا يقدر انه باكثر من الحلقة الخامسة من عمره لما يراه من نشاطه الذي يفوق نشاط الشبان قواه الله وأمدنا بطول بقاه مع انه فوق ذلك

وسموه يميل الى الجد في كل حياته فمهما عاشرته لا تسمع منه كلمة مزاح وهو يفكر كثيراً ويتكلم قليلاً ويصغي لمحدثيه وما يقولون وما يرتأون حتى اذا ما انتهى احدهم من الكلام اجابه بكلمات هي من جواهر الكلم

وهو حاضر الذاكرة يحفظ كل الحوادث التي مرّت عليه أو سمعها فاذا ذكر امامه حادث صححه في الحال على حقيقته ورواه بحذافيره

واما حجته في الجدال فقوية يفحم بها مجادليه فيعودون الى رأيه الا انه غير مستاثر بالرأي ولا مستبد فاذا عرض على مسامعه الكريمة ما يخالف رأيه

ووجده صواباً عاد اليه

ونشأة سموه عسكرية محضاً فمنذ نعومة اظفاره تعود على ركوب الخيل والسير الى المغازي والحروب من عهد جده الشيخ جابر الصباح وابيه الشيخ صباح الصباح رحمهما الله تعالى

وسموه كما يعد اكبر فارس في العرب كذلك هو اكبر نوتي في البحر وقد حارب براً وبحراً بمواقع مشهورة معروفة هائلة منها حروبه في سبيل تأييد حكم الخلافة في البصرة التي شكرته عليها حكومتنا السنية اكثر من مرة بتحارير واوامر خصوصية

اما حزمه فمما يزعزع الجبال الراسيات ولا يتزعزع ويروي قومه انه ما سمع بكارثة خاقت بسموه او تهددت ملكه واضطرب بل كان يلقي حوادث الدهر ضاحكاً باسماً غير وجل ولا وكل ويحلها برأيه قبل سيفه

والرأي قبل شجاعة الشجعان　　هو أول وهي المحل الثاني

اما عزيمته فلا تقاوم فاذا طلب المستحيل لا ينثني عنه حتى يجعله ممكناً مهما حالت دونه الحوائل

اما بعد مواقع نظره فيخترق حجاب الغيب حتى يرى في يومه ما ياتي به غده ويستعد له فلا يؤخذ على غرة

اما سياسته فتنحصر حقيقتها بوجوب التفاف أمراء العرب من حول الخلافة العثمانية ووجوب حقن دمائهم حتى لا تسفك الا في سبيل الدفاع عنها توصلاً لرفع شأن الاسلام واعادة ماضي فخاره ولهذا الغرض حارب كل معتد على الحكومة في البصرة واطراف نجد وساعد الجنود الشاهانية مساعدات جمة محسوسة في ظروف ومواقع شتى ولهذا الغرض حارب

آل الرشيد ونصر آل سعود لان سموه يعلم جيداً ان آل سعود هم اصحاب نجد الحقيقيين وان آل الرشيد كانوا تابعين لهم ثم انقلبوا عليهم بدسائس الدساسين الذين ارادوا ان يشغل العرب بعضهم ببعض توسلاً لملاشاة قوى العرب التي في رأي سموه لا يجوز ان تضاع الا في سبيل الدفاع عن الخلافة العثمانية والاسلام

وقبل ان يتحد مع آل سعود ضد آل الرشيد اراد سموه بحنو الاب وغيرة المسلم ان يصالح بين الفريقين فارسل لحكومة البصرة مبيناً لها الاضرار التي تنجم عن هذه الحروب المتواصلة في نجد للخلافة نفسها فاصغت لسموه وطلبت منه ان يكون واسطة للصلح بين القومين فارسل مستدعيا اليه الاميرين عبد العزيز السعود وعبدالعزيز الرشيد واصلح بينهما بنفوذه وجاهه الا ان هذا الصلح لم يطل امره كثيراً حيث عاد عبد العزيز الرشيد فنكث العهد واستأنف بذلك القتال فكان فيه هلاكه

ثم لما خلف عبد العزيز ابنه متعب رأى هذا ان لا قبل له على مناواة آل سعود وخلفائهم آل الصباح فكتب لمولانا ولي النعم سمو الشيخ المبارك المعظم يلتمس منه ان يكون له ابا وان يتوسط بمصالحته مع آل سعود ولما كان سموه اعز الله به الاسلام وبلغه من دنياه أقصى مرام شفيقاً على العرب ضنيناً بدمائهم ارسل الى متعب نصائحا أبوية وحذره من الاصغاء لمن حوله من عمومته ممن عرف عنهم الغدر في العهود وكتب الى صديقه الامير بن سعود وتوسط بالصلح وفرح النجديون عموماً وأملوا بسلام يطول على ان آمالهم لم تدم كثيراً اذ فاجأ متعب وأخويه عمهم سلطان الرشيد في ذات يوم وقتلهم غدراً ونهض لمحاربة السعوديين فسار عليه الامير عبد العزيز

السعود وما زال يحاربه حتى بطش به فقتله مع كثيرين من ال الرشيد وهكذا أدال الله دولتهم وكذلك يجزي الغادرون

ومما تقدم يعلم الناس حقيقة سمو مولانا الشيخ المبارك وان نواياه كانت وما زالت منصرفة الى تأييد السلام في بلاد العرب وحقن دماء المسلمين التي كان يقول بوجوب حقنها الآن للدفاع عن بيضة الاسلام وحمى الخلافة الا ان هذه النوايا الصالحة كانت تنافي سياسة الخونة من رجال دولتنا العلية في بغداد والبصرة العاملين على ايقاظ الفتنة في بلاد نجد كلما رأوها توشك أن تنام زعما منهم ان أمراء العرب اذا تصافوا وتحادنوا انقلبوا على الدولة مطالبين بالخلافة ولذلك عادوا سمو الشيخ المبارك وقاموا لمناوأته وجعلوا يشيعون عنه مالم ينزل الله به من سلطان فيجسمه عمال مولانا الخليفة الاعظم لجلالته وهو على مانعهد من استسلامه لهم واعتقاده بانهم المخلصون وان هم الا الخونة المنافقون

أما سمو مولانا المبارك فقد شهدته كثير الاسف لاتباع دولتنا العلية هذه الخطة الخرقاء وانتهزت مرة الفرصة وخلوت بسموه ورأيت ان أحادثه في هذه الشؤون فقلت

«مولاي تعلم مبلغ اخلاصي اسادتي ملوك العرب وأمرائهم وتعصبي للعرب فهل لك أن تجود علي بما أجهل من حوادثهم

قال أسأل ماتشاء فاني أجيبك على ماتسأل بكل صراحة لاننا لا نميل الى التكتم في شؤوننا اصالة بل ان مصلحتنا في عدم الكتمان

قلت ماهو السر في هذه الحروب الدائمة في بلاد العرب

قال ليس في هذه الحروب سر بل أمرها مشهور

قلت وكيف ذلك ؟

قال ان العرب مازالوا على بساطتهم البدوية يميلون بطبيعتهم الى المغازي والحروب . ويظهر ان ذلك ينطبق على مصلحة الدولة فهي تعمل على توسيع نطاق الشر ما استطاع عمالها الى ذلك سبيلا

قلت وما هي مصلحة الدولة في هذه الحروب المتواصلة

قال لقد أجهدت نفسي كثيراً في فهم كنه مصلحة الدولة ولم أتوفق وانما أظن ان الاتراك يخافون من اتحاد العرب لئلا يطالبونهم بالخلافة

قلت الا ترى سموكم ان مخاوفهم قد تكون في محلها

قال لا والله وانما مخاوفهم هي من جهلهم بحقيقة العرب وهولاء آل سعود حاربوا الدولة مدة طويلة حتى دخلوا المدينة المنورة ومكة المكرمة ومع ذلك لم ينادوا بالخلافة بل لم يخطر ذكرها على قلب واحد منهم واننا جميعنا نعرف أن لكل زمان دولة ورجال وان دولة ورجال هذا الزمان هم الاتراك فبقاء الخلافة فيهم مما يعزز راية الاسلام ويؤيد كلمة المسلمين

قلت اذن اتحاد العرب مع الاتراك ممكن

قال ليس فقط ممكن بل واجب محتم والمسلم الحقيقي الصادق في ايمانه هو الذي يسعى في التوفيق بين الامتين

قلت وكيف يكون هذا التوفيق ؟

قال قبل كل شيء باصلاح الدولة العثمانية حتى لا يبقى فيها أثر لهؤلاء الخائنين المرتشين الذين يبيعون حقوق عباد الله ويضحون مصالح الدولة لمنافعهم

قلت هذا مأمول باذن الله لاني أعلم ان عقلاء الاتراك متألمون مما وصلت اليه أحوال دولتهم وعاملون على المناداة بالدستور وقد يكون ذلك

بعد قليل

قال وأنا أيضاً أتوقع ذلك ووقتئذ اذا تولى شؤون الدولة المصلحون الحقيقيون الذين يضحون مصالحهم في سبيل مصلحة الخلافة والاسلام حينئذ يمدون لنا يد الولاء فنصالحهم على السراء والضراء وحينئذ يرون من أمراء العرب قوى لا تقهر وسياجا لا يخترق باذن الله فوالله ما منا أمير أو شيخ أو كبير الا ويبذل نفسه وأمواله ونفوذه في سبيل الدفاع عن الخلافة العثمانية والاسلام وهاأنذا لو اصفت لي الدولة الاخلاص والود لاغنيتها عن الفيلق الهمايوني السادس المخيم في بغداد بجملته اذا شاءت ذلك

قلت وكيف يمكن حقن دماء العرب واستقرار السلام في ربوعهم

قال ان الامر سهل فان مصالحة أمراء العرب أقوى عليه انا باذن الله اذا عاونتني الدولة سراً وجهراً بحيث نعطي كل ذي حق من هؤلاء الامراء والشيوخ ونضمن لكل منهم سيادته وامارته على قبائله فلو فعلت الدولة ذلك لوجدت لها مخادنين وأصدقاء أقوياء يسرها أن يكون أبطالهم في مقدمة جيوشها في الحرب والسلام واني أؤكد لك ولكل انسان بأن العرب بجملتهم أشد اخلاصاً للخليفة من الترك أنفسهم واذا كان بعضهم منحرفون عن الدولة فذلك لمظالم عمالها أصلحهم الله ليس الا

فشكرت سموه على هذا البيان الوافي وقلت من لي بابلاغه لجلالة مولانا الخليفة أمير المؤمنين ؟؟؟

فهذا هو المحور الذي تدور عليه سياسة سمو مولانا الشيخ المبارك أعزه الله وهي سياسة حكيم حزوم ومسلم غيور صادق الايمان فبارك الله فيه

هذا ولسمو مولانا المبارك حفظه الله سجية حاتمية ليس على رعاياه

فقط بل على الا كثرين من وجوه البصره وأعيانها الذين يستعينون به فيما يحتاجون اليه من الاموال قرضاحسنا لوجه الله كما هو مشهور ومعروف لدى العموم ولا غرض له من وراء ذلك سوى مساعدة أولئك الكرام المعروفين بالخلال الراضية والمزايا العالية والاخلاق العربية المتلالية عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»

أما كرم سموه الحاتمي وعدله في أحكامه فما تضرب به الامثال وقد سبقت الاشارة اليه فبارك الله فيه

هذا ما أحرره للعمران وأنا مختلي بحجرتي بعد ظهر الاربعاء في ٤ ذي الحجة سنة ١٣٢٥ في القصر المباركي العالي في الكويت المحميه

عبد المسيح انطاكي



الرسالة الثالثة والعشرون

(نشرت في العدد ٤٣٦ من السنة الثالثة من العمران)

«الجزء ١٩ المجلد الثالث الصادر في ١٩ رمضان المبارك سنة ١٣٢٧»

(الاستيذان بالسفر)

انتهيت من تحرير رسالتي الماضية وجلست مفكراً لاني منذ خرجت من عدن لم أتلق تحريراً من مصر والذى ازادني تبلبلا هو لان مساء هذا اليوم موعد قدوم البوسطة ولا ينكر علىّ الجمهور تبلبلي لانقطاع أخبار الوطن عني بالرغم عما أنا فيه من النعم وما زلت كذلك الى مابعد الغروب حيث وصل الميل (باخرة البوسطه) وهو من بواخر الشركة الانكليزية ورسا في عرض البحر وأرسل البريد الى البر وفي غاية السرعة أرسلت ادارة البوسطة تحارير سمو مولانا ولي النعم وكان بينها عدة أجوبة لي فأرسلت اليّ وأنا أتناول طعام العشاء فلما فضضتها وجدت نفسي مضطراً الى سرعة الرجوع فاسرعت في الحال وكتبت بيتين فيهما استعطف بهما سمو مولاي ليسمح لي بالسفر مع الميل الذي لا يقيم في مياه الكويت أكثر من بضع ساعات على ماعلمت وهما

مولاي قد وافى البريد وفيه ما ... يدعو الخصيص الى رحيل قاهر

فاسمح لعبدك ان يسافر شاكراً ... ماشام من هذا الجلال الباهر

وبعد قليل عاد الرسول فقال ان سمو مولانا لا يمكن ان يسمح لك بالسفر ونحن على أبواب العيد ويأمر أن تعيد في ظلاله ثم تعود بعون الله ومعلوم ان أمر المولى حكم ورضاه غنم ولكن الاضطرار كان يحملني

على استئناف الالتماس والاعتذار فأسرعت بالحال الى شبله النجيب سمو مولاي الشيخ جابر متوسلا ولما مثلت بحضرته ترحب بي برحابة صدر فقلت

ياجابراً لخواطر الاقوام بالا	احسان والعرفان اجبر خاطري
وتوسطن لدى المبارك سيدي	كيما أعود وأنت في ذاناصري
فبريد مصراليوم يدعوني الى	أهلي وانك يامؤيد عاذري

ثم قصصت على سموه سبب الاسراع فقال وكيف نسمح لك بالسفر ونحن على أبواب العيد هذا لا يكون ابداً فقلت ولكن عذري بالسفر واضح وأنتم أهل المكارم والمنائح وما زلت ألحّ على سموه حتى قبل رجائي وغنم ثنائي وتركني وخرج لملاقاة سمو مولانا والده المبجل وعاد وقال لقد قبل سمو الوالد على غير رضاه ولكن دون رحيلك متاعب ومصاعب حيث ان الميل يسافر في منتصف الليل فاذا كنت مصراً على الرحيل فسموه يقابلك للوداع بعد ساعة فشكرت مساعيه السنية ولثمت يديه فودعني أكرم وداع وقرّط أذني بدرّ الوعود بديمومة توجهاته نحوي وانصرفت من حضرته شاكراً حامداً ورجعت الى غرفتي

الوداع

وبعد ساعة جاءني رسول من قبل سمو مولانا ولي النعم يدعوني لحضرته السنيّة فأسرعت الى مكارمه فجعل سموه يتلطف بي ما شاءت الطافه ويقنعني بالاعراض عن السفر ومافي سفري مع ميل البوسطه وهو رابط في عرض البحر من المصاعب والمتاعب فلما رأى اصراري واعذاري أصدر أمره الكريم الى خدامه الامناء باعداد سفينة من أكبر سفنه الهوائية لايصالي الى الميل وأمر نحو عشرين من خدامه الامناء المعتادين على الملاحة ان يصحبوني

فشكرت وحمدت ثمَّ وقفت وتلوت على مسامع سموه قصيدة الوداع قلت

أتجزع للنوى قبل البعاد ... فكيف اذا احدت فيك الحوادي
وسرت عن الديار ديار جمل ... الى مالا تحب من البوادي
اعدَّ اذاً دموعك للمآقي ... وزفرات التشوق للفؤاد
وعُدَّ النفس للبلوى وهيء ... لارزاء الجوى عُدد الجلاد
وكن من قبل أن تنأى عليما ... بانك لا تلذذ بالرقاد
ستحرم كل شيء في البرايا ... سوى هطل المدامع والسهاد
وسوف ترى من الاشجان هولا ... يفتت وقعه صُمَّ الجمادِ
بلى ياجمل اني اليوم ناءٍ ... الى ما لا أريد من البلاد
سأترك الديار ديار أنسي ... وأسعى في المفاوز والوهاد
فمن بحر أخوض له عباباً ... على ما تعلمين من الجهاد
ومن برّ أطوف به الفيافي ... على متن البخار أو الجياد
سأسلم للقضا نفسي ومثلي ... عليه كم عدت قبل العوادي
وضاع القلب مني ياراحي ... وقد يأوى اليك بلا مقاد
فراعيه بحق هواي رعياً ... وأرعي يا مملكتي ودادي
ومثلك لا تغيرها الليالي ... ولا تبني الولاء على فساد
تعالي ودعيني قبل بيني ... وداع فتىً يشكك بالمعاد
وداع فتىً بحبك قد تمادى ... لابعد ما يحدُّ من التمادي
وداع فتى يرى الافراح تزهو ... بقربك دون هند أو سعاد
وداع فتى بحبك قد أضاع الـ ... رشاد وفي ولائك لا يفادي
تعالي يا منى روحي تعالي ... فقد سلمت للبلوى قيادي

وما لي غير ساعات قلال   سأسلك بعدها طرق القتاد

ومن ترك الكويت الى سواها   فقد ترك البياض الى السواد

بلاد عمرت فغدت جنانا   لسكنى الصالحين من العباد

بلاد في رباها العدل يزهو   كزهو الامن فيها والرغاد

بلاد حيث سرت بها تلاقي   جموع الناس من راض وشادي

لقد غصت بساكنها واضحت   مناخ ابن الحضارة والبوادي

وقد راجت متاجرها رواجاً   وأسواق الجوار على كساد

وباتت ملجأ اللاجي فيأوى   لمغناها فيأمن كلّ عادي

وذلك كله من فضل ملك   قدير محسن ندبٍ جواد

بشرع محمد ساس الرعايا   وفي حسن الادارة والسداد

وفي حزم به تفنى الرزايا   ورأي كالمهند ذي النجاد

هو الشيخ المبارك ذو المعالي   ومن كالشيخ في حسن الايادي

هو الملك الذي ملك الرعايا   بآلاءٍ ملألئة بوادي

هو الملك الذي خضعت اليه   صروف الدهر من قبل الاعادي

هو الملك الذي تحنى اليه الا   رقاب وفي مدائحه تنادي

هو الملك المطاع الامر حتما   اذا نادى بحيّ على الجهاد

اشاد لنفسه عزا وجاهاً   على صرح من العليا مشاد

ولم يقنع بموروث المعالي   فعززها بآيات جداد

وعزّ به الالى والوه عزاً   وفيه قد رأوا فوق المراد

وذلّ به الالى ناووه ذلاً   الى درك الشقاوة والنكاد

فما للعرب الآه امامٌ   وما لهمو سوى علياه هادي

حكى الصديق في عزم وحزم وكان كما علمت من السداد
وشابه عدله عمر المفدى وما في فتحه اقصى البلاد
وشابه ابن عفان بفضل وجود مثل هتان الغوادي
وشابه رابع الخلفاء عليا بتقواه بخافيه وبادي
وكان كخامس الخلفا رشيداً ومن يحكيه في هذا الرشاد
وقد ارضى الرسول بحسن سعي كما ارضى المهيمن بالعباد
وبات اعارب الدنيا بنيه بحكم الفضل لا حكم الولاد
فمن للعرب غير بني صباح وما فيهم سوى هذا العماد
ابشر فيه اهل الارض بشرى تردد في المجالس والنوادي
ايا مولاي ياغوثي وذخري وملجا العالمين ولا افادي
عشقتك قبل ان القاك عشقا لانك واحد بين الاحاد
وجئتك من ربى مصر اروم الـ رضا فحبوتني اقصى مرادي
فداك ابي وامي يامرجى واخواني ونفسي مع ولادي
ولو في الناس اجمعهم تفدى لزدت الناس في سوق المزاد
ولولا الخوف من ربي لكنت الـ مصلي اليك في يوم المعاد
فانك في الندى تعطي العطايا فتغني الناس عن صوب العهاد
وعندك تورد الحسنات ورداً فراتا فيه يروى كل صاد
وفضلك مخصب في كل آن فلا نلجا الى وقت الحصاد
اذا ما دمت فينا لا نرجي وميض البرق او صوت الرعاد
فخذ اعمارنا واحي خلوداً باجلال الى يوم التنادي
ايا مولاي انت ابي وامي وانت مؤيدي وبك اعتمادي

اذا ما كنت عنك اليوم ناءٍ فبين يديك ياعضدي فؤادي
واني حيثما اثوي خديم لعزتك السنيـة ياعتـادي
فان ترض عليّ وانت راض فلست بسائل عمن يعادي
فهات يداً اقبلها قبيل الـ بعـاد فانهـا كأسي وزادي
ولا تنس خديمـك ما تنأى ولا تنس خلوصي مع ودادي

وكان سموه يصغى الى قصيدتي متأثراً حتى اذا انتهيت منها قال ما أسرعك في الذهاب مع اننا كنا نودّ ان تطيل اقامتك عندنا قلت مولاي اني خادمك الامين كيفما اتجهت وحيثما كنت قال حفظه الله اني أعلم ذلك جيداً وانت ليس خادمنا بل ولد من اولادنا وثق اننا لا ننساك ولا ننسى اخلاصك

وبعـد ذلك بادر حضرة الشاعر اللبيب والاديب الاريب شاعر سمو مولانا المبارك الخاص الحاج زين العابدين الكويتي وأنشدني قصيدة حسناء تلطف بها بالثناء عليّ وطرزها باسمي كرماً وتخلص بمدائح سمو مولانا ولي النعم الشيخ مبارك باشا الصباح المعظم قال

ب بدور السعد تشرق في سماها يضاهي النير الزاهي سناها
ح حكت انوارها الفلكيّ يوحاً تسامت في بروج لا تضاهي
ظ ظرائفة الاطارف حين راقت برونقها فتحسدها سهاها
و وبات الزبرقان كليل طرفٍ لدى شرفاتهـا عند ارتقـاها
ر رواسي الشم تخضع حين ناءت مساميهـا استكنت في ذراها
ا اراض الفكر فيهـا كل شهم تقاصر دونهـا لمـا رآها
ل لقـد زهرت كمشكاة لحـتىّ وفير اللبّ حار لدى عـلاها
ا افق يا ايهـا النشوان واملأ كؤس الراح واطرب في هواها

د دنا شرخ الشباب على التهاني   وبنت الكرم راقت في اناها

ي يضيء الدن كالعقبان منها   فقم واشرب ودع من قد قلاها

ب بلذتها تجد عيشا رغيداً   وانساً لايزول ولا يضاهى

ا ادرها والتقط درراً تلالات   بالفاظ المسيحي إذ تلاها

ل لبيب الفكر خلاق المعاني   خبير في الرموز وما عداها

م مليح القول مهما جاء يشدو   بانواع الجواهر اذ حواها

ا اتى بخرائد جلت وماست   كما ماست عروس في خباها

ه هو الخواض في بحر المعاني   هو المطيق من في النظم باهى

ر رست منه البدائع كالرواسي   فضاءت كالشموس على صفاها

غ عديم المثل اذ أبدى القوافي   على نغم فيطرب من وعاها

ب بافنان النكات طويل باع   فسل عنه العروض وما دواها

د دليل ثبوت قولي فيه فاسمع   لآيات الصباح اذا انتضاها

ا اذاع المدح في ملك لديه   تقهقرت الملوك على قفاها

ل لمثل علا ابن خير الناس يشدو   وحرمته الفخيمة قد رعاها

م مقرٌ في مناقب من تسامى   علاه على الفراقد مع سهاها

س سل الشرع الشريف عن المفدى   مبارك حيث لاترنو اشتباها

ي يسر المكرمات اذا تعاطى   بانواع المكارم اذ اتاها

ح حليم في اساءة مذنبيه   إذا اعتذرت لديه فارتضاها

ا ابن ياواظباً لمديح مولى   مناقبه التي جات ذراها

ن نشيدك يحلون في ذكر شيخ   تشير له الملوك وما سواها

ط طمى بحر الذي من رام نيلا   لوصف جلاله شمخت علاها

ا أنرت قريحة غرّا بسبك حكى شمس المنيرة في سماها

ك كفيض الصبح نظمك مستهل له انحطّ الرواسي مع رباها

ي يكلّ لسان كل عزيز فكر بالفاظ الرقيقة لو قراها

ب بما انتظمت يداك فدم وعاود لترويج القصائد وانتهاها

ك كفى لك مفخر مذ جئت تسمى لبيت اماجدٍ حاذت مناها

وعند ماانتهى من انشادها وقفت فشكرت وقلت ان لولا عناية سمو مولانا ولي النعم لما كنت شيئاً مذكوراً وأحسب كلما قيل بهذه القصيدة الحسناء هو مديح خاص لسموه وأجبت حضرة الشاعر مرتجلاً

أزين العابدين لربّ طه بلغت من الفصاحة منتهاها

وخضت بحار منظوم اللآلي ازدان المجالس في حلاها

اذا تليت بنجد في مديح الـ مؤمل كان في مصر صداها

عجائز وائل رقصت سروراً لها من بعد ما سمعت غناها

وسار بها حداة العيس شدواً فما ملت بمنشدها سراها

وخير الشعر ما جاءت بعفو قوافيه لراوية رواها

ودل صدورها عنها وضوحاً على اعجازها وبدا بهاها

وكانت في مديح أبي المعالي مبارك خير من تاه وباها

مليك في مفاخره تسامى على الجوزاء في أعلى مداها

وساد الناس في حسن الايادي وقد نالت بذلك مشتهاها

وكان لكل مكرمة فتاها وكان لكل محمدة أباها

وان شام الصنيعة في سبيـ ـل الالى اصفوا مودتهم أتاها

وان شام الكريهة في سبيـ ـل العدى والله عن كرم أباها

شجاع ما انبرى للحرب يوما — على أعدائه الا فناها
فمن اسرى وقد قيدت وذلت — ومن قتلى وقد سالت دماها
ومن قد فرّ من هول المنايا — الى أقصى الجبال وقد طواها
وكم لسموه غارات شعوا — بحسن النصر قد رفعت لواها
وقد باع النفوس بها رخاصاً — باسواق المنية واشتراها
ومن آثاره الغراء حقاً — «بدور السعد تشرق في سماها»
وقد بانت شمائله الغوالي — «يضاهي النير الزاهي سناها»
كريم يبذل الاموال عفواً — واحسانا الى راج رجاها
فما امت مكارمه العوافي — وايم الله الا قد غناها
ولو حكمته بالنفس يوما — وجاء اليه طالبها عطاها
فلا عجب اذا ذمت اليه — ركاب السعي تسرع منتضاها
وأصبح قبلة للناس تولى الـ — وجوه لها فيبلغها مناها
ومن كابن الصباح وقد تعالى — على أهل العلا مجداً وجاها
ومن مثل المبارك في شيوخ الـ — اعارب للرعية قد رعاها
فأنصف كل مظلوم بعدل — صريح قال فيه الشرع واها
وأيد في الكويت الامن حتى — لقد آخت كواسرها ظباها
وجاهد في تحضرها فلاث — حضارتها كما خصبت رباها
تغبطني سمير الشيخ لما — قدمت لارضه أفلى سواها
وفيها منيتي وبها فخاري — وأنوار المبارك في ذراها
قصدت فخاره فرأيت مجداً — سنياً لا يقارن أو يضاهى
وشمت بحكمه عدلا وفضلا — وأخلاقا رضية قد حواها

وآلافا من القصاد تثوي بنعماه وبالنعمى قراها
والبابا به شغفت وهامت وأخفت في مودته ولاها
فان اثني على مولاي اني اردد عن رعيته ثناها
كما اثني عليك وانت اهل لسبك الدرّ في ازهى سناها
بمدح جنابه الاعلى الذى قد علا هذي الكواكب في علاها
فلا زال المبارك في سماء الـ جلالة قد تربع في سماها
ولا زلنا نردد فيه آي الـ ثنا ليس فيها من تلاها

وبعد قليل بادرت فالثمت راحات سمو مولاي وولي نعمتي فتكرم وأعاد عليّ وعده الشريف بمواصلتي بعنايته وعدم نسياني من توجهاته العالية ثم ودعت الحاضرين من وجوه الكويتيين بآيات الشكر والثناء وخرجت فسألت عن حوائجي فقيل لي انها نقلت الى السفينة فسرت الى البحر ومعي عدد كبير من أتباع سمو مولانا ولي النعم يشيعوني

﴿ ركوب البحر ﴾

لا أركب البحر أخشى عليّ منه المعاطب
طين أنا وهو ماءٌ والطين في الماء ذائب

وصلت البحر فاذا هو هائج مائج وقد أرغى وأزبد كأنه يريد مني الانتقام لاسراعي بالخروج من موطن نخاري وأنسى فحملني خدام سمو مولاي على أعناقهم الى نحو مئة متراً وهناك أنزلوني بيلم صغير سار بي على اضطراب الامواج الى السفينة المعدة لنقلي وعند ماوصلتها حمدت الله ظاناً ان الاخطار قد زالت ونشر النوتية القلوع وسارت بنا السفينة باسم الله مجراها حتى اذا أبعدنا عن الشط مسافة ساعة ازداد هياج البحر زيادة هائلة

خفنا معها من الغرق فأقر الملاحون على الرسو في عرض البحر فضربوا بنا الى البر ماأمكن وبتنا ليلتنا ولحافنا السماء وفراشنا الماء ولولا رحمة الله ما كان لنا في الحياة رجاء وسألتهم عن الميل وان كان يسافر بالليل فقالوا ان سمو مولانا أخبرهم بسفرك فلابد لهم من الانتظار الى الصباح فقضيناها ليلة ليلاء اشتد فيها البرد ولم أذق فيها طعم لرقاد. حتى اذا مالاح الفجر وبان الخيط الابيض من الخيط الاسود نشرنا القلوع وسرنا مع هياج البحر الى الباخرة ونحن لانأمن الغرق وما كدنا نصلها الا ونحن مأيوسون من الحياة وبكد النفس صعدنا الى الباخرة فحمدنا الله على السلامة وفعلا كانت الباخرة بانتظارنا لانها في حال وصولنا رفعت مراسيها وتوجهت قاصدة البصرة

وبعد ان سكن روعي وتمالكت نفسي جلست وسطرت هذه الرسالة للعمران والسلام على القراء الكرام

عن الباخرة في مياه الكويت في صباح الخميس ٥ ذو الحجة سنة ١٣٢٥

عبدالمسيح انطاكى



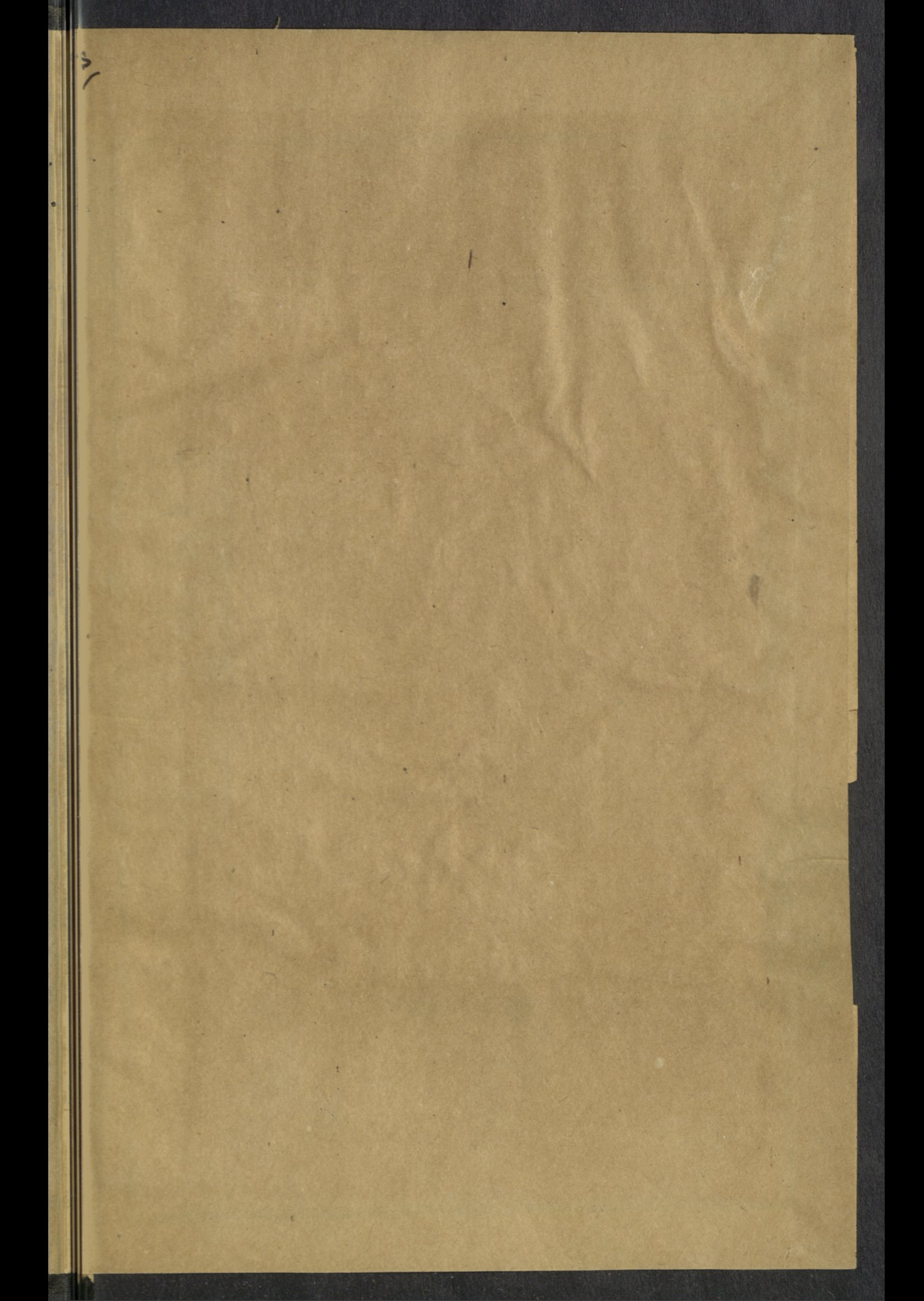
الختام

وبعد ذلك سرنا الى البصرة فأقمنا في مياهها يومين ولم ندخلها خوفاً من حكومتها « وكانت وقتئذ استبدادية وكنا نحن أرباب الاقلام والصحف في نظرها شراً من القتلة والسارقين » ثم رجعت بنا الباخرة الى بومباي فأقمنا بها مدة سبعة عشر يوما زرنا في خلالها حيدر اباد الدكن ثم عدنا الى مصر

والقت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عينا بالاياب المسافر

وتفصيل كل هذه الرحلة منشور في المجلدات الاول والثاني والثالث من العمران والسلام






AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت

